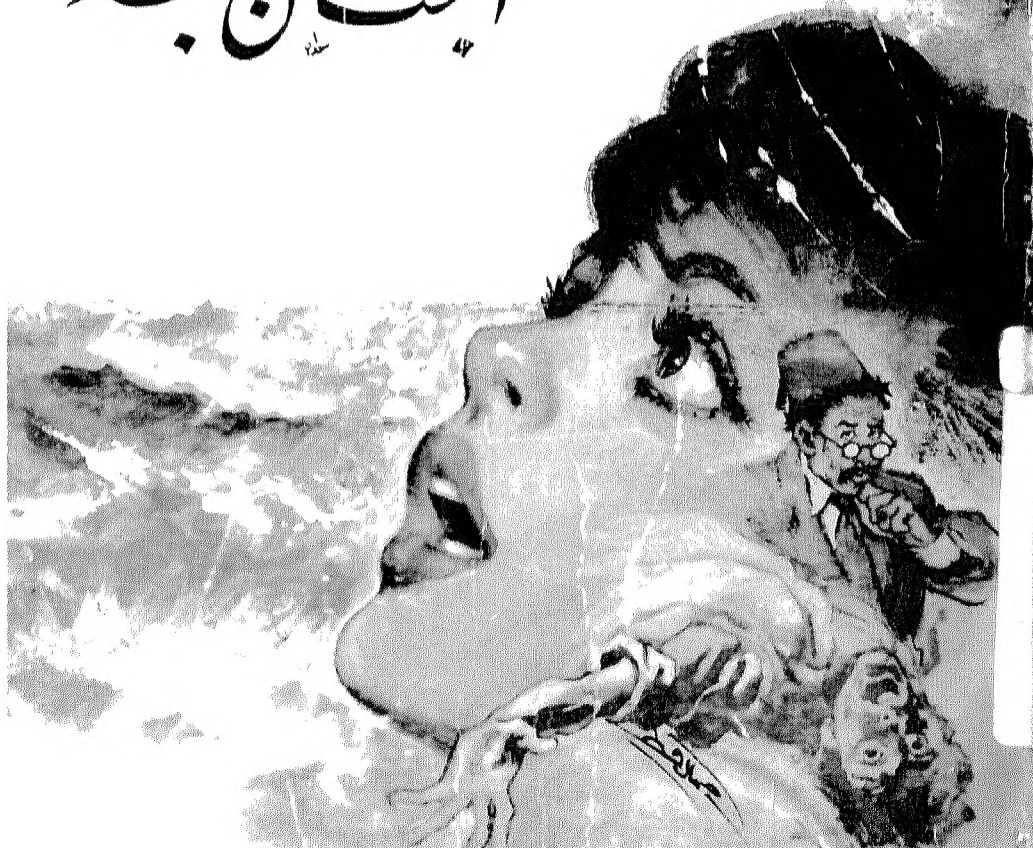


يوسف السباعي

# نائب عزرائيل البحث عن حبة







قصص  
قصيرة

# • نائب عزرائيل • البحث عن جسد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الاسكندرية

كتب عربي  
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
(شعراء) مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل ٦١٦٦٣



# الإهداء

الى سيدنا عزرائيل .... الجميل !!

هل سبق لغيري من البشر أن أهدى لك كتابا ؟ ...

هل سبق لسواي من المخلوقات أن صب في أذنك غزلا وتسيبيا ؟

هل قال لك أحد قبلى .. مثلا : « أحسن الأيام يوما أرجعك » ؟ .

قل الحق ولا تخجل .. طبعاً لا ... فما أهدى لك البشر سوى لعنائهم ... وما صبوا في أذنك سوى جام غضبهم ... وما نعتوك بأفضل من « مفرق الأحباب وهادم اللذات » .

- ما رأيك إذا في محبكم الجديد ... وعاشقكم الأوحى ؟

- لا تظن بقولى سخرية .. ثما حاولت مرة أن أسخر من بشر ضعيف .. فما بالك بملك الموت العاتى الجبار !! ولا تظن بقولى أيضا تزلفا .. فالتزلف لا يكون الا لخشية أو لحاجة .. وما كان بى من خشية منك ولا حاجة اليك .. فما أنا بمتعلق بالحياة حتى أخشاك .. وما أنا بكارها حتى أحتاج الى معونتك .

فاذا أبعدت عن ذهنك ساخر أو متزلف .. وإذا أبعدت عن ذهنك أيضا أننى مجنون -- أو على الأقل أننى لا أزيد عن بقية البشر جنونا - لوضح لك وضوح الشمس مخلص فى صداقتى .. فى نيا عز فيها الاخلاص وأمضى الوفاء .

هذا الكتاب يا سيد عزرائيل .. أنت بطله .. فهو منك واليك .. حاولت فيه بدافع الوفاء لك أن أظهر لك للبشر على حقيقتك - أو على

ما أظنه - حقيقتك .. وأن أزيل من أذهانهم تلك الصورة الشوهاء  
الشنعاء التي يتخيلونك بها .. ولست أدري الى أى حد نجحت .. ولا  
الى أى حد قد أَرْضِيت ...

أجل ... الى أى حد قد أَرْضِيتك وأَرْضِيت البشر وأَرْضِيت نفسي ؟  
أما عنى نفسي .. فهى راضية ، ولست أشك أن فى رضاها مظهرا من  
مظاهر الغرور الذى يلزم كل انسان ... أما عن البشر فلا أظن هناك  
انسانا استطاع أن يرضيهم .. أنا عنك .. فما رأيك ؟ !

لا تتسرع وتعلن سخطك .. واذكر أننى لم أقصد بكتابى الا انصافك  
وتقديرك .. وانما الأعمال بالنيات .

- لقد بذلت كل جهدى فى محاولتى تخيلك .. فان كنت قد أخطأت  
فى رسمك من الذاكرة .. فاعلم أن الذنب نبيك .. فأنت مفطر فى  
التخفى ، مبالغ فى التتكر .. قد يكون فى هذا محافظة على هيتك ..  
ولكن لم لا تجرب مرة .. فتدلى لنا بعض من أخذت عنهم يصفونك لنا  
ويحدثونا عنك ، فيبددون بحديثهم بعض تلك الظلمات التى تحيط بنفسك  
بها .. لو فعلت ذلك لوفرت على نفسك ما قد أكون أحطت بك به من  
أباطيل ، وما قد أكون لصقته بك من ترهات وأكاذيب .... ولكنك لم  
تفعل .. ولن تفعل... فاعذرنى ان كنت قد أقدمت على اظهارك بمثل  
ما أظهرتك به .. فهذا هو كل ما فى وسعى ... ولا يكلف الله نفسا الا  
وسعها .

وهناك يا سيدى شئ آخر أخشى أن يثير حفيظتك على وأن تفهمه  
على غير ما قصده .. وهى تلك المزح التى قد تلمحها بين صفحات  
الكتاب .. فقد تحملها محمل العبث ، ولكنى لا أشك أنك ستلتصلى  
العذر اذا ما علمت أنى رجل أحب المزاح ، وأننى أرى أن المرء لا

يربح من حياته الا ساعات الضحك .. واذا ما علمت أيضا أن الانسان بطبيعته مخلوق مهرج .. وأنه لا يغريه شيء كالهزل والتهريج ...  
وانك اذا ما أردت منه أن يستمع اليك ، فأضحكه أولا ، ثم قل له ما تريد قوله ...

اذا ما علمت كل هذا فلا أظنك الا عاذرى في مجونى ولا أظن حديثى  
عنك الا من نفسك موقع القبول .. ولعلى أكون بذلك قد نلت منك  
الرضاء .. كل الرضاء ...

واننى يا سيدى فى انتظار اللقاء ... اما على صفحات كتاب آخر أو  
فى السماء .. ما بى من خشية ولا رهبة فالحياة عندي والموت  
سواء ! ..

والسلام عليكم ورحمة الله ...

، يوسف السباعى ،







نائب  
عزرائيل

## الفصل الأول عود من الآخرة

كنا نتدافع بالمناكب ، ونتزاحم بالأيدى .. وكان الجو خانقا حارا ..  
وقد تصاعدت فيه رائحة كريهة هي خليط من الأنفاس والعرق وذرات  
الثرى الذى أثارته الأقدام فعلق بالهواء .

وكان المنادى يصيح بصوته الجهورى بالاسم تلو الاسم .. فينتقل  
صاحبه شاقا طريقه بين الأجساد المتراسة المتزاحمة فينفذ من باب  
ضخم آخذا مكانه فى ذلك الطابور الطويل الذى يشق طريقه ال الداخل .

وسمعت اسمى يفوه به المنادى .. ولكن كان به بعض التحريف ..  
أو قد يكون اسما يشابه اسمى .. فلم أجب ، ولم يجب غيرى الذى قد  
يكون صاحب الاسم المحرف .. وتكرر النداء .. فصحت أوضح  
للمنادى خطأه ... ونكرت له صحة الاسم .. فنظر الى بعين ملوها الغيظ  
والحنق .. ونادى الاسم مرة ثالثة مصراعا على ما به من تحريف ..  
فلم أجب .. فانتقل الى الاسم الذى يليه واستمر فى عمله .

وخف الزحام رويدا رويدا .. حتى وجدت نفسى أخيرا قد وقفت  
بمفردى ، وقد كف المنادى عن النداء بعد أن نادى آخر اسم أدرج فى  
الكشف الذى معه .

وتنفس المنادى الصعداء .. وقد بدا عليه التعب والاعياء .. ثم وقع  
بصره على فأصابته الدهشة .. وسألني في حق :

- فيم وقوفك هنا .. وقد سار الجميع ؟

- انك لم تنادى اسمي ، بل ناديت اسما يشبهه .. وقد حاولت أن  
أوضح لك الصواب .. فأصررت على الخطأ ...

- لا يمكن أن يكون هناك خطأ في هذا الكشف .

- وكذلك لا يمكن أن أكون أنا مخطئاً في معرفة صحة اسمي لأنني  
أعرفه منذ عشرات السنين .

وبدا على الرجل الارتباك ، ثم أمسك بالكشف وألقى عليه نظرة  
فاحصة ، ثم هز رأسه في دهشة .. وقال متلعثماً :

- هذا عجيب .. هذا شيء لم يحدث لنا قط .. وأخشى أن يكون قد  
التبس الأمر عليهم ... فأحضروك الى هنا خطأ .. اذ يخيل ان المطلوب  
هو صاحب الاسم الذي في الكشف ... ولست أنت .. ولكن تشابه  
الاسمين جعلهم يستدعونك ويتركون الآخر .. هذا خطأ شنيع !! بل  
هو الأول من نوعه !! انتظر لحظة ....

وتركني الرجل ، وأخذ يعدو الى الداخل وقد بدا عليه ارتباك شديد .



لم يكن هذا الجمع طلاب وظائف سيؤدون الامتحان .. ولم يكونوا  
مجندين ... ولم تكن الساحة كذلك في احدى الكليات وقد نودي على  
الطلبة المقبولين .. ولم تكن تلك الجموع تنتظر كشف هيئة أو ما  
يمثله .. لم يكن هذا ولا ذاك .. وما كان هذا المشهد في أى بقعة من

بقاع الأرض .. بل فى الواقع أنه لم يكن فى هذه الدنيا بأكملها ، بل كان فى الآخرة !

نعم فى الآخرة ! .. ولا أظن أن هناك م يبعث على الدهشة أو الشك فى تلك .. فكلنا يعرف أن الآخرة موجودة فعلا ... وما هناك من أحد يستطيع المجادلة فى ذلك ...

وكننت قد رحلت من الدار الأولى الى الدار الآخرة .. أو على حد تعبير أهل الدنيا - توفيت - منذ بضعة أيام . وكان الانتقال سهلا بسيطا .. أسهل مما يتصور المرء .. بل هو فى الواقع أسهل انتقال ممكن حدوثه .. فهو - على الأقل - أسهل بكثير من انتقال الانسان من دار الى دار فى الدنيا .. وخاصة فى هذه الأيام التى أضحى حصول الانسان على دار خالية أصعب من حصوله على الاخلاص والمودة بين أهل الأرض .. فما احتاج الانتقال الى « خلو رجل » .. أو كتابة « كنتراتو » ... أو تنظيف الدار الجديدة .. ودفع ثمن ما تلف من الدار القديمة .. ثم تأجير عربات لحمل « العفش » ... وفك الدواليب وتركيبها وتكسير الأطقم والمرايا .. ونقل عداد الكهرباء .... الخ .

نعم .. لم يكن الأمر يحتاج الى كل تلك المتاعب التى تواجه المرء عند الانتقال من دار الى دار . فى نفس الدنيا .. بل كان الأمر من السهولة بحيث لو أدرك الأحياء ذلك لما بقى منهم مخلوق فى هذه الدنيا الكريهة البغيضة .. وقد يكون هذا هو السبب الذى من أجله غرس فى الانسان خشية الموت والفرع منه ، والا خلّت الدنيا من أهلها فى لمحة عين .

كان الانتقال سهلا بسيطا .. هينا لينا .. فقد انتقلت الى الدار الأخرى .. خفيفا لطيفا .. بلا « دواليب » ولا كراكيب .. ولا

« عفش » ، ولا أثاث ، ولا « شنط » قد كدست فيها الملابس حتى أصبحت مفرطحة منبعجة .

نعم رحلت بمفردى لا شيء يتقل كاهلى أو ينقض ظهري .. رحلت وأنا أنتكر فى طريقي قول عمر الخيام :

عجبا للروح - ان كان يطيق نضو سربال من الطين صفيق  
وسموا لمدى النجم السحيق ما له - تبا له - قد لزما  
سجنه السفلى مضموم اللزام

لقد أحسست أننى قد نضوت سربالى الصفيق . وفررت من سجنى السفلى .. وأننى قد أخذت فى السمو شاعرا بخفة عجيبة .. حرا طليقا لا يقيدنى قيد ولا يشدنى وثاق .. روحا خفيفة بلا جسد يتقلها تسرى كالنسيم وتنفذ خلال كل شيء .. بلا حاجة الى مطية .. أو مرتقى .

انتقلت الى الدار الآخرة تاركا الجسد لأصحاب الأجساد يولولون حوله وينوحون .. ما بين مدمع فى حزنه وصادق فيه .. وان كان كلاهما سيستويان بمرور الزمن وكر الأيام .



ولم أنتظر كثيرا خارج الباب .. فسرعان ما أقبل الرجل الذى بيده كشف الأسماء ، وقد سار خلفه رجل وقور ، مهيب الطلعة .. واقترب الاثنان منى وقد بدا عليهما القلق .. وعرفنى أولهما بالثانى قائلا فى احترام شديد :

- سيدنا عزرائيل .

- وأحنيت رأسى ومددت يدى مصافحا وقلت :

- تشرفنا يا افندم .

ولم أستطع أن أمنع رجفة سرت فى نفسى ورعدة سرت الى بدننى عندما نطق الرجل باسم عزرائيل .. رغم أنى كنت متأكد أن الرجل لم يعد له سلطان على بعد أن أصبحت فى حالة وفاة ، وماذا أخشى منه . والمثل يقول « ماذا يضير الشاة سلخها بعد نبجها » أو « ضربوا الأعور على عينة قال خسرانة خسرانة » .

وتمالكت نفسى وتصنعت الثبات .. وتساءلت فى قلة أكرات :  
:

- و ايه الحكاية ؟ ؟ .

وهز عزرائيل رأسه فى أسف ودهشة ، وأجاب مطرقاً رأسه الى الأرض :

- الظاهر قد حدث التباس فى الأمر .. لقد أخطأوا فى المجيء بك الى هنا .. فليست أنت المقصود ، بل المقصود هو صاحب الاسم الذى فى الكشف .. حقيقة أن الاسمين متشابهان ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون عنرا لارتكاب مثل هذا الخطأ .. فهو خطأ مخجل شنيع ... بل هو الأول من نوعه .. فقد يحدث أن تتأخر قليلا فى احضار شخص .. أما أن نحضر شخصا سواه ، فأمر لا يتصوره عقل .

- وساد الصمت برهة .. ورأيت عزرائيل قد امتلأت نفسه بالاكتراب والحيرة .. فشعرت بعطف عليه وأحزننى حزنه .. فأردت أهون الأمر عليه ، فقلت له :

- هون عليك .. فالمسألة بسيطة ، وجل من لايسهو . فأنا على استعداد للصهينة ، والدخول معك فى الدار الآخرة .. ما دمت سأدخلها ان عاجلا أو آجلا .. والواقع أنها تبدو لى أحسن من الدار الأولى كثيرا ،

أما الشخص الآخر فهو طبعاً لا يدري من الأمر شيئاً وإن درى فلا شك أنه سيحمد الله على هذا الخطأ .

وانتظرت بعد ذلك .. أن يهجم على عزرائيل ، فيحتضننى بشدة .. ويقبلنى بلهفة .. شاكراً إياى على هذه الشهامة والأريحية اللتين أبديتهما متطوعاً لانقاذه من ورطته .. فى الوقت الذى كان فى إمكانى فيه أن أفضحه بين الملائكة .. وأطالبه بتعويض على إقلاقى وإزعاجى .. ونقلنى الى الدار الآخرة .. بلا مبرر ولا موجب ...

ولكن عزرائيل هز رأسه فى أسف وقال :

- ليس هذا المحل يمكن قبوله فى هذه الدار ، هنا لا يمكن الصهينة ، على الخطأ .. قد يكون هذا شيئاً اعتدتم عمله فى الدار الأولى ... أما هنا ... فلا ..

ونظرت اليه من أسفل الى أعلى .. وندمت على محاولتى صنع المعروف فى غير أهله .. وساءنى منه أن يسب أهل الدنيا فى الوقت الذى يحاول فيه أحدهم - وهو أنا - أن ينقذه من الخطأ الذى وقع فيه .. وسألته فى تبرم :

- انن فما الذى تنوى فعله ؟

ولم يجبنى بكلمة .. بل قاذنى من يدي برفق .. وانتحى بى جانباً ، وهمس فى أذننى بصوت رقيق :

- ليس أمامى الا اعادتك بسرعة الى الدار الأولى ، واحضار الرجل الآخر قبل أن يكتشف أحد هنا ما حدث من خطأ .. وكل ما أطلبه منك من معوف هو أن تختبئ هنا فى سكون ودون ضوضاء .. حتى أعود اليك بعد لحظة فأذهب بك الى حيث كنت .

وكان صوته مليئاً بالرجاء ، ونظراته تستثير العطف حتى لم يسعنى  
الا أن ألبى رجاءه وأعده بما يطلب .. وان كان الشيطان قد بدأ يوسوس  
لى ويحضنى على ألا أرضخ ولا أمتثل ...

أى أبله أنا حتى أدع الفرصة تذهب من يدى ...

عزرائيل .. ذلك الجبار الذى ترتجف من ذكره الأفئدة وتهلع من  
اسمه النفوس .. يقع فى يدى .. فأتركه يفر بهذه السهولة .. وأعفو عنه  
بهذه البساطة .. ألم يكن من الأفضل أن أنتهز الفرصة فأصج بالصياح  
وأفضحه بين أهل السماء .. أو على الأقل أساومه فى مطلبه .. وأطلب  
منه أجرا نظيره .

وأحسست بالكبرياء تملأ نفسى .. ولم أشعر أنى أتمنى شيئا قدر أن  
يرانى أهل الأرض فى هذا الموقف .. وعزرائيل المخيف الذى  
لايرحم .. يرجونى العودة الى الحياة .. وأنا أتأبى وأتمتع .

وعاد عزرائيل سريعا بعد فترة قصيرة ، وقد تلفح بعباءة سوداء ...  
ثم تأبط ذراعى .. دون كلفة كأننا أصدقاء من فديم الأزل .. وقال لى :  
هيا ... بنا ...







## الفصل الثاني فى الطريق

نائب  
عزرائيل

وسرينا فى الهواء .. هابطين الى السحب .. وأخذت أتأمل السيد عزرائيل من طرف عيني .. وأسترق اليه النظر لأفحصه من قمة رأسه الى أخمص قدميه .. فوجدته مخلوقا جميلا .. مهيب القامة ، حلو التقاطيع ، جذاب الملامح .. ليس به ما ينفر أو يخيف .. ولا فيه ما يثير الرعب أو يملأ النفوس ذعرا ... أجل .. لم يكن به أى شبه من تلك الصورة التى انطبعت فى نفسى من الرسوم التى حاول الانسان أن يصوره بها .. حتى لقد بدأ الشك يملأ نفسى .. ان صاحبي ليس بعزرائيل ، وأنه قد يكون أحد صبيانهم ممن ارتكبوا الخطأ فى احضارى الى الدار الآخرة وقد ادعى أنه عزرائيل لكى يخيفنى ويعيدنى الى الحياة قبل أن يعلم عزرائيل بالخطأ فينزل به عقابا صارما .

وأحس صاحبي أنى أمعن البصر فيه ، فالتفت الى متسائلا عما يسترعى نظرى .. وخشيت أن أولمه بتلك الهواجس التى خالجت نفسى ، وأن أثير سخريته بتلك الصورة التى كنت أتخيله بها .. وأصابنى الارتباك ، ورأيتنى أقول له دون كثير روية ولا تفكير :

- أين المنجل ؟

المنجل !! ماذا تقصد ؟

وازداد ارتباكى وقلت متلعثما :

- المنجل !! .. المنجل الذى تحش به الأرواح !!

- وهنا رأيت عزرائيل ينفجر ضاحكا .. وعلت قهقهته تصم الآذان كأنها دوى الرعد أو قصف المدافع .. وانتابنى خليط من الدهشة والانزعاج وعجبت فى نفسى مما أضحكك ذلك الذى ظننت به وقارا وتؤدة .. ومما قلبه الى قرد ماجن على وشك أن يغمى عليه من فرط الضحك .. وانتظر حتى تمالك أنفاسه .. وأجابنى بخبث :

- من أوهمك أن الأرواح عبارة عن « جرجير » أو « بقدونس » حتى تخيلتنا .. نحشها بالمنجل .

ونظرت اليه فى دهشة وقلت متسائلا :

- اذا فكيف تحشونها ؟ .

- أما زلت مصرا على أنها « تحش » ...

- اذا فكيف تأخذونها ؟

- المسألة غاية فى البساطة .. فيكفى أن أشير بأصبعى الى الروح لكى تترك جسدها وتتبعنى صاغرة راضية .

وهزئت رأسى فى دهشة وقلت :

- شىء عجيب !! .

- ولم العجب ؟ ! وماذا يثير دهشتك !

- يثير دهشتى ذلك التناقض العجيب بين حقيقة الموت .. وبين

ما يتصوره الانسان فيه .. أتدرى أن أكبر كارثة يمكن أن يبتلى بها المرء فى حياته هى الموت .. أتدرى أن الانسان مهما بلغ من تبرمه بالحياة وكرهه لها .. تجده يتعلق بأهدابها ويخشى الموت - رغما عن تأكده أنه سيضع حدا لضيقه وبؤسه - لا لشيء الا لفرط ما يتخيله فى الموت من بشاعة ... لقد قال الانسان :

« تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب فى ازدياد » .

أتدرى لم هذه الرغبة فى الازدياد ... لأن الموت يفرعه ويروعه ... فهو يرى أن الحياة مهما ساءت خير من الموت .. وهو يرى أن ما يعلمه خير مما يجهله ...

أتدرى أى صورة يرسمها الانسان لك فى رأسه يا سيد عزرائيل ... لاتسخر منى ولا تضحك .. ولا تتهم الانسان بالسخف ... واعذره ان كان قد أخطأ فانه لم يرك ...

أنه يتخيلك ( يا سيدى ) هيكلا قد أكل البلى جسده فلم يبق منه الا حطاما بالية وعظاما نخرة .. يروعك منه جمجمته ذات العينين الغائرتين كأنهما حفرتان مظلمتان .. وأنفه المتآكل .. وعظام وجهه البارزة .. وفعه الشبيه بالكهف الخرب .. وقد اتشح بملاءة بيضاء وأمسك بعظام كفه منجلا كبيرا .. ولفته ظلمة حالكة شديدة السواد .

هذا هو عزرائيل المخيف يثير الذعر فى النفوس ويبعث الهلع فى القلوب .. أترى هناك شبها بينك وبين هذه الصورة التى أوحى للانسان بها كرهه للموت وخوفه منه .

ان الانسان يا سيد عزرائيل الجميل .. واعذرني فى هذا اللقب لأنى

أراك تستحقه .. وأراه يكفر عن تلك السيئة التي لحقتك منه يتصوره إياك على تلك الصورة البشعة .

أقول ان الانسان يستطيع أن يعتاد كل مكروه فى حياته .. الا الموت ، فهو لايعترف بأن الموت حق وهو لايوطن نفسه عليه .. ولا ينتظره كحادث لابد من حدوثه ... بل هو يعمل لندياه كأنه يعيش أبداً .. أما كونه يموت غداً .. فذلك ما لا يستطيع تصوره .. هو يفرض فى نفسه الخلود .. ولا يكاد يسمع أن فلانا قد مات حتى يضرب صدره بيده .. ويحملك بعينه ويصبح قائلاً « يا ساتر يا رب .. لقد قابلنى بالأمس فقط وكان صحيحاً سليماً .. » .. كأنه - لافض فوه - .. كان على يقين أن الموت لايقرب الأصحاء .. أو كأنه قد تخيل أن مقابلة الرجل له بالأمس تمنعه من أن يموت اليوم .. أو كان يظن أن صاحبه هو الأول من نوعه الذى يموت بمثل هذه الكيفية ..

ويسمع آخر ان فلانا قد مات .. فيصبح قائلاً « يا شيخ ! ! لقد كان رجلاً طيباً .. ان له أولاداً محتاجين إليه ، ... ويبدى منتهى الدهشة رغم كونه قد سمع من قبل بمائة رجل كصاحبه قد ماتوا رغم طيبتهم ورغم أن عندهم أولاداً محتاجين اليهم .. ولكنه ... الموت .. الذى لايسطيع الانسان الا الاندهاش له .

نعم ، يا سيدى ، هو يأبى الا أن يفاجأ بالموت .. رغم كونه يعرف أن كل انسان معرض له فى كل لحظة وفى كل ظرف .... ورغم كونه يعرف أن الموت ليس له قواعد ولا قيود .. فهو يصيب الطبيب والخبيث والمريض والسليم .. والطفل والصبى والشاب والعجوز ... والذى يستحق الموت ، والذى لا يستحقه ، ورغم كونه يعرف خطأ القائل :

الهوت تقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد  
الموت لم يكن ينقاد قط فهو يختار الجياد وغير الجياد  
أجل .. لقد عودنا الموت أن يكون طائشا أحرق .. فهو زائر لا ميعاد  
له يزورنا بسبب وبلا سبب . وعرفنا عنه ذلك .. وبالرغم من كل هذا ..  
فما زارنا مرة الا وأدهشنا كل الدهشة .. وروعنا وأفزعنا وفاجأتنا  
رؤيته كأننا لم نسمع به من قبل .. وكأننا كنا على ثقة من أن الذى أصيب  
به كل من المخلدين . ولم يكن انسانا فاننا معرضا للموت فى كل لحظة  
كغيره من البشر .

ولكنه الموت ، يا سيدى ! ! . الموت الذى لم يستطع الانسان - من  
فرط ما يتخيله من بشاعته - أن يروض نفسه عليه .. وأن يفهمه على  
أنه حقيقة من الحقائق السهلة البسيطة .. وهذا هو أكثر ما يشقى فى  
الحياة .. فهو دائم القلق والخوف .

ترى ما الحكمة فى هذا يا سيدى .. لم يخدع الانسان فى الموت فلا  
يفهمه على حقيقته .. لم لا يعرف أنه عملية هينة لينة وأنه انطلاق من  
سجن الحياة وتحرر من قيود الجسد .. لم لا يدرك مبلغ ما فيه من حلاوة  
ومتعة فلا يعود بفزع منه ويجزع .. ولا يعود يلطم الخدود ويشق الثياب  
ويعمل الدنيا صياحا وعويلا .. كلما زار له الموت قريبا أو حبيبا .. لم  
لا يدرك أن الموت ليس من البشاعة بحيث يستحق منه هذا البغض وهذا  
النفور .. لم لا يدرك أن ....

- ورأيت عزرائيل يتوقف ... وشملنى بنظرة فاحصة واستغرق فى  
تفكير عميق .. وسمعته يهمس كأنه يخاطب نفسه :

- لقد أصبحت مخلوقا خطرا .. وانى لأرى من الجنون أن أحاول

اعادتلك الى الحياة بعد أن جريت الموت وفهمت حقيقته ... ترى ماذا سينتهى الأمر بنا اذا تركتك تعود فتندس بين الناس وتنفض فيهم تلك الأفكار التي سربتها لى الآن ... لا ... لا ... من الحمق أن أعيدك اليهم ...

وبدا عليه القلق وتملكته الحيرة .. ورأيته يمد يده فيحك بها رأسه ، ويستمر فى القول :

-- ولكن ماذا أفعل وأنا لا أستطيع أن أعيدك الى الآخرة لأن دورك لم يأت بعد ... أتركك هكذا معلقا بين الحياة والموت ؟ ... ولكن من يضمن لى أنك ستستقر فى سكون دون أن تحاول الصعود الى الآخرة أو الهبوط الى الدنيا .. فتكون لى سببا فى فضيحة كبرى .

- ولم أحاول أنا أن أقول شيئا أو أعد بشيء .. لأنى لم أتصور قط كيف تكون الحياة بين الدنيا والآخرة .. وهل يمكننى الاستقرار فيها دون أن يصيبنى الملل والسآمة .. وأنا وحيد لا يؤنس رجشتى انس ولا جان .

وخطر لى خاطر عجيب ! ! . لو أمكن للسيد عزرائيل أن يحضر لى بعضا من حوريات السماء .. أو على الأقل بعضا من حوريات الأرض ... فقد يكون فى استطاعتى أن أمكث كما يرينى معلقا بين السماء والأرض دون أن أخشى الملل ... ودون أن أحاول ازعاجه أو فضحه حتى يحين دورى للصعود الى السماء .

ورافت لى الفكرة .. وطربت لها .. وتخيلت نفسى أول مخلوق يعيش بين السماء والأرض .. وبين الدنيا والآخرة ... تحوطنى الحور العين .. الفاتنات الساحرات .. يسهرن على خدمتى .. كأننى هارون الرشيد .. بل خير منه مائة مرة .. ان لا وجه هناك للمقارنة بينى

وبينه ... فسيكون عزرائيل فى خدمتى وطوع أمرى .. اذ يكفى أن أشعره بأنى قد أصابنى الملل ... وأهدده بالنزول أو الصعود .. حتى يرجف فزعا ويحضر لى كل ما أريد ...

وتملكتنى النشوة ... وصنمت أن أعرض الفكرة على عزرائيل ... ولكننى تصنعت « النقل » ... حتى لا يظن به لهفة فيتدلل ... وحتى يعلم أن المسألة كلها ليست الا محاولة لانتقاذه .

قلت فى قلة اكتراث :

- الواقع أنها مشكلة .. فلا أظن أن الاستقرار بين السماء والأرض بالشئء المحتمل .. اللهم الا فى حالة واحدة .

- وسألنى عزرائيل بلهفة :

- كيف ؟

- كيف .. قد يكون البقاء محتملا .. اذا كان هناك بعض المرغبات .. والمسلّيات التى يقتل بها المرء وقته .. ويصرف بها ذلك الملل الذى يصيبه .

- مرغبات .. ومسلّيات ؟ !!

وأشرت برأسى ببساطة وقلة اهتمام قائلا :

- أجل .

- ولكن أى نوع من المرغبات والمسلّيات ؟

- شئء بسيط .. بضع حوريات ... من السماء أو الأرض .

وبدت الدهشة على وجهه وقال بصوت خفيض كأنه يخاطب نفسه :

- بضع حوريات ... يلزمهن بضع كؤوس من الخمر وأدوات طرب ورقص .

- ثم رفع صوته وهز رأسه هزات متوالية علامة الاستنكار ... وأردف قائلا :

- كلا .. كلا يا سيدى .. ستكون فضيحة بين السماء والأرض ... ثم اننى أيضا لم أعود هذه العملية بعد .. وليس لدى أى استعداد لأن أقوم بتوريد الحوريات لا لك ولا لغيرك .

وصمت لحظة ، ثم استمر فى الحديث :

- ومن يضمن لى أنك ستكون قانعا بعد كل هذا .. وأن الملل لن يتطرق اليك .. ومن يضمن لى أنك لن تسأم تلك الحوريات فتطلب غيرهن .. وغيرهن ... لا ... لا يا سيدى .. الله بينى وبينك .. هيا بنا الى الأرض وليحدث بعد ذلك ما يحدث .

وأصابتنى خيبة أمل شديدة .. ولكنى كتمتها فى نفسى ولم أدع مظاهرها تبدو على وجهى حتى لا يظننى متهافنا على البقاء ... وقلت له فى غير اكتراث :

- هيا .

وعاودنا الهبوط رأيتَه يلتفتالى بعد لحظة ويقول :

- على أية حال .. أنصحك ألا تحاول أن تنشر حقيقة الموت بين الناس فان فى جزعهم منه ورهبتهم اياه حكمة بالغة .. فهو يحد من طغيانهم .. ويخفف من شرورهم وآثامهم ... ففى خشيتِه رادع لهم وزاجر .. فأنت ترى أولئك الذين قد اقترب منهم الموت .... وباتوا



يحسون قربه ... قد طهرت نفوسهم ... وأصبحوا أقرب الى الخير  
وأميل الى فعل الحسنة من ارتكاب السيئة لا لشيء الا لفرعهم من شبح  
الموت .

ثم ان هناك حكمة أخرى لذلك الوهم الذى يتوهمه الانسان فى  
الموت ... وهى الرغبة فى المحافظة على كيان دنياكم .. ولتتخيل معى  
ان الناس كلهم يرون الموت على حقيقته كما رأيته أنت ... وأنهم قد  
أدركوا ما فيه من سهولة وبساطة .. ترى ما الذى يبيهم لحظة على  
قيد الحياة ؟ .. ما الذى يحملهم على البقاء فيها واحتمال سيئاتها  
ومنغصاتها .. هذا الانسان الذى طبع على الشر والسوء ، والذى  
لا يزال - رغم ما يتخيله من بشاعة الموت - يشغل نيران الحروب ...  
يلقى بنفسه فى أتونها ... والذى يحاول أن يدمر الدنيا بدافع أنانيته  
وجشعه .. ماذا تراه يفعل لو أدرك أن الموت ليس بمفزع ولا مخيف ...  
ماذا تراه يفعل اذا كان رغم رهبته من الموت قد ضحى بابنه وبأخيه  
وبكل عزيز لديه بلا أقل سبب ...

يا صاحبي لو أدرك الناس الحقيقة لخلت الدنيا من أهلها فى لمحة  
عين .

وصمت عزرائيل .. ورأيت فى حديثه قولاً صادقاً وحكمة بالغة ،  
ولكنى لم أرد أن أظهر له بمظهر المقتنع حتى لا يظن أن المسألة قد  
انتهت عند هذا الحد .. فسألته فى تهكم ظاهر :

- ولم هذا الحرص على بقاء الدنيا ؟ وما الضرر فى أن تخلو من  
أهلها فى لمحة عين .. انى لأرى فى ذلك راحة للانسان من عناء  
الحياة ... وراحة لكم من عناء العمل ... اللهم الا اذا كان الغرض من  
بقاء الدنيا هو ايجاد عمل لكم .. كما هو الحال فى بعض المصالح

الحكومية .. لأننى فى الواقع لا أكاد أرى أى فائدة فى هذه الدنيا .. لأننا إذا حاولنا تفسيرها أبسط التفسير ، وجدناها لن تزيد على كونها : اما متعة للانسان تعقبها حسرة وجحيم يصلى سعيره فى الآخرة ، واما حسرة وزهد يعقبهما متعة فى الجنة ، وفى كلا الحالتين سيصاب الانسان بالحسرة ان أجلاً أو عاجلاً .. وانا لنراه فى معظم الأحيان ... بفضل المتعة العاجلة .... ويرى أن عصفورا فى الدنيا خير من عشرة فى الآخرة .

أترى تفسيراً للدنيا غير ذلك .. أو لا ترى معنى أن المظلوم الوحيد فيها هو الانسان ... الذى يلوح أمامه باللذات والمتع ... وتدفع فى نفسه الرغبة فيها ... ثم يطلب اليه الكف عنها والزهد فيها .. ما الحكمة يا سيدى ، فى أن تلوح له بامرأة عارية الجسد ، غضة بضة ، مكتنزة الثديين ، ممثلثة الأرداف ... وتملاً نفسه بالرغبة فيها ... فاذا هم بها .... دفعناه جانباً وقلنا له : حرام .... لا تقربها .. ابتعد عنها .. وسنعطيك عنها عوضاً حوريات فى الآخرة .. وما الحكمة فى أن تحرم عليه الخمر فى الدنيا لتعطيه منها أنهاراً من الآخرة ... لا ... يا سيدى ... انى لا أرى معنى لهذا الحرمان ... فاما أن ندعه يتمتع بما فى الدنيا .. بلا وعيد ، ولا تهديد ، ولا نهر ، ولا زجر .. واما أن نعطيه فى الآخرة مرة واحدة .. دون أن نعرضه لهذه التجربة القاسية .. والاختبار المر .. فإننا لسنا بحاجة الى اختباره لأننا أدرى به .

- خبرنى ، يا سيدى ، ما الذى يحزنك من أن تخلو الدنيا من أهلها فى لمحة عين ... أبسينك أن تحال الى المعاش كغيرك من كبار الموظفين فى الدنيا ؟

- وصمت ... وانتظرت أن يبين لى عزرائيل الحكمة فى بقاء

الدنيا .. والسبب في خوفه من أن تخلص من أهلها كما يقول في لمحة عين .. ولكنني وجدته قد وقف فجأة وتسمر في مكانه .. وحملني في بعين تائهة وذهن شارد .. وضرب جبينه بكفه ... كأنه قد تذكر شيئا هاما وصاح قائلا :

-- يا الله ... لقد كنت أنسى !.

ونظرت اليه في انزعاج ودهشة ... ترى ما هذا الذي كاد ينساه .. لابد أنه أمر غاية في الخطورة .. فقد بدا عليه من فرط الحيرة والذهول ما جعلني أتوجس خيفة .. وأردف عزرائيل في صوت خافت :

- لقد كنت أنسى الموعد .

- ثم التفت الى وقد ارتسمت على وجهه أبغى آيات السخط والتبرم ... كأنني حمل قد أثقل كاهله وأنقض ظهره ... وقال :

- لم أر من البشر ما سبب لي من الانزعاج والارتباك مثل ما سببت لي .. فكل ما وراءك معقد مربك .. لقد أفسدت على يومي .. وأنسيتني مواعيدي .

وشعرت بالغضب يملكني .. فقد اتهمني بما كان أولى أن يتهم به نفسه .. ولكن الذنب ذنبى فقد لبثت معه رقيقا مهذبا وحاولت أن أثبت له أن الانسان دائما « جنتلمان » .... ولكن الظاهر أنه لم تجد معه تلك الطريقة فما كان يجب أن أكون معه بمثل هذه السهولة .. على أية حال نحن ما زلنا في الموضوع .... وما زال في استطاعتي أن أريه العين الحمراء ، والتفت اليه وشملته بنظرة ازدراء من أسفل الى أعلى وصرخت فيه بأعلى صوت :

أنا الذى سببت لك الانزعاج والارتباك ... تأخذني من الحياة دون



نائب  
عزرائيل

## الفصل الثالث عزرائيل العاشق

بهت عزرائيل وعلا الاصفرار وجهه - لقد أصابت حملتى عليه  
نجاحا عظيما .... فانفتحا غضبه وانقلب خضوعا وخشوعا .

- رويدك يا سيدى رويدك .. اننى ما قصدت أن أثيرك أو  
أغضبك .. انى فى الواقع مرتبك فعلا ... فاعذرنى ان بدا منى بعض  
السخط والتبرم ... ان لدى موعدا هاما .. ولا أدرى ماذا أفعل الآن .

- أى موعد هذا الذى لديك .. مجلس ادارة ؟

وهز عزرائيل رأسه علامة النفي .. ورأيت منظره يبعث على  
العطف .. فندمت على ذلك الاندفاع منى فى تقريره وتأنيبه ، وحاولت  
أن أخفف من ضيقه ، فقلت له هازلا :

- لعله اذا موعد غرام ! !

ولشدة دهشتى رأيته قد أطرق برأسه علامة الموافقة . وهنا لم  
أستطيع أن أمنع عاصفة من الضحك انطلقت من صدرى .. يا  
للعجب ... عزرائيل عاشق .. وعلى موعد غرام ! !

ونظرت الى عزرائيل فاذا به غريق فى بحر من الخجل .. أغلب ظنى  
أن مبعثه كان حداثة عهده بالحب .. فلقد كان عاشقا مسنجدا .. وأردت  
أن أروح عنه .. فقلت فى بساطة :

- وعلام الخجل وكلنا عشاق .. ترى من تكون المعشوقة السعيدة ؟

ورفع الى عزرائيل عينين يلمع فيهما بريق الحب :

- حورية ما رأيت أفتن منها ولا أحمل ...

وهمت بالضحك .. فقد أطربنى منظر عزرائيل العاشق .. ولكنى  
كتمت ضحكى خشية أن يظن فيها سخرية منه .. ومع ذلك فقد استطاع  
أن يلمح ضحكى فى أسارير وجهى ... فقال :

- يبدو لى أنه قد أدهشك أن أكون عاشقا ...

- أقول لك الحق .. انه قد أدهشنى فعلا .

- ولم ؟

- وترددت برهة فلم أدر بماذا أجيبه .. ولكنى رأيت فى عينيه  
أصرار على الاجابة ... فقلت :

- قد يكون مبعث الدهشة .. هو ما أتخيله من بشاعة عملك  
وقسوته .. وتنافره مع لين الحب ورقته .. فأغلب ظنى أن العاشق ..  
لا يمكن أن يكون قباض أرواح .. وقباض الأرواح لا يمكن أن يكون  
عاشقا .

- لا يا سيدى .. لشد ما أخطأت فى ظنك .. ليست هناك صلة بين  
العمل والحب .. الحب شيء لا يد منه لكل كائن حى ... انه كالهواء الذى  
نتنفسه .. ولا يد من الحب ما دامت الحياة ... وليس فى هذا الكون من

لا يشعر بالحب ولا يحتاج له ، الا الجماد ... فالكائنات الحية لابد لها من التوالد والتكاثر ، والا انقرضت فلم تصبح حية .. والتكاثر لابد له -- في أغلب الأحيان -- من جنسين .. ولابد لحدوث التكاثر من تقارب بين الجنسين .. ولابد للتقارب من جاذبية تدفع أحدهما الى الآخر .. هذه الجاذبية ... هى ما يسمونه : الحب .. وهذا هو تفسير الحب فى دنيائكم .. أما عندنا فيخيل الى أن الكائنات أشبه بالاقطاب المغناطيسية ، لا يكاد القطب السالب يقترب من القطب الموجب حتى يندفع كل منهما تجاه الآخر ... أجل .. ما من روح الا ولها الفها الذى تأنس به وتحس الراحة فى جواره .

وصمت عزرائيل لحظة ، ثم تنهد قائلاً :

- آه يا سيدى لو رأيت قطبى الآخر ... ان جاذبيته لا تقاوم ، حتى لقد أحسست بنفسى أندفع اليه اندفاعا عنيفا .. كأننى قنبلة صاروخية .

يا لعزرائيل العاشق الولهان ! ... لقد أحسست ما به من فرط الوله والصبابة ، وبدأت التمس له العذر فى ذلك الضيق والتبرم الذى أصابه عندما تذكر الموعد . وشعرت أنى عبء يتقل كاهله .. وحمل ينقض ظهره ، وعزمت على ألا أكون عقبة فى سبيله بأية حال .. أجل ، ما كنت بالذى يقف فى سبيل العشاق .. وأنا مدمن العشق ... محترف الهوى .

ونظرت الى عزرائيل وقلت بلهجة مليئة بالعطف عليه .. وتقدير احساسه :

- اسمع يا سيدى .. خفف عن نفسك .... ولا تضيق بى هما ... يمكنك الذهاب الى موعدك دون أن تخشى شيئا .. سأفعل كل ما تطلبه

منى .. سأنتظر كما تشاء .. بين السماء والأرض ... أو حتى بين ربانية  
الجحيم .. أين موعدك ؟

- فى الجنة !

- اذن لقد هان الأمر .. هيا بنا .. تدخل أنت الى صاحبتك ..  
وتتركنى خارج الأسوار أتسلى بمشاهدتها ...

ثم أردفت ضاحكا :

- بشرط أن تذكرنى بالخير عند صاحبتك وعند أهل الجنة .. فقد  
أحتاج الى شفاعتهم يوما للدخول الى الجنة . ان كانت تجدى الشفاعة  
ووضعت يدى فى يده وهممت بالعودة به .. وقد تملكتنى النشوة  
وملأنى الفرح .. فلقد كنت على وشك أن أصيب عدة عصافير بحجر  
واحد .. فأولها : هذه الخدمة الجليلة التى سأؤديها لعزرائيل الولهان ..  
والتي لا أظنه سينساها لى أبد الدهر ... ومن يدرى ... ربما أحتاج  
اليه مستقبلا كما أحتاج الى الآن .. وما أظنه بذاكر للجميل .. وثانيها :  
أنى سأتمتع بمشاهدة الجنة ... ولو من خارج الأسوار ... وهى فرصة  
قد لا تسنح بعد ذلك قط .... فقد يكون مصيرى الجحيم .. وما أظنهم  
يسمحون لأهله بمشاهدة الجنة .. ولا حتى من خارج الأسوار ..  
وثالثها : وهو أمل كان يراود نفسى .. هو أن تسنح لى فرصة فأبصر  
احدى الحوريات تطل من شرفة أو نافذة .. وقد أنجح فى مغازلتها فتنزل  
الى أو أصعد اليها . أو من يدرى قد يرانى السيد رضوان الهمام حارس  
الجنة ، فيدعونى الى تناول فنجان من القهوة ، أو كأس من الخمر التى



تفيض بها أنهارهم ، وقد يكون أكثر كرما فيسمح لى بجولة فى أرجائها ...

أجل ، ما من شك فى أنى سأفقد من عودتى مع عزرائيل .. فحتى لو فشلت فى الحصول على شىء مما ذكرت .. فلن أعدم حجرا خارج الأسوار أقذف به أشجار النخيل والأعناب فأصيب شيئا من التمر والعنب ، ولا أظن أن السيد رضوان سيكون من الهياقة بحيث يعدو ورائى كبقية البوابين .. فما أظن النخيل والأعناب ذات قيمة لديهم .

وجذبت عزرائيل من يده .. ولكنه لم يتحرك .. لقد ظل متمسرا فى مكانه .. ولم يذهب من وجهه ذلك الضيق والحزن .. يا لله .. ماذا يريد منى أن أفعل له أكثر من ذلك .. لعله يريد أن أحضرها له حيث هو . وقلت له فى دهشة :

- ما بك ... ؟ لقد قلت لك انى سأفعل ما تريد .

المسألة أعوص من هذا ... انى أقدر لك جميل صنيعةك ... ولكن ادى أعمالا لم أنجزها بعد ... وكان المفروض أن أنجزها فى ذلك الوقت الذى أضعته معك وقد أزف الموعد ... ولا أدري ماذا أفعل .. أنجز العمل وأترك الموعد .. أم أذهب الى الموعد وأترك العمل ؟ !

وأطرقت برأسى مفكرا ؟ ثم قلت بعد هنيهة :

- هل يمكننى أن أقوم عنك بانجاز هذه الأعمال ؟

وهز رأسه عدة مرات علامة النفى .. فقلت :

- على أية حال أخبرنى ما هى تلك الأعمال .. فمن يدري ربما استطعت إنجازها لك ؟ .. وقد يضع سره فى أضعف خلقه .

- بضع أرواح أريد أن أقبضها ...

- يا ساتر يا رب !!

وتراجعت الى الخلف فى وجل وارتياح .. وأردفت صائحا :

- لا يا سيدى .. لا ... الله بينى وبينك .. هذا عمل لا أجيدته ولا أحذقه .. وليست عندى أى رغبة ولا استعداد للقيام به .. حاشا لله أن أكون قباض أرواح .. اننى لا يفرغنى شيء كروية الموتى .. ولا أكره فى حياتى شيئا كما أكره عملية القتل .

ونظر الى عزرائيل بدهشة وقال :

- قتل ! ؟ ... وما دخل القتل فى موضوعنا .. ان المسألة أبسط كثيرا مما تتصور ...

وصمت لحظة ثم أردف بصوت يفيض بالأس والحزن :

- على أية حال .. أنا لا أستطيع أن أكلفك القيام بواجباتى ، ويكفىنى منك ذلك العطف الذى أبديته نحوى .. وانى لأشعر أنى لا أستطيع أن أوفيك حقه من التقدير والشكر .

وأطرق عزرائيل برأسه وساد بيننا صمت عميق .. وشعرت باللوعة والأسى . ووددت لو استطعت أن أفعل له شيئا .. أى شيء .. وتمنيت لو أمكننى أن أنجز له أعماله .. وأن أقوم عنه بقبض تلك الأرواح التى يرغب قبضها ... ولكنى كنت أحس أن العين بصيرة واليد قصيرة .. وكنت أدرك أن المسألة لا يمكن أن تكون من السهولة بحيث أعد بانجازها ببساطة .. فان المسألة قبض أرواح .. لا قبض نقود .. وقد ترفض الأرواح أن تصعد معى ... وقد تفر منى فى الطريق وتعود الى أجسادها .. بل قد لا أستطيع معرفة أصحاب الأرواح التى أنوى

قبضها .. وقد يروغون منى أو ينكرهم أهلوهم .. وإذا كان عزرائيل نفسه قد أخطأ فى احضارى .. أأكون أنا معصوما من الخطأ .. وأكثر من هذا من يدري أننى بعد أن أقبض الروح وأسمع بكاء أقاربها وأصحابها ... لا يملكنى التأثير فأعيدها اليهم مرة أخرى ... لا ... ان العملية لن تكون سهلة بحال من الأحوال .

ونظرت اليه ، وقلت له فى رقة وأدب :

-- بودى لو استطعت أن أقوم عنك بإنجاز أعمالك .. ولكنى أحس فى نفسى عجزا وقصورا .. وأخشى ان أنا تعهدت بعماء أن أفسدها وأسبب لك مشكلة كبرى .

ورفع الى وجهه وقد بدا متهللا يفيض بالبشر كأن قولى قد أوجد حلا لمشكلته .. وصاح فرحا :

- لا ... لا ... المسألة فى غاية البساطة .. ولا تحتاج الى أى مجهود خاص ، أو مهارة معينة ... سأشرح لك بالضبط كل ما يجب عليك عمله ... وأؤكد لك أنك لن تجد صعوبة فى شىء ما ...

وقبل أن أحبيه بالقبول أو الرفض ... رأيته قد أخرج من عباءته عصا صغيرة وقدمها الى ... وأخرج من جيبه ورقة مطوية وكيسا صغيرا ، وبدأ يشرح المهمة العجيبة قائلا :

- هذا بيان بالأرواح المطلوب قبضها .. وأمام كل منها بضع ملاحظات ستكون ذات فائدة لك ، وليس عليك الا أن تشير الى الروح بهذه العصا .. حتى تترك جسدها مطيعة صاغرة ... وعندما تتجمع لديك كل الأرواح المطلوب قبضها فى هذا الكيس تحضرها الى ... هذا هو كل ما أطلبه منك ... ولن أنسى لك هذا الصنيع أبد الدهر .

ومد الى يده بالورقة والكيس دون أن يعطيني فرصة التفكير فيما أنا  
مقدم عليه ... ودفعني حب الاستطلاع الى أن أمسك بالورقة التي بها  
بيان الأرواح .. فألقى عليها نظرة عابرة .

ولكنني لم أكد أقرأ بضعة أسطر مما بها .. حتى دفعت بها اليه في  
عنف ، وقلت له مرتاعا :

- لا .. لا ... يا سيدى .. هذا شيء فظيع .. هذه قسوة متناهية ..  
أعفى من هذا العمل .. أرجوك .. لاتحملنى مالا طاقة لى به .. ان  
مجرد القراءة قد جعل بنى يصاب بقشعريرة ... فما بالك بالتنفيذ ...  
وكنت صادقا في قولى كل الصدق .. فقد كانت الورقة أشبه بفواتير  
التجار .. فهي عبارة عن جدول سطرت به ثلاث خانات الأولى كنب  
بها الاسم .. والثانية الوقت .. والثالثة المكان .

وكان أول اسم وقع عليه بصرى هو الأنسة ( زيزى ابراهيم ) وكان  
الوقت المطلوب قبض روحها فيه الساعة الثانية عشرة ظهرا ...  
والمكان هو شاطئ سيدى بشر .. أى أننى سأفتح عملى الجليل باغراق  
آنسة فى مستقبل العمر بين أمواج سيدى بشر .

يا للفظاعة .. لقد تراءت لى الأنسة المذكورة بعين الوهم وقد ارتدت  
مأيوها من قطعتين .. وسرى جسدها فى رقة بين الأمواج وحملها التيار  
بعيدا عن الشاطئ وحاولت الرجوع فأضناها الجهد ، وصرخت ، فلم  
يسمعه الا مخلوق واحد ... وهو أنا .

وتبصرنى الفتاة فتتهافت نحوى ، ولكنى بدلا من أن أتقدم اليها  
فأنتشلها من بين الأمواج .. كأى رجل به ذرة من الشهامة .. أشير اليها  
بالعصا .. فأقبض روحها .. وأترك جسدها الجميل يهوى الى قاع  
البحر .

ونظرت الى عزرائيل فى غضب واستياء .. فلم أر بوجهه أى مظهر  
من مظاهر الخجل على سوء فعلته ... بل كان يهز رأسه فى دهشة  
متسائلا :

- ما هذا الشيء الفظيع الذى تقول انه قسوة متناهية ؟

فأجبت فى غضب :

- تطلب منى اغراق آنسة فى مقتبل العمر .. ثم تتساءل عن وجه  
الفتاة فى هذا ؟

- نعم ، وما زلت أتساءل ! .

- آنسة فى مقتبل العمر .. غضة بضة .. أضافت بك الأرض فلم تجد  
الا هذه الآنسة تنقض عليها فتقطف عودها الأخضر النضر ؟ لم لا  
تتركها تتمتع بشبابها وحياتها ؟

- ولكنك يا سيدى تعلم أن الدنيا لاتسحق أن يعيش فيها المرء ...  
ولقد قلت أنت نفسك : ان بها من السيئات ما يجعل الانسان يفضل الفرار  
منها لولا خوفه من الموت .. فهذه الفتاة سترحمها من شرور الحياة !  
وهنا تذكرت الدنيا بقبحها ومصائبها ورذائلها .. فرأيت عزرائيل  
على حق ، غير أنى قلت له :

- ولكن ألا يمكن أن تختار لها ميتة أخرى .. غير الغرق .. فانى  
أرى فيها ميتة بشعة ؟

- وما وجه البشاعة فيها ... ألم تمت أنت نفسك تحت عجلات  
الترام ؟

- نعم ...

- أتراك قد أحسست بما يتخيل الناس من آلام الموت وأوجاعه  
وبشاعته وشناعته ؟

- كلا مطلقا .. لقد كانت ميتة سهلة هينة .

- وهذه أيضا ستكون مثلك ... فالموت هو الموت مهما اختلفت  
وسائله .. وهو جميل محبوب مهما تنوعت مظاهره .. ومهما بدا للإنسان  
من بشاعته .

ومددت يدي فاستعدت الورقة .. بعد أن هدا روعي واستعدت في  
ذهني حقيقة الموت .

وبدأت القراءة .. الاسم الثاني ... المعلم « حنفي عبد الغفور  
السماك » وزوجته « زهرة ابراهيم » ... كلاهما في زمن واحد ..  
ومكان واحد ... الساعة الثانية بعد الظهر .. تحت أنقاض منزل في حي  
سیدی زینهم .. يا ساتر يا رب !

ونظرت الى عزرائيل بطرف عيني نظرة مليئة بالغیظ .. ولكني  
عدت فتذكرت حقيقة الدنيا وحقيقة الموت ، فلم أنبس ببنت شفه ...

ولم يدعني عزرائيل أتم القراءة .. اذ كان مواعده قد أوف .. وكان  
في عجلة من أمره .. فقال في لهجة المتعجل :

- لا حاجة بك الى أن تتم قراءتها الآن .. فالخط واضح .. ولا أظنك  
ستخطيء في قراءته .. وعلى أية حال ...

ثم مد يده فأخرج من جيبه جهازا صغيرا في حجم الكف وأردف  
قائلا :

- هذا جهاز لاسلكي صغير .. يمكنك بواسطته الاتصال بي في أية

لحظة ان صادفتك عقبات ... ولو أننى أظنك لن تحتاجه ... لأنك سترى  
المسألة فى غاية البساطة .

وهز يدي مودعا .. واتفقنا على أن نلتقى فى تلك الساحة التى التقينا  
بها أول مرة .

وانطلق عزرائيل صاعدا الى السماء .. تاركا اياى معلقا بين السماء  
والأرض .. وقد أمسكت بيدي الورقة والعصا والكيس والجهاز .. وقد  
أصابتنى حيرة ودهشة ما أظن أحدا يستطيع حتى مجرد تخيلهما .

من يصدق هذا ؟ ... من يخطر له على بال أنى سأعود الى  
الأرض ؟ ... ويأى صفة ؟ !! .. بصفة عزرائيل الموحش  
المخيف !! .. سأعود لأقبض الأرواح وأخلف اليتامى والثكالى ..  
والأعين الدامعة ... والقلوب الموجعة !!

وأحسست بأنى على وشك أن أضعف ، ولكنى تماكنت ، وقلت  
لنفسى .

ان العمل عمل .. لقد وعدت الرجل .. وسينجز حرا ما وعد !!







نائب  
عزرائيل

الفصل الرابع

## نائب عزرائيل

ووقفت أفكر برهة وأنا أهز العصا فى يدى كأنى « ماريشال » فى ميدان قتال .. وشعرت بالكبرياء تملأ نفسى .. فقد بدأت أحس بمدى المسؤولية الملقاة على عاتقى .. انى لم أعد بعد شيئاً تافهاً .. انى لم أعد مجرد انسان ... أو روح انسان .. لقد أصبحت نائب عزرائيل ... أو على الأصح عزرائيل نفسه ما دمت أملك هذه العصا التى أستطيع أن أشير بها الى الأرواح فتغادر أجسادها مطيعة صاغرة ... أجل .. لقد أضحت أرواح البشر كلها فى يدى .

وهنا خطر بى خاطر عجيب .. لقد كنت فيما مضى أعجب لتلك الطريقة التى يسير عليها الموت ، وأرى كثيراً ما يأخذ الشخص الذى لا يحب أخذه .. وأنه - كما قلت لعزرائيل - بلا قواعد ولا نظم .. فما استطعت مرة واحدة أن أبصره فى موضعه ... وما أشعرنى قط بحكمته ورويته ، وانى لأوقن أن الدنيا ربما قد تكون خيراً مما كانت لو أن للموت قواعد ونظم ... فلا يصيب الا الأشرار والذين لم يعد لوجودهم فى الدنيا نفع ولا فائدة .

وبدأت ترد على خاطرى حوادث الموت الطائشة الحمقاء التى رأيتها  
فى الدنيا .. والتى لم أكن أجد لها وقتئذ أية حكمة أو معنى .

ذكرت ذلك الطبيب الشاب .. الملىء بالصحة والقوة والذى بدت  
أمامه طرق المجد ممهدة معبدة .. وبسم له الحظ .. فدفعه الى قمة  
الشهرة فى غمضة عين ، وأصبح على حدائته يشار اليه بالبنان ... ولم  
تحرمه الحياة من متاعها ، فوهبته زوجة حسناء طيبة ، وطفلا جميلا  
قرت به عيناه ...

وذهب الطبيب ذات يوم يعود مريضاً أقعدته العلة وأزمن به الداء ..  
وفحص المريض ... وقلبه بمنة ويسرة ثم خرج من حجرة المريض  
يتبعه أهل الدار ... وقلب شفتيه وهز رأسه فى يأس ، وقال لهم فى  
صوت خفيض :

— أصارحكم القول ... لم يعد هناك أمل ولا رجاء ، ان أيامه فى  
الحياة قد أضحت معدودات .. ولا أظن الطب سيجديه نفعا .

ولم يتأثر أهله كثيرا ولم يحزنهم قول الطبيب فقد كانوا يعلمون ذلك  
قبل أن يقوله .. ولم يكن مجيئهم به الا اطلاقا لآخر سهم فى جعبتهم  
التى طاشت كل سهامها .

وبعد ساعتين أتى الى صاحب لى قد اصفر وجهه ، وهتف بصوت  
مبحوح :

لقد مات !!

— رحمه الله ... لقد انقذه الموت من أوجاع المرض .

— أى مرض ؟ .. انه لم يشك مرضا قط .

-- ألسنت تقصد الرجل المريض ؟ !

وهز صاحبي رأسه فى يأس ، وتساقطت من عينيه دمعتان وهمس :

- انه الطبيب .

-- الطبيب ؟ !!

وقفزت من مقعدى كأن أمراً قد وخزنى فى جانبي أو كأن شيطاناً قد مسنى ... أو قد مات الطبيب ؟ ! يا للموت الهازل .. يا للموت الأحمق الطائش ! !

ذلك الرجل الممتلىء صحة وقوة والذى لم يكن يتوقع لذلك الجسد المحطم أكثر من أيام معدودات ! ! ... قد بخل عليه الموت حتى بهذه الأيام المعدودات فلم يهبه هو الا دقائق وساعات .

لقد تبتم ابنه .. وترملت زوجته .. وتكلت أمه .. وبيعت عيادته .. وأصبح كأن لم يكن .. والرجل المريض ما زال مريضاً ... لاشفى ولا مات .

وأمسكت رأسى وقتذاك أعتصره على أجد سببا لهذا الخلط وحكمة لهذا البذل .. فأعيانى البحث ولم أشك لحظة فى أنى لو كنت مكان عزرائيل لما خطر لى قط أن أترك المريض وأقبض روح الطبيب . اللهم الا أن أكون فى حالة سكر وفى غير وعى ... وهو ما أستبعده وأنزه عنه عزرائيل .

ونكرت تلك الزهرة الآدمية النضرة العاطرة .. التى تلالأت البسمات فى وجهها .. كما يتلألأ الندى على وجنات وردة صافحتها أشعة الشمس فى الصباح .

ونكرت روحها المرححة الضاحكة .. وآمالها الحلوة وأمانها التي لا حد لها .. كانت شديدة الثقة بالحياة قوية الايمان بالمستقبل ، وكانت تعيش من أحلامها فى قصور ذهبية .. ولم تبخل عليها الحياة بما يحقق أمانها فوهبتها خطيبا أحست بأنه الف روحها .. فزادت الحياة فى نظرها ازدهارا .. وبدأت ترسم فى رأسها ثوب الزفاف .. وبدأت تحلم بدارها الجديدة ... وكيف تنظمها وتنسقها .. وتتخيل أطفالها .. وكيف يلهون ويلعبون وكيف ستحاول هي تأديبهم .

ونكرت كيف قابلتها عائدة من عند الخياطة قبل موعد الزفاف ببضعة أيام ، وكيف كان السرور يبرق فى عينيها والسعادة تشع من وجهها .. ودعنتى الى حضور الزفاف ، فهنأتها مقدما .

وبعد يومين أمسكت بالأهرام .. فاذا صورتها فى صفحة الوفيات .. لقد نوت الزهرة واحتواها الثرى .

وخرجت من الدار .. فكان أول ما وقع عليه بصرى ذلك المتسول الكهل الضريع .. الذى بلغ من العمر أرذله .. والذى أضاع عمره تحت ذلك الجدار .. يطلب حسنة تعينه على حياة أغلب ظنى أنها لاتساوى الحسنة ، ولا حتى السيئة .

ورأيت رأسى يضطرب بسؤال ... ولم أستطع له جوابا ... ؟ .. أترى عزرائيل وهو فى طريقه ليقبض روح الفتاة الناضرة لم يمر على هذا الجسد الذابل الداوى ... وهل لم يصبه الخجل وهو يصعد بالروح الأولى ويترك الثانية ؟

أترى لديه حكمة فى هذا البذل ؟ ..

ونكرت حوادث كثيرة مشابهة .. ونكرت أكثر من ذلك أننى كنت

أتمنى عقب كل حادثة أن أكون مكان عزرائيل .. حتى أريه كيف تقبض  
الأرواح وكيف تكون حكمة الموت .. وأجعل الناس يحسون أنى لا أضع  
الشيء فى غير موضعه .. ويدركون أن كل روح قد أخذتها تستحق  
الأخذ .. فلا تعود تضنيهم حسرة على موتاهم ... ولا يعودون يحسون  
بخسارة لفقدهم .. بل على النقيض .. يشعرون بأن الخير كل الخير فى  
موتهم .

أجل .. كم كنت أود أن أكون مكان عزرائيل فأريه كيف يكون إصابة  
الهدف .. وكيف يكون أحكام الاصابة .. فأسمع بعدها من البشر تصفيق  
الأيدي بدل لطم الخدود .. وصيحات الاعجاب بدل صرخات الحزن  
والألم .

والآن وقد أمسكت بالعصا فى يدي .. وتحققت لى تلك الأمنية التى  
كنت أظنها خرافة لا تتحقق ... وأصبحت الأرواح رهن اشارتى ...  
فليس على الا أن أشير لها بالعصا حتى تفارق أجسادها طائعة صاغرة .  
الآن وقد أصبحت عزرائيل الذى تمنيت أن أكونه ...

أترانى سأحقق تلك النوايا التى دارت برأسى فى زمن مضى ، يوم  
كنت لا أزيد على مخلوق يرسف فى أغلال جسده ؟ !

أترانى سأقيد بذلك البيان الذى أعطانيه عزرائيل .. فأرتكب تلك  
الأخطاء التى كانت تنير فى نفسى الدهشة والغضب ؟ .. أترانى سأتابع  
ذلك البيان بكل ما فيه من متناقضات كنت أرى بنفسى فى حياتى عن  
ارتكابها ؟

كلا .. هذه فرصة العمر .. ولم أكون من الحماقة بحيث أتركها  
تمر . لابد أن أكون عزرائيلا نمونجيا .. سأضرب للسيد عزرائيل المثل

الصالح .. فلعلة يبصر على ضوئه مقدار ما كان يرتكب من أخطاء ..  
ولعلى أرسم له طريقا سويا يسير على هداه فى مستقبل الزمن فأكون  
بذلك قد أسديت الى البشر خدمة كبرى ووضعت لهم نظاما وقواعد  
للموت .. فلا يعودون يفاجئون به بعد ذلك .. وتصبح حياتهم خيرا من  
تلك الحياة القلقة المضطربة .

وأحسست برأسى يصطخب بالأفكار .. ورأيت نفسى حائرا بين  
أمرين واجبم نحو عزرائيل ، وواجبى نحو الانسان المسكين ... فلا  
شك أن فى الخروج عن البيان ، وفى محاولتى قبض أرواح غير التى  
أدرجت فيه ضررا بليغا بعزرائيل .. وإخلال بعهدى منه ووعدى له .

ولكن العمل الجليل الذى تخيلت أننى قد أستطيع عمله للانسان ..  
يستحق منى أن أحنث بكل وعد وأن أخون كل ميثاق وعهد .. ولا أظن  
خيانتى للعهد فى تلك الحالة تسمى خيانة ... بل تضحية ومروءة ..  
لأننى أعتقد أن الرذائل لن تكون رذائلا الا مما ينتج عنها ، وأرى من  
السخف أن يحاول الانسان التمسك بالصفات الحميدة .. اذا كان عكسها  
قد يؤدى الى خير منها .. وكم صادقتنى فى الحياة ظروف كان الكذب  
فيها خيرا ألف مرة من الصنق .

وعلى ذلك فقد استقر رأيى ألا أتقيد فى عملى بالورقة التى معى ...  
وأن أكون حرا فى تفكيرى وفى تصرفاتى وأن أقبض من الأرواح ما  
أراه يستحق القبض ... .

وبدأت فى الهبوط .. وأنا أستعرض فى رأسى تلك الأرواح التى  
سأبدأ فى أخذها قبل غيرها .. وأخذت أبحث عن أكثر أبناء آدم ضررا  
بأبناء آدم .. وأشدهم فتكا بهم .. وأخذت أنقب فى ذاكرتى عن أكثر  
الناس إجراما وأشدهم خطورة .. اذ كان على أن أبدأ بتطهير الأرض

منهم حتى أجعل الناس أكثر شعورا بالأمن وأكثر اطمئنانا على حياتهم ..  
ويلى ذلك المرضى والعجزة والمجانين الذين تكاد تضيق بهم الدنيا على  
سعتها والذين ليسوا هم بأحياء ولا أموات .

ولكنى وجدت وقتى أضيق من أن أحاول حتى مجرد احصائهم ..  
ورأيت أننى لابد أن أقتصر على أقل عدد ممكن من الأرواح التى  
أستطيع بأخذها أن أودى خدمة عامة للإنسانية .

وهنا كان لابد لى من أن أحاول التفكير فى هدوء .. حتى يكون  
تفكيرى منطقيا معقولا ... فيقوينى الى أحسن النتائج .. لأن المسألة  
كانت أجل من أن أحاول حلها حلا مرتجلا .. فلا أظن الفرصة قد أتاحت  
لكائن من كان أن ينوب عن عزرائيل فى عمله ، ولا أن يتمتع بذلك  
الخاصية التى أتمتع بها الآن .... فمن الحمق أن أضيعها دون أن أفيد  
منها أكبر فائدة يمكن الحصول عليها .

وهنا لاح لى خاطر جعلنى أهتز طريا ...

قد يكون العالم مليئا حقا بالأشرار والمجانين ... وقد يكونون ذوى  
خطر على من حولهم ... الا أن هناك نوعا معينا من المجانين الأشرار  
أخطر كثيرا من النوع العادى ... فهم لا يبدون للناس أنهم مجانين أو  
أشرار ... ومع ذلك فإن خطرهم لا يقتصر قط على من حولهم .. بل  
يتعداهم الى غيرهم ممن هم بعيدون عنهم كل البعد .. هؤلاء هم أشد  
الناس فتكا بالناس وأخطر أبناء آدم على أبناء آدم ... هؤلاء هم المجانين  
العالمون .

هؤلاء المجانين المطلقو السراح ... لهم قدرة على خداع الناس ،

وايهاهم أنهم أكثر منهم عقلاً ... فيمسكون بزمامهم ويتحكمون في أمورهم .. ثم يقودونهم الى الدمار ويلقون بهم الى التهلكة .

هؤلاء هم من تعودنا أن نسميهم بذلك بالزعماء والقادة .. وما أظن هناك أمة من الأمم الا وقد أبتليت بذلك النوع من المجانين ... وهم يبدأون بالصراع مع غيرهم حتى يصلوا الى ما يسمونه بالزعامة أو القيادة .. فيأخذون في الصراع مع بعضهم البعض ، لارضاء مطمع أو اشباع شهوة ملتهمسين في ذلك ما شاءوا من الأعذار البراقة والحجج الكاذبة .. وتصطدم من ورائهم الأمم التي يتولون قيادتها .. وتشترك في صراع مخيف ... تذهب ضحيته الجحافل البريئة كأنها وقود في أتون تضطرم نيرانه .

وهنا وهناك يقف أولئك المجانين كالمهرجين ليشاهدوا الانسانية تتنحّر ، ويبصروا الانسان يأكل بعضه بعضا .. فان توانى أو أصابه الكلل .. صاحوا به يغرونه بالشر ويدفعونه للأذى .. وينذرونه بالفناء ان لم يفن خصمه . هؤلاء المجانين يخدعون الناس بطريقة ساحرة ... لم يستطع أحد حتى الآن أن يكتشف مبلغ ما فيها من غش وخديعة ومكر سييء .. هذه الطريقة هي بث ما يسمونه بالروح الوطنية ، .. أو على الأصح روح التعصب الوطنى فالروح الوطنية هي شر ما ابتلى به الانسان .. وهي التي لا تقفأ تقوده الى تلك الحروب البشعة المنكرة . « فالوطنية » بهذا المعنى ، هي الأنانية بأسوأ معانيها وأبشع مظاهرها . فهي أنانية أمة .. وهي أن تشعر مجموعة من الناس بأنهم خير من غيرهم .. وأنهم يجب أن يكون لهم السبق في الحياة وفي رفاهيتها وفي متعتها .. ويأتى بعد ذلك غيرهم .. أو لا يأتون قط فذلك لا يهمهم . أجل .. ان الأنانية تعنى أن يقول الفرد « أنا أولاً ، » والوطنية ، التي



نقصدها هنا تعنى أن تقول الأمة « أنا أولا ، ... وهنا يبدأ الصراع .. وينشب القتال .. فكل أمة تريد أن تنهش من جسد العالم أكبر قطعة يمكنها نهشها ... فيأكل الضعيف القوى .. ثم يصطدم القوى بالقوى فيصرعهما الصدام .

هذه هي « الوطنية » أو روح التعصب الوطنى .. التى يظنها الانسان خير ما يفرضه على نفسه .. وهو لو درى لعلم أنه ما قاده الى التهلكة شر من هذه « الوطنية » ، ولو كشف عن بصيرته لأدرك أن الانسان يمكن أن يصل الى أعلى مراتب الكمال لو استطاع أن ينزع من نفسه ما يسمونه ، على هذا النحو ، « بالوطنية » ... وغرس بدلها الاخاء الانسانى الذى يجعل الدنيا كلها وطننا واحدا ، والذى يجعل ابن آدم ، مهما كان جنسه ، ومهما كان موطنه .. عندئذ .. وعندئذ فقط .. يصبح العالم آمنا من شر الحروب .

ولكن ، هل ترى أولئك المجانين الذين يقودون الأمم يمسحون بذلك الاخاء الانسانى ؟ .. والا فماذا يكون عملهم وقتذاك .. وكيف يكونون قادة وزعماء .

تلك هي العلة فى ذلك الجسد المريض .. لو أمكننى استئصالها لأنقذت العالم من السوء ووقيته من كل شر .

أجل .. لو استطعت أن آخذ أرواح هؤلاء المجانين وأُنذر الناس أن كل مجنون على شاكلتهم يحاول أن يتجر بذلك الوباء الذى يسمونه « الوطنية » .. سيكون مصيره مصيرهم ...

آه لو استطعت أن أفعل ذلك .. لضمنت للعالم سلاما دائما وأمنا مستتباً .. ولانصرف الناس الى اسعاد أنفسهم ورفاهيتها .

وهنا أحسست أنني قد توصلت الى خير ما ينبغي أن أفعل .. فهزرت العصا فى يدى وقلت ضاحكا : « جالك الموت ... » .

وأمسكت بالورقة التى بها بيان الأرواح .. وهممت بتمزيقها .. اذ لم أعد فى حاجة اليها .. ولكن خطر لى أن أتسلى بقراءتها فى طريقي الى الأرض .. ونشرتها بين يدى ومررت ببصرى على الأسماء الثلاثة الأولى وهى الآنسة زيزى ، والمعلم حنفى ، وزوجته ، مروراً عابراً .. وبدأت أقرأ ما يليها من الأسماء .

الاسم الرابع : « جابر بك كيراشو » .. الزمن الساعة الثانية والنصف عقب وليمة غداء .. المكان على المائدة فى داره الجديدة بباب الخلق .

ولا أدري ما الذى دفعنى الى الضحك عند قراءتى لهذا الاسم .. أترانى قد أصبت بغلظة قابضى الأرواح وقساوتهم واستهتارهم بعملية الموت .. أترى العذوى قد انتقلت الى من عزرائيل بمجرد أن أمسكت عصاه .. أم أن موت السيد كيراشو فى وليمة غداء شىء يثير الضحك حقاً .. على أية حال ما كان يجب على أن أضحك فقد خيل الى أنى قد أصبحت أشبه « بالحنوت » الذى تضحكه الجنازات .

الاسم الخامس «محمود أفندى الفنط» الزمن : الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، المكان : شارع السد البرانى حيث يصدمه تاكسى أثناء عبوره الشارع وراء الآنسة «تحية لف» وانهماكه فى مغازلتها ..

الاسم السادس والسابع والثامن ... حتى العشرين أسماء لركاب إحدى عربات الترام رقم ١٣ الذاهب الى الامام الشافعى الزمن الساعة

الخامسة مساء ، والمكان : شارع محمد على وقد خرج الترام عن القضبان واصطدم بأحد المنازل . ( ملاحظة : المدعو محمود أبو السعد .. سيكون أحد ركاب الترام ... فيجب التأكد تماما من أن روحه ليست ضمن الأرواح المقبوضة وأنه يستمر على قيد الحياة ... لأنه شخص منحوس ولا يمكن الاستغناء عنه في أمثال هذه الحوادث ) .

الاسم الحادى والعشرون « حسين قدرى » .. الزمن : الساعة الخامسة والنصف مساء ، المكان : عربة بويك مقلوبة فى شارع الهرم حيث كان يسوقها بسرعة ١٢٠ كيلو فى الساعة ، وهو يحتضن الأنسة « فيفى جمال » .

( ملاحظة : الأنسة المذكورة تستمر على قيد الحياة .. حيث أنها مطلوبة فى حوادث انقلاب عربات أخرى ) .

وانتهيت من القراءة ... وهنمت بأن أمزق الورقة ، ولكن مرت برأسى فكرة جعلتنى أحجم عن تمزيقها .

لقد خطر لى أن أصحاب هاته الأرواح المطلوب قبضها ... والذين قد قدر لهم أن تنتهى حياتهم اليوم ويبيتون جثثا هامدة ... لن يحسوا أننى عدلت عن أخذ أرواحهم .. وأنهم سيسيرون فى الطريق الذى قدر لهم أن يسبروا فيها .. حتى ينتهى الأمر بكل منهم الى أن يقع فى الكارثة التى لا بد أن تؤخذ روحه بعدها .. ولكن الروح لن تجد من يأخذها .. وعلى ذلك اما أن تمكث حائرة بين البقاء والصعود .. واما أن تصعد من نفسها الى السماء فتفضحنى وتفضح عزرائيل .

وتملكتنى الحيرة .. فقد كانت المسألة أصعب كثيرا مما تخيلتها فى بادئ الأمر ... وكان من الحق أن أترك أصحاب الأرواح يتردون

فى مهاوى الموت ويلقون بأنفسهم الى التهلكة ، ثم أترك أرواحهم حائرة فى أماكنها .

وأخيرا استقر رأيى على أمر صممت على تنفيذه .. فلقد رأيت أننى ما دمت قد عزمت على ألا أقبض أرواحهم وعلى أن أتركهم يتمتعون بالحياة .. وآخذ بدلهم ما يماثلهم عددا من أولئك المجانين الأشرار الذين يسمونهم : القادة والزعماء .. والذين يعيشون فى الأرض فسادا ، ويحرضون الناس على قتل بعضهم البعض وتدمير العالم بحجة المحافظة على كيان أوطانهم . كأنهم لا يدرون أن أوطانهم جزء من العالم ، وأن فى هدم العالم هدم لأوطانهم .

أقول أننى ما دمت قد عقدت النية على انقاذ هؤلاء الأبرياء ، فيجب على أن أمنعهم من التردى فى مهاوى الموت ، وأن أنزل اليهم فأبعدهم عن المسلك الشائن الوعر الذى سيودى بهم .. وأقودهم الى طريق السلامة والنجاة ، فلا أتركهم الا وهم آمنون سالمون بعيدون عن كل ما كان سيدفع بهم الى الموت .. وعندما انتهى من مهمة انقاذهم .. يمكننى بعد ذلك أن أشمر عن ساعدى لقبض الأرواح المجرمة التى نويت أن أنقذ منها العالم .

- وهكذا بدأت أتوجه الى الروح الأولى لأنقذها من مصيرها المحتوم .



نائب  
عزرائيل

## الفصل الخامس الروح الأولى

أخذت أقترّب من الأرض .. وقد لاح لى منظرها كأننى هابط من طائرة .. وبدأت أميز الشاطئ الممتد .. وبدأت لعينى صفرة الرمال وزرقة المياه .. ثم استطعت أن أميز المظلات التى تناثرت على طول الشاطئ كأنها نقط متجاورة .. ورأيت الناس كأنهم هوام تزحف على الرمال .

وزاد اقترابى حتى بدأ لى كل شىء فى وضوح تام .. وأخيرا أحسست أننى قد هبطت الى الأرض ، وأننى عدت مرة ثانية بين البشر .. وان كنت ما زلت أشعر أنى مطلق من قيود الجسد .. وأننى أستطيع أن أسرى بينهم كما يسرى النسيم ، وأن أنتقل من مكان الى مكان دون جهد أو مشقة .. فلم تكن الجدران والحجب التى تعوق الأجساد البشرية لتعوقنى .. اذ كنت روحا طليقة .

ونظرت الى الساعة فى معصم رجل قد استلقى فى الشمس .. فاذا هى الحادية عشرة . وكان موعدى مع الأنسة الغريقة .. أو على الأصح موعد خروج روحها هو الثانية عشرة .. فقلت لنفسى : أجدول جولة بين الكبانن ، والمظلات .. كما تعودت أن أفعل وأنا على قيد الحياة .. اذ لم يكن يسرنى شىء قدر أن أمتع البصر بتلك الأجساد المستلقية على

الرمال .. تلك الأجساد الناضجة المستوية .. التي تمددت في استرخاء وفتور .. ولكنه استرخاء في جوفه جمال يتحفز ، وفتور في باطنه فتنة تتوثب .. فهو استرخاء ملؤه الاستدعاء وفتور ملؤه الفتنة والاغراء .

وبدأت السير أو على الأصح السريان بين طوابير الأجساد المتحركة المتدفقة كأنها جنود تستعرض .. وان كانوا يختلفون بأنهم يستعرضون أنفسهم ، فكل منهم عارض ومستعرض .. ومعجب ومتعجب .. وكلهم يتكلفون في كل ما يفعلون .. في سيرهم وفي حديثهم وفي ضحكهم .. كأنهم ممثلون على خشبة مسرح .. اذ يحس كل منهم أن الأبصار لا عمل لها الا النظر اليه والى قوامه المشوق أو وجهه الجذاب أو شخصيته الشهيرة .. فيسير كأنه في معرض أزياء أو مسابقة جمال .

وخطر لى خاطر خبيث طالما تلهفت اليه وأنا جسد حى .. خاطر كان من المستحيل على تنفيذه وقت أن كنت من البشر .. اللهم الا اذا حصلت على ما يسمونه « طاقية الاخفاء » .. والذي لم أكن أتمنى فى حياتى شيء قدر الحصول عليها .

أجل .. خطر لى ذلك الخاطر الخبيث الذى ما انفك الشيطان يسر لى به فى حياتى .. والذي أنكر أنى حاولت تنفيذه مرة ولكنى بؤت بالخيبة والفشل ...

كان ذلك منذ بضع سنين وقد جلست خارج «الكابينة» مع أحد أصدقاء السوء .. وكانت صاحبتنا - وهى صديقة حديثة العهد بمعرفتنا - قد أغلقت عليها الباب وأخذت تخلع ملابسها لتلبس المايوه .. وتمنيت وقتذاك لو استطعت أن أخترق ببصرى تلك الجدران التى تخفى عنا الفتاة وقد خلعت ملابسها وبدأت عارية كحواء من غير ورقة توت .. وبخيلت ذلك الصدر الممتلىء وقد تحرر من قيود الملابس وبدأ طليقا فى ثورة وعنف بذلك اللون الأبيض المشرب بالحمرة ، وذلك الامتلاء المتناسك

فى غير ترهل ... ونظرت الى صاحبى فرأيتة يهز رأسه أسفا  
كالمحروم الذى يتضور جوعا وأمامه أشهى الطعام .

ودفعنا جنون الصبا لأن ندبر مؤامرة تهيب لنا أن نبصر ذلك التمثال  
الحى الرائع .. فانتظرنا حتى خرجت الفتاة ونزلت الى البحر ثم عادت  
لتجفف جسدها وتبدل ملابسها مرة أخرى .

وقبل أن تدخل الفتاة كنا قد تسللنا الى داخل « الكابينة » وأختبأنا خلف  
ستار أخفانا عن أبصارها .. ووقفنا ننتظر .

وبدلت الفتاة تقفز وتتواثب ، وأخذت تتغنى بإحدى الأغنيات ..  
وكان أول ما فعلته أن وقفت أمام المرأة وهى تتأمل جسدها من قمة  
رأسها الى أخمص قدميها ثم ترفع ذقنها الى أعلا وتتأمل وجهها ..

وطالت وقفتها أمام المرأة وهى تتأمل نفسها .. ونحن واقفان على  
أحر من الجمر .. ننتظر أن ترفع عن جسدها تلك الغلالة الشفافة التى  
أصققتها المياه بجسدها .

وبدأت الفتاة تضحك أمام المرأة وأقتر ثغرها فبدت أسنانها لامعة  
بيضاء .. فمدت رأسها الى المرأة وفتحت فمها على آخره وبدت لنا كأنها  
تفحص أحد ضروسيها .

وطال الانتظار .. وازداد بنا الشوق .. حتى رأينا أخيرا أن قد مدت  
يدها وأنزلت إحدى حمالات «المايوه» .

وكنمنا أنفاسنا .. وامتدت أعيننا .. واشرببت أعناقنا .. فقد بدا لنا  
أعلا الصدر .. وانتظرنا أن تنزل الحمالة الأخرى فيبدو لنا الصدر  
كاملا .

وفى تلك اللحظة أبصرت بصاحبى قد وضع يده على أنفه فانه يكتم  
«عطسة» هملى وشك أن تغلت .. وبدا لى يهتز كأنما « العطسة» تحاول

أن تجد لها مخرجاً . وأخيراً حدثت الكارثة ، وعطس صاحبي «عطسة»  
زلزلت منها الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وقالت الفتاة  
ما لها .

أجل لقد صرخت الفتاة .. وأعادت «المايوه» كما كان ونظرت إلينا  
نظرتها إلى طفلين عابثين .. وطردتنا من الكابينة كما طرد آدم من  
الجنة .

نكرت تلك الحادثة .. ورأيتني الآن أستطيع أن أشبع لهفتي  
الماضية .. فأنفذ إلى كل «كابينة» وأتمتع برؤية الأجساد البضة العارية ،  
وأحقق تلك الأمنية التي طالما لوح لي بها الشيطان .

ولكنني شعرت بزاجر ينهائي عن هذا العبث .. ماذا تركت إذا لهؤلاء  
البشر إذا كنت سأنساق إلى هذه الرغبات البشرية التافهة ؟ . وأي فارق  
سيكون بيني وبين أي إنسان إذا اندفعت في هذا اللهو الفاضح ؟ !

أي عار يمكن أن يخلق بنائب عزرائيل .. وهو يتسلل داخل «الكبائن»  
مسترقاً النظر إلى الأجساد العارية .. ؟

وهكذا طردت من نفسي ذلك الخاطر واكتفيت بأن أسير وسط  
الناس .. قانعا بمشاهدة مناظرهم المضحكة وسماع أحاديثهم المسلية .

وحلا لي أن أقف برهة تحت إحدى المظلات .. بين امرأتين  
جالستين .. أو على الأصح بين لسانين متحركين .. كأنهما المنشار الذي  
يقولون فيه « طالع واكل .. نازل واكل » ..

قالت الأولى :

- أترين تلك السيدة الطويلة التي ترتدي «البيجاما» الزرقاء ؟

- أتقصدين تلك التي تسير مع الرجل القصير ؟



- نعم .. انه زوجها .. زكى بك عبد القوى .. مسكين هذا الرجل .. انهم يقولون أنها تضربه ضربا مبرحا وأنها لا تعود الى دارها قبل الساعة الثالثة صباحا ..

- ولم يطلقها ؟

- انه يحبها !

- على أية حال انه خير من عبد الرحيم بك الذى سمعت أنه يرجو زوجته ألا تببت فى خارج الدار أكثر من يومين فى الأسبوع .. وقيل انها وعدته بذلك !

- أتدري أن سنية هانم قد طلقت ؟

- ولكنها لم يمس على زوجها سوى أسبوع واحد !

- لقد اتضح لزوجها غرامها مع السائق ..

وشعرت بالتقزز مما سمعت .. ولم يكن تقززى من أصحاب الحوادث أنفسهم بقدر تقززى من تلك الألسنة التى تهوى الفضائح وتلذ لها كما يلذ للنهم طيب الطعام .

وانتقلت الى مظلة أخرى قد جلس تحتها شابان يتحدثان ، قال الأول :

- أترى تلك السيقان الممدودة ؟

- لا تحمق هكذا فان زوجتك ترقبك .

- اذا فهيا بنا نمشى قليلا .. فانى أحس كأنى فى سجن .

- على ألا تقرب المنطقة الخطرة !!؟

- المنطقة الخطرة لم يغشها الخطر بعد .. لأنى لا أبصر فى

والكابينة، غير زوجها واقفا على قدميه .

- عجباً .. على قدميه حتى الآن ؟!  
- أجل فانه لايقف على يديه الا عندما تحضر هي وتنزل الى  
البحر .

وحيرنى حديث الشابين عن منطقة الخطر .. وعن الزوج الذى لا  
يقف على يديه الا عندما تنزل زوجته الى البحر .. وظننت أن بهما  
لوثة .. وصمعت ألا أفارقهما حتى اكتشفت ما خفى من أمرهما .  
وبعد لحظة قبض أحدهما على يد الآخر بشدة قائلاً :  
- لقد أقبلت .

وأحسست أنا أنها حقاً قد أقبلت .. بل لم يكن هناك مخلوق على  
الشاطئ لم يحس أنها أقبلت ... ورأيتها شقراء براقاً .. ذات وجه  
يضىء فى النفوس كما يضىء البدر فى الليلة الظلماء .. لايميزه عن  
البدر . الا ذلك الأحمر الذى رسم بدقة على شفتيه .. وهذه الابتسامة  
الحلوة التى تفتت عنها تانك الشفتان الرقيقتان .

ولم يعد يخفى على ذكائى - ان كان هناك ذكاء - أن صاحبتنا هذه  
هى الخطر .. وأن «كابينتها» وما حولها منطقة الخطر .. وأن الشابين  
متزوجان .. وقد حرمت عليهما زوجتهما الاقتراب من هذه المنطقة  
والا حدث لهما مالا تحمد عقباه .

وبعد هنيهة أبصرت صاحبتنا قد ارتدت «المايوه» .. أو شيئاً شبيهاً  
به .. مكوناً من قطعتين .. قطعة شددت الى صدرها وقطعة شددت الى  
خصرها .. ويعلم الله أن القطعتين قد أظهرتا من الجسد أكثر مما  
سترته . واندفعت صاحبتنا تعدو الى البحر وخلفها ما يقرب من عشرة  
شبان يصيحون فى شبه مظاهرة .. وبدا فى البحر نشاط عجيب ، فقد

أثارت الفتاة ومن حولها من الشبان ضجة هائلة .. فهي تتصايح وهم يتصايحون ، وهى تتضحك وهم يتضحكون ، وقد أخذوا يقلبونها بين أيديهم كأنها دمية جميلة وهى تندفع من هذا الى ذاك .. والناس على الشاطئ ينظرون الى ذلك فى دهشة وعجب .

وحانت منى نظرة الى ناحية من الشاطئ فرأيت رجلا قد انفرد بنفسه .. وانهمك فى ضرب البالونات ، والسير على يديه .. دون أن يلتفت الى شيء مما حوله . فقد استنفدت هذه الشقيلة كل اهتمامه ، وبدا كأنه يودى واجبا قد كلف به .

ونظرت الى الشابين فاذا هما قد أغرقا فى الضحك .. وقد أخذا يرقبان ذلك السائر على يديه ، وقال أحدهما :

- لقد بدأ «بلانس» افندى عمله .

وأدركت حينئذ أن الرجل لابد أن يكون زوج الصارخة الصائحة .. وأنه من هواة الشقيلة والسير على اليدين .. وأنه ينتهز فرصة انهماك زوجته فى اللعب مع أصحابه والعبث بين الأمواج .. فبيدا هو ، الشقيلة ، على الشاطئ والسير على يديه .. دون أن يهتم كثيرا بما تفعله زوجته الجميلة مع أصدقائه المخلصين .

وخطر لى أن أذهب اليه فأقيمه على قدميه .. ثم أصفعه بضغ صفعات على صدغيه .. وأطلب منه أن يستدعى زوجته من بين الذئاب الضارية ... وأخبره أنه اذا كان لابد له من السير على يديه .. فليغلق الدار على زوجته أولا ، وليسر على يديه بعد ذلك كما يشاء .

ولكنى تماكنت نفسى .. فقد تذكرت أن هناك فى الحياة الكثير من

هذا النوع .. وتنكرت أيضا أنى لم أنزل الى الأرض لأقوم لأخلاق الناس بل لأخذ أرواحهم .

وهنا تذكرت الفتاة الغريقة التى أتيت الى الشاطئ خصيصا لانقاذها .. ونظرت الى أقرب ساعة الى فاذا بها الحادية عشرة والنصف فرأيت أن الوقت قد أزف للبحث عنها ومنعها مما قد يؤدي بها الى الهلاك .

ولم يطل بى البحث فقد وجنتها سريعا .. اذ أحسست فى نفسى بما عرفنى بها .. ودلنى عن تكون هذه «الزى» بين كل أولئك الفتيات اللاتى احتشد بهن الشاطئ .

ووقفت أمامها أتأملها .. فأخذت بها ! وحمدت الله أن ألهمنى الصواب فجئت لانقاذها ... فقد كانت حقا تستحق الانقاذ !!

وقبل أن أحاول رسم صورتها فى الأذهان .. يجب أن أبدأ القول بأنها لم تكن على كثير من الجمال ، وأعنى بالجمال ذلك الشيء البراق الذى يبهرننا ضوءه ... كتلك المرأة الشقراء المضيفة التى رأيتها منذ لحظات وقد التف حولها الشبان وتطلعت اليها الأعين ... أجل لم تكن الفتاة بيضاء ولا شقراء ، ولم تكن فى نقاطيعها دقة متناهية أو جمال عجيب .. ولم يكن فيها كخاتم سليمان ، ولم يكن على خديها وردتان أو تفاحتان .. ولم يكن على وجهها أى أثر لأصباغ مرسومة بدقة واتقان ، حتى تخفى بعض ما به من هنات ... لم يكن بها شيء من هذا ... ومع ذلك فقد كان بها كل شيء !!

كان أول ما أبصرته بها وهى متكئة على رمال الشاطئ : شعر قد تهدل على كتفها ثم كسا ظهرها واسترسل على الرمال الصفراء .. كأنه

ينابيع من الأمل العذب تسترسل في صحراء من اليأس جرداء  
مقفرة .

ووقفت أتأمل ذلك الشعر .. ورأيتني أستعيد الى ذهني قصة تعودت  
جدتي - رحمة الله عليها - أن تقصها على في طفولتي .. وكان يحلو  
لي أن أستعيدها منها مرارا وتكرارا .

هذه القصة ، وأغلب ظنني أن معاصري في سن الطفولة قد سمعوها  
كما سمعتها وأعجبوا بها كما أعجبت ، هي قصة لولية بنت مرجان  
وعشيقها يوسف .. وأهم مافي القصة .. والذي جعلني أنكرها في ذلك  
الوقت هو أن هذه «اللولية بنت مرجان» كانت من فرط طول شعرها ...  
تدلى به من النافذة ليصعد عليه أبوها وأمها عندما كانوا يصيحون بها :  
« يا لولية يا بنت مرجان لدلى شعورك الطوال وخدى أمك وأبوك من  
حر الجبال » .

ولا أدري الآن بالضبط لم كان أبوها وأمها يصران على الصعود من  
النافذة والشعبطة على شعر لولية بدلا من الصعود على السلم كبقية خلق  
الله .. وان لم يكن هناك سلم للبيت فلم لم يقطنا في دور أرضى ويوفرا  
على نفسيهما مشقة تسلق الشعور والشعبطة على النوافذ .

على أية حال لم يكن هناك وقت للتساؤل .. فقد أحسست أن هذه  
« اللولية » المتكئة على الشاطيء .. تستطيع هي الأخرى .. لو أدلت  
بشعرها الى أى انسان يائس شقى .. لرفعته من هاوية اليأس الى قمة  
الأمل ، ومن حضيض الشقاء الى ذروة النعيم .

وتلفتت الفتاة ، فأبصرت وجهها .. وجها كما قلت غير براق ولا  
ملون ولكنه وجه لوحته الشمس فبدا سمرة حمراء .. أبصرت فيه عيني

خضراوين كأنهما عينا هرة .. لم يكن فى وجهها شىء عجيب .. ومع ذلك فقد كان أعجب وجه رأيته .

كان الفتاة فى نحو الرابعة عشرة ، وقد ارتدت بلوزة بيضاء وينطلون فائلة وقد شمريت عن ساقها حتى ما تحت الركبة وبدت ساقها ممتلئتين قد علاهما زغب أصفر خفيف .. وكانت تقلب صفحات مجلة فى يدها ... وإن كان يبدو لى أنها ليست منهمكة تماما فى قراءتها ، فقد كانت تسترق البصر الى فتى قد جلس تحت مظلة قريبة .. وكان الفتى يبادلها النظرات .. ثم رأيته يشير إليها برأسه نحو البحر فاذا بها تطوى الصحيفة ، ثم تنهض فتخفى داخل الكابينة وهمت بالدخول خلفها .. ولكنى خشيت أن تكون قد خلعت ملابسها لترتدى المايوه .. فانتظرت فى الخارج ... وفلا صدق ظنى فلم تمض بضع لحظات حتى أبصرت بنموذج رائع الجمال بديع التكوين ، حتى أقسمت فى نفسى أنه لو عاد صانع فينوس الى الحياة وأبصر الفتاة فى وقتها على الشاطئء لحطم تمثاله ، وجعل من الفتاة نموذجا جديدا له .. لقد أشعرتنى بقدرة الله كما لم يشعرنى أى شىء أبصرت به فى هذه الحياة .. وخيل الى أنها لو وجدت فى عصر موسى لأغنته عن عصاه وعن معجزاته .. فقد كان يكفيه أن يقدمها للكافرين حتى يؤمنوا بالله وبقدرته .

واندفعت الفتاة الى المياه وقد امتطت صهوة قارب صغير - برسوار - ... وبدأ لى أن الفتى قد سبقها الى البحر ، ووقف ينتظرها خلف أحد البراميل .. وابتعدت الفتاة عن الشاطئء ، ولحق بها الفتى فقفز بجوارها وأخذ منها المجدافين واختفيا عن الأعين فى عرض البحر .

واندفعت وراءهما ، فقد بلغت الساعة الثانية عشرة الا خمس

دقائق ... أى لم يعد هناك فى حياة الفتاة - بفرض أنى لن أتدخل فى الأمر - الا خمس دقائق .

واقتربت منهما فاذا هما قد استلقيا فوق البرسوار كل منهما فى ناحية .. وقد تقارب وجهاهما وأخذا يتهامسان همس العشاق .

وفجأة علت موجة من أمواج البحر فقلبت البرسوار وحملته بعيدا . ووجد الفتى والفتاة نفسيهما يغالبان الموج .. والتيار يدفعهما بعيدا عن الشاطئ .

وبدأت الكارثة تحل .. فقد وهنت قوى الفتاة .. وحاول صاحبها الوصول اليها دون جدوى .. وأحسست أن هذه هى اللحظة الحاسمة التى اما أن أشير فيها للفتاة بعصا عزرائيل فتصعد روحها معى .. وأترك جسدها يهوى الى قاع البحر .. واما أن أتقدم لانقاذها فأعيدها الى الشاطئ سالمة من غير سوء .. ونظرت الى الفتاة الجزعة ، فأحسست بنفسى لهفة لأن أنقذها بدل المرة .. مائة مرة .

وكان الوقت يمر سريعا .. وروح الفتاة قد بدت حائرة قلقة .. فلا هى بخارجة ، ولا هى باقية ... وكان على أن أعمل عملا حاسما . وأخيرا استقر رأيى على الطريقة التى سأنفذها بها .. فقد وجدت لها طريقة مثلى .

أمسكت بالعصا .. ثم أشرت بها اشارة خفيفة الى الفتى الذى قد أخذ يصارع الموج للوصول الى الفتاة دون جدوى .. فغادرت روحه الجسد فى لمح البصر .. فوضعتها بسرعة فى الكيس الذى أعطانيه عزرائيل .. ودلفت بسرعة الى جسده فاحتلته .

وأحسست أن روح الفتى قد أزعتها هذه المفاجأة فقد كانت لا تنتظر

قط أن تفارق جسدها في ذلك الوقت ، ولكنى أخبرتها ان هذه المفارقة مؤقتة وأننى سأعيدها بمجرد أن أنقذ الفتاة .

وتقدمت الى الفتاة .. مندفعاً بين الأمواج بسرعة خارقة ... ولم تمض بضعة لحظات حتى كنت قد رسوت بها على أقرب صخرة .. فرفعتني اليها .. وأرقتني بجوارى .. وقد أخذ صدرها يعلو ويهبط ، وهى تلهث من فرط الجزع والتعب .

ولم يكن قد اصابها مكروه .. وكانت فى وعيها تماماً .. وكل ما فى الامر أنها كانت مشدومة مدهولة .. فأخذت أهدىء من روعها حتى تماكنت نفسها وعادت اليها ابتسامتها وحمرة وجهها .

وهنا كان يجب على أن أعيد روح الفتى الى جسده وانطلق فى طريقى .. ولكن كانت تحدو بى رغبة جارفة فى الجلوس الى الفتاة واحتوائها بين ذراعى .. فتعللت بأنه يجب على أن أنتظر حتى اذهب بالفتاة آمنة الى الشاطئ ، والا أغرقها الفتى فى الطريق مرة أخرى .

وكانت أول ما فاهت به الفتاة هو أن سألتنى فى دهشة ، مشيرة الى شئ بجوارى :

ما هذا ؟

ونظرت الى جوارى فاذا العصا والكيس والورقة وعلبة صغيرة بها الجهاز اللاسلكى !!

يا للمأزق الحرج .. لقد أضحت عدة عزرائيل أشياء منظورة بمجرد أن دخلت أنا الى الجسد .. بعد أن كانت أشياء شفاقة لا يبصرها أحد سواى .



ونظرت الى أدوات الموت ولم أدر بم أجيبها .. ترى ماذا تقول الفتاة  
اذا صدقتها القول ورويت لها الحقيقة .. ماذا تقول اذا أخبرتها أن هذه  
العصا هى التى كنت سأخذ بها روحها .. وأن هذا الكيس ترقد فيه روح  
صاحبها ، وأن هذه الورقة بيان بالأرواح التى سأصعد بها الى السماء ..  
وأن اللعبة هى جهاز للاتصال بعزرائيل !!

للتخيل أية فتاة أنها قد جلست مع صاحب لها على صخرة فى البحر  
بعد أن أنقذها من الغرق .. ثم تحدث اليها بمثل هذا الحديث الذى كان  
لايعود أن يكون حقيقة بالنسبة الى ... ترى ماذا تفعل ؟ !

أغلب ظنى أنها لن تفعل أكثر من أن تقذف بنفسها الى الماء مرة  
أخرى هربا من جنونه المطبق .

ونظرت الى الفتاة وهزرت رأسى وأجبته ببساطة :

لا أدري !! لقد وجدها هنا ...

ورأيتها نمد يدها لتمسك بالورقة والعصا ، فصحت بها مستنكرا :

- لا ... لا ... هذه الأشياء لابد أن تكون لشخص تركها هنا وسيعود  
لأخذها ، ولست أرى من اللياقة أن نعبث بأمتعة الغير ،

ثم حاولت أن أغير مجرى الحديث ، فابتعدت بها الى ناحية أخرى  
من الصخرة قائلا :

- كيف أنت الآن ؟

ليس بى شئ .. لقد كنت على وشك الغرق ورأيت الموت بعينى  
( وكنت اقول لها : انك لا زلت تريه بل تضعين يدك فى يده ) .  
ولولاك يا أحمد لما كنت الا جسدا هامدا .

- أحمد ؟ ! .. أنا يوسف ؟ !

- يوسف ؟ !

ونظرت الى الفتاة محمقة فى دهشة .

يا للحماقة .. ماذا قلت ؟ ان أحمد هذا هو لاشك صاحبها ... وكان يجب على أن أعرف ذلك .. وأسرعته باصلاح غلطتى فقهقهت بصوت عال وادعيت اننى أقصد المزاح ليس الا .

وجلسنا متجاورين .... وكان أول ما اتلف عليه هو أن أمسك بشعرها فأتحسس بيدي ... وأعبت فيه بأصابعى ... فلم أتردد فى أن أفعل ... لقد كانت لحظائى قصيرة مع الفتاة ... ومن السخف أن أحرم نفسى مما أتلف عليه .. وأحطت كتنفيتها بذراعى ، فلم تغضب الفتاة . بل رأيتها تزداد التصاقا بى .. وأحسست برأسها يستريح على صدرى ... فلم أتردد فى أن أنال الأمنية الثانية ومسست بشفتى شعرها .. ونفذ الى أنفى عبيره .. فملأنى نشوة ... وخيل الى أنى قد أصبحت ثملا .

ورفعت الى عينيها .. هاتان العينان اللتان أحس أن بهما سهاما تنفذ الى قلبى مباشرة .. هاتان العينان اللتان أحس أن وراءهما عالما آخر مليئا بالسحر ... هاتان العينان اللتان لم أشك لحظة فى أنهما من نوافذ الجنة .

ومددت يدي فأمسكت بذقنها الدقيق .. ولمست بأصابعى شفتيها الملتهبتين ، ثم رفعت وجهها الى واقتربت بشفتى من شفتيها .. فرأيتها قد أسبلت عينيها ... فأغمضت عينى أنا الآخر وأطبقت على شفتيها .. ونلت الأمنية الثالثة .. والأخيرة .

وفى تلك اللحظة نظرت خلسة الى أقصى الصخرة .. فلمحت الكيس  
بضطرب بما فيه .. وأدركت أن صاحبنا « أحمد أفندى » .. قد ساءه أن  
استغل جسده هذا الاستغلال الوقح .. وأن انتهز فرصة حبسه فى الكيس  
فأقبل صاحبتة على مرأى منه .. دون أن يحرك ساكنا .. اللهم الا  
محاولة « الفلفسة » من داخل الكيس .

ورأيتنى أقول له فى نفسى معتذرا عن فعلتى :

- يا صاحبى هوّن عليك ... انها لم تزد عن قبلة .. أتراك تبخل على  
بها .. ثمنا لانقاذها .. ومع ذلك فانى لم أستعمل فيها سوى شفقتك ...  
وقد علمتك وعلمتها كيف تكون القبل .. وسأتركها لك بعد هنيهة تتمتع  
بها كما تشاء ... ولولاي لما استطعت لقاءها بعد اليوم الا فى الآخرة ..  
ومن يدرى ان كنت ستلقاها حتى هناك .

ورفعت وجهى عن وجه الفتاة .. وتركت رأسها يستند مرة أخرى  
الى صدرى .. وهممت أن أفضى اليها ببعض أحاديث الغزل الذى كنت  
أجيدته فى حياتى .. ولكنى سمعت فجأة صوتا خافتا جعلنى أرهف  
أذنى ... وأصيحخ السمع جيدا .

كان الصوت أشبه بأزيز خافت يصدر من ذلك الجهاز اللاسلكى  
الصغير .. وبدأت أفيق من سكرة الغرام ونشوة الهوى .. وتطايير من  
رأسى أثر القبل ... ان عزرائيل لاشك يريد الاتصال بى ليطمئن على  
ما فعلت .

ويلى منه .. وويله منى .. لقد كادت الفتاة الساحرة تنسينى إياه .  
وزاد الأزيز وضوحا فتركت الفتاة جانبا وعدت اليه .. واختفيت  
به عن الفتاة خلف احدى الصخور .

وقبل أن أحاول اخراجه من صندوقه أمسكت بالعصا فأخرجت  
روحي من الجسد ، وأعدت اليه روح الفتى .. ولم تكذ الروح تستقر  
فيه حتى رأيت الفتى يندفع الى الفتاة فيحتويها بين ذراعيه .. ويقبل على  
شفتيها بلهفة وشغف .. تماما كما كنت أفعل منذ لحظات .  
وأمسكت بالجهاز ، ورفعت سماعة صغيرة الى أذني ، وصحت  
قائلا :

- هالو !

وأجابني صوت ناعم رقيق .. جعلني اهتز من فرط الطرب ..  
صوت رن في أذني .. « سحر لعمري له في القلب تردد .. فكأنه  
مس أذني كما تمس الشفاه الشفاه .. وكأنما رنينه هو رنين القلب .. قال  
الصوت العجيب :

هالو .. مين يا فندم .

وطربت في نفسي .. وذهب عني ذلك الارتباك والشعور  
بالتقصير في الواجب .. والخجل من أن يعلم عزرائيل ما كنت أفعل ..  
ولم الخجل .. وعزرائيل نفسه كان يفعل مثلما كنت أفعل .. فأغلب ظني  
أنه كان هو أيضا غريق في فيض من خمر الشفاه .. وأنه كان يرتع  
في مرتع للهوى خصب ظليل ... وما أظنه لو رأى صاحبتى الا لكان  
عائزى فيما فعلت .. فلا يحس بجنون الهوى الا العشاق .

ورأيتني أبتسم وقلت لنفسي .. امزح معها قليلا ، فقد لا تسنح  
الفرصة مرة أخرى بالحديث مع احد الحوريات .. حتى ولا  
باللاسلكي .. وسألتها مداعبا :

- حضرتك مدام عزرائيل ؟

وأجابتنى بضحكة حلوة ناعمة .. كأنما سرها أن أقرنها بعزرائيل ،  
وأجابت متصنعة التواضع :

- لا يا فندم .. لم يحدث لى هذا الشرف بعد .

- أى شرف ! ! انه هو الذى يشرفه أن تكونى مدام عزرائيل .. فان  
هذا الصوت الملائكى ...

وهنا قاطعتنى ضحكة خشنة .. فأدركت أن عزرائيل قد أخذ منها  
السماعة .. وسمعته يقول ضاحكا :

- كفى مغازلة .. خبرنى ماذا فعلت ؟

. ووجدتنى أتلعثم ، وأصابنى الارتباك ، ولم أدر بم أجيبه .. وأردف  
هو متسائلا :

- أقبضت الروح الأولى ؟

-- حتى الآن .. كلا .

وصاح فى دهشة :

- الساعة الآن الواحدة .. وميعادها الساعة الثانية عشرة ... ومع  
ذلك تقول : حتى الآن كلا ؟ ! .. فيم انتظارك وقد مضت ساعة على  
الموعد .

ولم أجبه بكلمة .. اذ لم أدر بم أجيب .. فازداد به الحنق .. وسأل  
فى دهشة :

- تكلم ! ! .. ألم تجد الفتاة ؟

- بل وجدتھا .. وعرفتھا من أول نظرة .

- ومع ذلك فلم تأخذ روحها بعد .. ألم تسبح فى الماء ؟
- بل سبحت .. وليتها ما سبحت .
- ليتها ما سبحت ؟ ! .. لعلها لم تغرق .
- بل غرقت .. وليتها ما غرقت .
- فلم اذا لم تأخذ روحها ؟
- لقد رفضت روحها الصعود .
- رفضت !! .. لا تكن أبله .. قل كلاما غير هذا .
- اذا فقد رفضت أنا أن آخذها .
- أنت الذى رفضت ؟ ! .
- نعم أنا ! !
- ونقول ذلك دون خجل ولا استحياء ! ! فيم كان نزولك اذا .. وأين وعدك الذى أعطيته لى .. لم تف به ؟
- مكره أخاك لا بطل .
- وما الذى أكرهك على أن تحدث به ؟
- وصمت لحظة ، ثم أجبته هامسا :
- شعرها .. يا سيد عزرائيل .. شعرها .. وصدرها وساقها وعيناها .. آه لو رأيتها كما رأيتها .. لما ترددت فى أن تستبدلها بحوريتك .. ولهيبت من السماء الى الأرض فلم تفارقها لحظة واحدة .
- وهمس عزرائيل فى حلق :
- كف عن هذا الهذر .. والا سمعتك .

ثم تكلم بصوت عال :

- وهكذا تقول انك رفضت أن تأخذ روحها .. من أجل شعرها  
وصدرها .. وساقها وعينيها .. ما شاء الله .. يا لك من همام .. ولكن  
ليس الخطأ خطأك . فقد كان على أن أتوقع كل ما حدث .. وكان يجب  
على أن أعرف أنك زير نساء منذ ان طلبت منى أن أتركك بين السماء  
والأرض ... على أن أحضر لك بضع حوريات لتسليتك والترفيه  
عنك .. وكان من الحق ان أطلب منك أن تقبض روح امرأة .. بعد  
أن رأيت منك تلك اللهفة عليهن .

ثم سكوت برهة .. وأردف فى صوت أكثر رقة :

- قد يكون لك العذر فيما فعلت .. على أية حال دعك من صاحبتنا  
هذه .. واتركها لى .. وعليك بغيرها ممن سطر فى الكشف .. فلا أظنك  
ستجد فيه من تضعف أمامه وترق له .

وهنا سمعت صوت الحورية تستحنه على انتهاء الحديث فقد بدأ  
يصيها المأل ، وسمعته يقول بلهجة سريعة :

- هه .. الى اللقاء .. سأعتمد عليك .. وسأتصل بك مرة أخرى .

ووضعت الجهاز جانبا بعد أن ودعت عزرائيل .. وألقيت على الفتاة  
نظرة أخيرة .. ثم سريت بجوارها فمسست شعرها وشفتيها مساً خفيفاً  
وعدت الى الشاطئ .

وكانت الساعة وقتئذ قد بلغت الواحدة والنصف .. ولم يبق على  
انهيار البيت فوق المعلم حنفى وعائلته الا نصف ساعة . فاندفعت  
كالرياح العاتية .. ولم تمض لحظات حتى كنت فى حى سيدى زينهم  
بالقاهرة ، أبحث عن البيت المنشود .





نائب  
عزرائيل

الشيخ  
السيد

## فى سيدى زينهم

هنا سيدى زينهم .. هنا المقابر قد رصت فيها الأجساد على سطح الأرض لا فى باطنها .. هنا الأحياء الذين يقومون بدور الأموات .. والموتى الذين يسعون على الأرض .. هنا قد تجمع كل ما يحاول أولو الأمر محاربته .. ولكنهم يفعلون كل شئ الا محاربته .

يا لهذا البلد من زعمائه وكبرائه ووزرائه .. يا لهذا البلد من شيوخه ونوابه وكتابه .. يا لهذا البلد من كل أولئك المرتزقة الذين بيدهم أمره .

فى العصور الوسطى كان كثير من الجيوش المحاربة يتكون مما يسمونهم « الجنود المرتزقة » .. وهم جنود يحاربون من أجل الرزق .. ومن أجل أكل العيش فالقتال عندهم مهنة وحرفة .. لايهمهم كثيرا أن يهزموا أعداءهم الا بقدر ما يحصلون عليه من غنائم وأسلاب ويقدر ما ينتهكونه من حرمان وما يسبونونه من سبائا . لا يهمهم الغرض الذى يحاربون من أجله .. ولكن يهمهم الأجر الذى يدفع لهم .. فليس لهم من أنفسهم دافع للانتصار من أجل وطن أو مبدأ .. وسيان عندهم هذا الجيش أو ذاك .. وهذا الوطن أو ذاك .. فليس لأيهم فضل على الآخر الا

بالأجر الذى يدفع .. وهم لا يحسبون أن هناك ما يستحق التضحية أو بذل النفس .. ولا يبصرون أمامهم الا المصلحة الخاصة لأنفسهم .

ويخيل الى أن من بيدهم الأمر فى هذا البلد المسكين يشبهون الى حد كبير أولئك الجنود المرتزقة .. وأن عملهم لا يعدو فى حقيقته عن أن يكون أكل عيش .. وأن كل مطلبهم هو الغنائم من مختلف الأنواع والأشكال .. من مال وشهرة وسلطان وجاء .. الخ .. وهم يرون أن خير طريق يوصلهم الى تلك الغنائم هو محاولة التظاهر فى سبيل هذا البلد .. فتجدهم يتصايحون ويتزاحمون .. ويخطبون ويكتبون .. ويكون ويستبكون .. ولا يفعلون أكثر من يأمرؤا الناس بالبر وينسون أنفسهم .

ما صاح منهم صائح الا وله من صيحته مأرب .. وما خطب فيهم خطيب الا وهو يرجو من خطبته مطلبا .. فهو فى قرارة نفسه لايهمه ما يقوله فى قليل ولا كثير ، ولكن يهمه ما سيعود عليه ، هو ، من ذلك القول ، ولايهمه قط أن يأتى بفائدة قدر ما يهمه أن يقول الناس عنه أنه هو الذى أتى بها .. ولو خير بين أن تحدث الفائدة فعلا ولا يعرف الناس أنه صاحبها ، وبين أن يعرف الناس أنه صاحبها دون أن يكون لها أثر حقيقى فعال ، لفضل الأمر الأخير ..

فكلهم يتكأون على محاربة الفقر والمرض والجهل حتى باتت الكلمات الثلاث من أشهر الكلمات وأقربها الى الألسن .. ومع ذلك فالفقر والمرض والجهل مازالت بخير وعافية .. لا لشيء الا لأن زعماءنا وكبراءنا ووزراءنا وخطباءنا وشيوخنا ونوابنا وكتابنا .. كلهم دون أن نستثنى منهم فردا .. ليسوا الا مرتزقة .

مثل هؤلاء لا ييغون الا مصلحة خاصة . ولا يريدون الا صيحات اعجاب .. حتى هذا الكاتب الذى تفيض مقالاته بالنقد لهم وبالسخرية

منهم . لا يهتم من مقاله الا أجر المقالة .. أو كلمات الاعجاب والتهنئة بعبريته ولودعيته . أما محاربة الفقر والمرض والجهل .. فهي أبعد ما تكون عن ذهنه .. والا لو كان صادقا في قوله لما أضاع وقته في تلك الكتابة التي كان يعرف أنها لا تجدى فتيلا .. ولحاول أن يصرف ذلك الوقت والجهد في الاحسان الى فقير ، أو مواساة مريض ، أو تعليم جاهل .. ولكنه يعلم أنه لو عمل ذلك لما أحس به الناس ولما أعجب به أحد .. اللهم الا ذلك الفقير أو المريض أو الجاهل .. وهم لا يهتمونه في شيء .

ما أعجب أولئك الذين بيدهم الأمر في هذا البلد .. هم يحرصون على المناداة بمحاربة الفقر والمرض والجهل ، مع أن المسألة في حد ذاتها لا تحتاج الى حرب وقتال .. بل لا تحتاج منهم الا أن يأمرؤا بالبر ولا ينسوا أنفسهم .. هذا هو كل ما في الأمر .. أنهم هم الذين لديهم حل العقدة .. فلييسطوا أيديهم .. يجدوا الأعداء الثلاثة قد انكشفت وفرت هارة .. وليعملوا بقول القائل<sup>(١)</sup> :

القائل

«أما لو تناصف الناس فأخذ من الغنى حق الفقير واستنقذت الكنوز من خزائن اللؤماء ، وتلوقت الأموال من أكف السفهاء ، اذا فأى خير يعم الأرجاء ، ويجلل الأنحاء ، ويطبق الآناء ..» .

ولكن كيف يتأتى ذلك في بلد : السفهاء فيها كبراء ، واللؤماء عظماء .. مسكين هذا البلد .

جل كل ذلك بذهنى وأنا أقلب بصرى فى الأزقة الضيقة بين تلك البيوت التى «يمسك بعضها من الذعر بعضا» والتى تفوح منها العفونة ،

(١) محمد السباعى فى كتاب « السر »

ونزين جوانبها أكرام القمامة التي أولم فيها الذباب. ولائمه .. وقد ركبت مياه الغسيل النتنة الآسنة أمام أبوابها ... وبين كل هذا وذاك مخلوقات صغيرة قد تراكم على أجسادها من الأقدار ، ما جعلها في غير حاجة الى كساء ... وقد اتخذ الذباب من وجوهها مرقداً .. فألفها وألفته .. ولم تبد منها محاولة لطرده .. من فرط ما تعودته .

ووقفت أمام بيت المعلم حنفى ... البيت الذى سنتنقض جدره بعد هنيهة فتخمد تحت أنقاضها الأنفاس وتنهشم الضلوع وتتحطم العظام ، وكنت أسائل نفسي وأنا فى طريقى الى البيت : كيف سينهار البيت ، ؟ ولكنى لم أكد أبصره حتى ساءت نفسي : كيف أمكن له أن يتماسك حتى هذه اللحظة ، وكيف لم ينقض على من فيه منذ بضع سنين خلت ؟

وبدأت أفكر فى كيفية انقاذ المعلم حنفى وآله الكرام ، ووجدت أن المهمة جد شاقة ... فهى ليست من السهولة كسابققتها ... اذ كان من المستحيل أن أمنع جدران البيت من الانهيار .. ولم يبق ، والأمر كذلك ، الا أن أحاول ابعاد المعلم حنفى والست زهرة وأولادهما خارج الدار .. ولم تكن تلك المسألة بالشئ الهين .. وكانت الساعة قد بلغت الثانية الا ثلثا كما رأيته فى جيب الأسطى زينهم الحلاق ... ولم يبق أمامى الا عشرون دقيقة .

ونظرت الى الدار المجاورة فوجدت عليها لافتة صغيرة قد كتب عليها «السيد عكاشة العرضحالجي» ... وفى نفس اللحظة رأيت عكاشة أفندى نفسه - اذ لا يمكن أن يكون سواء - قد أقبل .. وقد تقوس ظهره

---

(١) محمد السباعى فى كتاب « السر » .

وسقط منظاره على أرنبه أنفه وأمسك بيده مظلة باهتة وبالأخرى حقيبة مطرية .

وتراءى لخاطري وقتذاك حل موفق .. فلم يكن على الآن إلا أن أحل محل عكاشة أفندى فى جسده ثم أصعد الى داره فأخط على ورقة بيضاء هذه الكلمات مخطر .. البيت أيل للسقوط .. ممنوع الاقتراب » .

ثم أعلق الورقة بعد ذلك على البيت المحتضر .. ولاشك أن هذا سيكون خير انذار لكى يفر المعلم حنفى وزوجته وأولاده قبل أن يطويهم البيت تحت أنقاضه .

وفى لمح البصر انتقلت الى جسد عكاشة .. أو على الأصح الى هيكله .. ووضعت روحه فى الكيس ، ثم أخفيت الكيس والعصا وبقيّة أجهزة الموت فى حافظته الجلدية .. وطرقت الباب .

وفتحت لى زوجته .. وكان أول ما فاهت به هو أن طلبت ثلاثة مليمات لشراء طرشى .

وبدا على الارتباك .. اذ لم أعرف لأول وهلة أين يضع عكاشة أفندى نقوده ، ولم أدر هل تعود أن يعطيها الثلاثة المليمات بسهولة .. أم أنه يرفض فى بعض الأحيان .. ورأيت ألا أثير معها جدلا قد يعوقنى عن كتابة اللافتة وتعليقها .. فمددت يدى الى الجيب الداخلى الذى تعودت أن أضع فيه النقود فى جاكيتى عندما كنت حيا .. ولكنى وجدت يدى لا تصطدم بشيء .. فقد كان الجيب بلا قرار أى أنه كان على اتصال ببقية أنحاء الجاكيت .. فأخرجت يدى بسرعة ودفعته فى جيب آخر ، فلم يكن خيرا من السابق .. وظللت أنقل يدى من جيب لآخر وأخرجها بيضاء من غير سوء .

وتصب العرق من جبيني .. والمرأة تحدجنى بنظرات صارمة .

جزاك الله خيرا يا عكاشة أفندى ! ! . أين تضع نقودك .. لقد كان البحث عن ثلاثة مليمات فى جيوبك الخاوية أشق من البحث عن الماء فى الصحراء القاحلة الجرداء . وأخيرا ولما ينست من العثور على النقود المطلوبة .. وخشيت أن ينهار البيت على المعلم حنفى ، وأنا واقف أمام المرأة أبحث عن ثلاثة مليمات لشراء الطرشى المطلوب . صحت بها متبرما :

- لا ضرورة للطرشى اليوم .

ولم تدبس بينت شفة ، بل حدجتنى بنظرة ملؤها السخرية والازدراء .. ومدت يدها فى سكون فنزعت الطربوش من فوق رأسى .. ودفعت أصابعها فى جلده وأخرجت ورقة من فئة الخمسة قروش .. ثم دفعتنى جانبا وقالت هازلة :

- خير لك أن تبحث عن مخبأ آخر غير جلدة الطربوش ...

ولم أجبها بكلمة واحدة .. ولعنت فى سرى عكاشة أفندى .. والظروف السيئة التى دفعتنى الى احتلال جسده .. واندفعت الى احدى الحجرات فأخرجت من الحقيقة ورقة بيضاء كبيرة وأسرعت بكتابة التحنير المطلوب ، ثم هممت بالخروج حتى أضعها على بيت المعلم حنفى .. ولكن المرأة اعترضت طريقى وقالت متسائلة فى دهشة :

- الى أين ؟

ولم يكن لدى من الوقت ما يتسع لمثل هذا التحقيق الذى تنوى عمله .. فقلبت لها فى عجلة :

- سأخبرك عندما أعود .

وحاولت أن أزيحها من طريقى ... ولكن الأمر استعصى على فقد كان جسدها أضخم من أن يحاول زحزحته نراع كنزاع عكاشة أفندى الشبيه بعود القصب .. وكانت المرأة من نوع عنيد مشاكس ... فلم اجد بدا من أن أجيبها باختصار عما أنوى فعله حتى اتخلص من لجاجتها فقلت :

- دعيني أمر .. فانى ذاهب الى بيت المعلم حنفى لأنه على وشك الانتهاء ؟ !

- ومالك أنت . لعلك قد أصبحت وابور حريقة .. أو عربية اسعاف .. أو مصلحة تنظيم ... أم تظن أنك بجلالة قدرك ستمنعه من الانتهاء .. ألم أذكرك مرة ألا تحاول التدخل فيما لا يعنك .. ألا يكفيك تلك المصائب التى تجلبها لنا بتدخلك فى أمور الناس .. ادخل يا سيدى .. ربنا يهديك .

وتبينت فى وجه المرأة ما جعلنى أجزم أنها قد اصرت على منعى من الخروج .. وأدركت ان من العبث أن أحاول اقناعها .. فقد كانت من نوع لا يقتنع ... ولم يكن هناك من الوقت ما اضيقه فى محاولة ذلك الاقناع .. فصممت على استعمال كل الوسائل للنفاذ الى الخارج .. وكانت المرأة تقف على بسطة السلم .. وكان من المستحيل على أن أجد لى منفذا من خلال جسدها .. ولم يكن من الحكمة أن أحاول المجازفة بالنزول من احدى النوافذ ... اذ كنت أخشى ألا يساعدنى ذلك الجسد الواهن الوامى .

وفجأة خطر لى خاطر عجيب أوحى الى به ترابزين السلم . لقد

تذكرت أنه لم يكن هناك أحب الى في طفولتي من الزحقة على الترابزين .. وأننى كنت بارعا فى هذه اللعبة غاية البراعة ... فقد كان فى استطاعتى أن أنزل من السطح حتى فناء الدار فى ثوان معدودات .. ولا أذكر أننى استعملت السلم فى طفولتى الا عندما كنت أنزل مع كبار العائلة ... وحتى فى هذه الأحوال كنت أتعمد التأخير عنهم .. ثم ألحقهم بوسيلتى الخاصة .

ووجدت أن الزحقة على الترابزين .. هى خير وسيلة اتخلص بها من المرأة الحمقاء .. حقيقة قد تكون وسيلة صبيانية .. وقد يكون بها ما لايتفق وهيبة عكاشة أفندى ووقاره وكبر سنه .. ولكن المسألة الآن ليست مسألة هيبة ووقار .. ان المسألة مسألة حياة أو موت .

ولم أضيع ثانية واحدة .. فقد أمتطيت الترابزين وأخذت فى الانزلاق عليه بسرعة البرق ... وبعد لحظات كنت أقف فى فناء الدار .. ورأيت المرأة تحماق من أعلى السلم .. وتضرب صدرها بيدها .. فاغرة من الدهشة فاها وهى تصيح :

- يا عيب الشوم .. لقد جن الرجل .

ثم رأيت بجانبى بضعة أطفال يصفقون طربا ويهتفون : « يعيش عكاشة أفندى » .

ولم يكن هناك وقت لتلقى آيات الاستحسان أو عبارات الاستهجان .. فاندفعت الى الخارج مسرعا الى بيت المعلم حنفى .. واقتربت من الباب بعد أن خطفت شاكوشا ومسمارا من الأسطى بيومى العتقى الذى قد جلس بصندوقه وجردله الذى نفع فيه الأحذية والجلود القديمة .

ورفعت الشاكوش وبدأت أثبت الورقة على الباب .. ولكنى لم أكد



أدق أول دقة ... حتى أحسست بيد قوية تقبض على عنقي ... والتفت ورائي فأبصرت بوجه لم أشك لحظة في أن صاحبه لابد أن يكون . المعلم حنفي نفسه .

لقد أبصرت بوجه قد لف رأسه بلاسة وبدأ تحت حاجبيه الكثيفين عيانان بهما حول شديد .. فما يكاد يشعر المرء أن الرجل يخاطبه .. ويلي ذلك شارب هو أبرز ما في الوجه كله .. فلا أظنني مبالغاً إذا ما قلت أن الشارب لا يمكن أن يكون قد نبت في الوجه .. بل لابد أن يكون الوجه هو الذي نبت حول الشارب .. لأن الرجل لم يكن سوى شارب وحاجبين .

وسمعت الرجل يصيح في وجهي غاضباً :

- من أنباك يا عكاشة النحس ... انى أعرض بيتي للايجار ... وعلمت أن الرجل لا يعرف القراءة والكتابة ... فحاولت أن أفهمه في هدوء .. فقلت له :

- ان البيت على وشك الانهيار .. وهذه لافتة لاخلائه وعدم الاقتراب منه حتى لاينهار على رؤوسكم .

ورأيت هذا القول قد زاد من غضب الرجل ، وأحسست به يهزنى هذا عنيفا ويصيح في حنق :

- ينهار على رأسك أنت ... ورأس أهلك .. ١٥ سنة .. وأنا ساكن في البيت .. وهو أقوى من الأسمنت المسلح .. فتأتى حضرتك الآن وتقول انه سينهدم على رأسى .. يا ساتر يا رب .. قال الله ولا فالك .

وجذبني الرجل بعنف ... ودفعني دفعة كدت أسقط منها على وجهي .

باللرجل الجاهل الأحمق ... انه سيودى بنفسه وأهله .. ترى كيف أقنعه أن البيت سينهار حقا .. وأنه يجب أن يغادره فى التو واللحظة .

وفى تلك اللحظة بدأ الناس يتكأون حولنا .. والمعلم حنفى مستمر فى ضجيجيه وصخبه .. وأنا أحاول أن أقسم للناس أن البيت على وشك الانهيار .. فلا أجد منهم الا الهزاء والسخرية .. وأخيرا ابصرت بامرأتى .. أعنى امرأة عكاشة أفندى .. تشق الجمع بيديها القويتين وجسدها الهائل .. ثم تصل الى .. فتمسك بتلابيبى وتقبض على من زمارة رقبتى .. وتجرنى الى البيت جرا ورأيت نفسى حبيسا فى الدار .. فأركت أن عكاشة أفندى لن يجدينى بعد ذلك نفعا .. وندمت على ذلك الوقت الذى أضعته فى جسده .. فغادرته مسرعا ... بعد أن أخذت العدة من حافظته .. وتركته يتلقى تأنيب امرأته وتقريعها .

ولم يكن امامى الا خمس دقائق .. وكان على أن أعمل بمنتهى السرعة .. وكان القوم ما زالوا فى تكأؤهم أمام الدار .. فخطر لى أن أحتل جسد المعلم حنفى نفسه .. ولكنى خشيت أن أكون بذلك قد هيات لروحه فرصة مفارقة الجسد .. فتأبى العودة اليه بعد ذلك .. وهكذا قد أكون قد قضيت على نفسى بالسجن فى جسد المعلم حنفى ... لا ... لا ... هذا خاطر أحمق ... يجب أن أبعده عن رأسى .

وبحثت بين القوم عن أستطيع احتلال جسده لأتخذ المعلم حنفى الجاهل .. هو وزوجته .. بعد أن أخفق عكاشة أفندى فى انقاذه ... .

ولم يطل بحثى طويلا ... فقد وجدت ضالتي المنشودة .. فى طقطق ، وهو صبى تبدو عليه الشقاوة والعفرتة .. وسرعان ما هبطت عليه فاحتلت جسده .. وتسلفت من بين القوم ودلفت الى بيت المعلم حنفى .. وأسرعت الى سطح البيت .. وكان قد ملئ بالملابس المغسولة

التي قد نشرت لتجف على الحبال .. فأسرعت بخطف بعضها ..  
وتعمدت أن أحدث ضجيجا .. تحس به امرأة المعلم حنفى ... ثم هبطت  
بسرعة على السلم .

وأحست المرأة بالضجيج وصعدت الى السطح فاكتشفت نقص  
الملابس فشق صراخها أجواز الفضاء .. وهبطت على السلم مندفة بكل  
قواها وخلفها أولادها .. يتصايحون ويتدافعون .. واندست بين الجمع  
بعد أن أخفيت الملابس تحت السلم ... ووقفت أرقب ما سوف يحدث .  
يا الله .. لقد نجحت نجاحا منقطع النظير .. فقد انطلق ذلك الجمع كله  
وبينهم المعلم حنفى وامراته وأولاده يعدون في الطريق بأقصى قواهم  
صائحين : حرامى .. حرامى .

وانطلقت معهم .. فاذا بالحي كله يعدو في شبه مظاهرة وراء اللص  
الهارب ... وبدأ القوم يتناقلون الخبر .. فاذا بى أسمع ... أن مجرما  
أثيما قد اعتدى على بيت المعلم حنفى .. فذبح امرأته ... وسرق  
حليها .. في رابعة النهار وأنه قد فر هاربا أمام القوم .. وسمعت الراوى  
يقول انه رآه بنفسه : رجل طويل يلبس عباءة سوداء ، ويمسك السكين  
بين أسنانه وينطلق هاربا .

ولم أنبس ببنت شفة .. ولم أخبره أن امرأة المعلم حنفى حية ترزق ،  
وأنها تعدو مع زوجها وأولادها في وسط المظاهرة .. فقد كان كل همى  
أن أبعدهم عن البيت ... وقد نجحت في ذلك أيما نجاح .. فقد أبعد الحي  
كله عن دورهم .

وفجأة سمع القوم قرقرة وضجة .. وتلفتوا خلفهم فاذا بيت المعلم  
حنفى قد انهار .. فأضحى أسفله أعلاه ، وأعلاه أسفله .. واندفع المعلم  
حنفى الى عكاشة أفندى يحتضنه ويستغفره ويؤكد للناس أن فيه شيئا لله .



نائب  
عزرائيل

## الفصل السابع وليمة

لم يكن لدى من الوقت ما أضيعه في سيدى زينهم بعد انهيار البيت ، وبعد أن أنقذت المعلم حنفى وآله الكرام من الموت تحت أنقاضه .. فقد كان على أن أوصل مهمتى فى انقاذ بقية الأرواح .. فسرعان ما غادرت جسد الصبى طقطع .. وألقيت نظرة على الكشف لأرى الروح التالية .. فوجدت صاحبها .. هو جابر بك كيراشو ... وكان المكان فى باب الخلق .. والموعود فى الثانية والنصف عقب وليمة غداء .

ورغم أننى لم أكن فى عجلة من أمرى .. اذا كان أمامى من الزمن ما يقرب من نصف ساعة .. فقد فضلت أن أذهب دون تلكؤ الى مقر الروح التالية ... لأننى توقعت أن تكون عملية انقاذها أشق كثيرا من سابقتها .. فما أظن محاولة منع السيد كيراشو من أن يميت نفسه بالتخمة عقب افراط شديد فى وليمة غداء بالمسألة الهينة .. وما كنت أظننى ساستطيع بسهولة أن أمنعه من التهام ما يحلو له من مائدة الطعام مما سيفضى به حتما الى مصرعه . .

ولم تمض بضعة ثوان حتى كنت أخلق فوق البيت المطلوب .. ونفذت من احدى النوافذ الى حجرة قد اكتظت بالمدعوين من الأصدقاء والخلان الذين دعاهم كيراشو بك للاحتفال به بمناسبة الانعام عليه برتبة البكوية .

وفحصت المدعويين فلم أجد بينهم صاحب الدعوة .. ففضلت أن أنتظره بينهم ، فلقد كان الجمع خليطا عجيبا يستحقون أن يقضى المرء معهم بعض الوقت .. اذ كانوا حقا مبعث تسلية ومورد فكاهة .. ولم أستطع أن أدرك البتة سر تلك الصلة .. التي ربطتهم بعضهم البعض .. فما كان هناك شبه أو تقارب بين أحدهم والآخر .. اللهم الا ميلهم للهلزل وحبههم للمجون .. حتى استطعت أن أجزم في النهاية بأنهم جميعا أولاد حظ وأبناء نكتة .

واستطعت أن أفهم من حديثهم أن السيد جابر يمتلك أشهر مطاعم الكفتة والكباب بالقاهرة .. وأن الرجل عصامي جمع ثروته بعرق جبينه وبمثابرته واجتهاده واتقانه لصنعتة .

وعلمت كذلك من سياق الحديث .. أن الرجل بدأ حياته بائعا مجولا للكرشة والسجق والطحال .. وقد يكون هذا هو سر تسميته بجابر بك كيراشو .. وأنه تدرج بعد ذلك فاقتنى عربة احتل بها مكانا مختارا على ناصية حارة السيدة .. وقد اشتهر وقتذاك بشواء الكفتة .

ورأيت أحد الحاضرين يهز رأسه ويقول كأنما قد أشجته الذكرى :

- رحم الله ذلك الزمن .. لقد كنت أقف وقتذاك في شارع مراسينا فيصل الى أنفى عبير الشواء من حارة السيدة .. فتأثنت بالله نسيم الصبا .

وعلمت أيضا أن الرجل قد فتح الله عليه بعد ذلك . فاستبدل بعربته سمعطا متواضعا في شارع السد البرانى .. وقد ذاع صيته من ذلك الوقت وطبقت شهرته الآفاق بفضل ما لديه من أجود أنواع الكوارع .. وتدرج به الأمر فأنشأ عدة مطاعم ، وأخذت ثروته فى الازدياد منذ ذلك الحين حتى أضحي من كبار الأثرياء .

ثم تبرع بعد ذلك بمبلغ لا يستهان به لمشروع الجوارب .. وهو مشروع فكر فيه بعض من « ناضجى العقول » ... وما أكثرهم فى هذا

البلد التعس .. فقد وجدوا أن مشروع الحفاء .. أو على الأصح مشروع  
الجزم .. قد نفع وأفاد .. وأن أفراد الشعب الذين يتضورون جوعا ..  
قد اكتمل هندامهم بليس الأحذية .. ولم يبق عليهم الا ارتداء الجوارب ..  
ففكروا فى مشروع الجوارب .. وجمع التبرعات والاكتتابات .. ممن  
ييغون وجه الألقاب ، لا وجه الله .. وهكذا سنحت الفرصة للسيد  
كيراشو .. فأقبل على اغتنامها ، وبين عشية وضحاها .. وجد نفسه  
كيراشو بك ...

وشرد ذهنى وتذكرت مصيبة هذا البلد بمشاريعه المغرضة  
المرتجلة .. فما من عمل أقيم الا كان المقصود به غير حقيقته ... وما  
من مشروع الا كان أساسه الخداع والتهريج .

وطال بى الجلوس بين القوم .. والسيد كيراشو .. - ذو التاريخ  
الشهى الحافل بالكباب والكفتة والكوارع - لم يظهر فى الأفق بعد ..  
وخشيت أن ظللت على انتظارى بين الجمع .. أن أفاجأ به على المائدة  
مرة واحدة .. فلا أستطيع أن أتدبر أمرى ... أو أمنعه من ارتكاب  
جريمة الانتحار التى هو مقدم عليها ... فلم أر خيرا من أن أترك  
الحجرة لأبحث عنه فى أنحاء الدار .

وبعد جولة سريعة فى الحجرات .. عثرت عليه أخيرا .. وقد انهمك  
انهماكا تاما فى المطبخ ، واستغرق بكليته فى مراقبة أسياخ الكفتة ...  
وتقليبها فوق جمرات النار .

وهنا وجدتنى أنعم البصر مليا فى صاحب العزة .. فقد كان فى الواقع  
يستحق انعام البصر .. ويستدعى التأمل والتمعن .

وكما وصفت المعلم حنفى من قبل فقلت عنه انه ليس أكثر من  
حواجب وشوارب ، أستطيع أن أقول دون أن أخشى الزلل : أن صاحبه  
الجديد لم يكن أكثر من بطون ويطون .. فقد أبصرت به . وقد وقف

أمام الموقد ملاصقا له ، وبالرغم من ذلك فقد كان بينهما مسافة تبلغ المتر قد شغلت بشيء - أشك كثيرا في أنه بطن واحد - وقد ارتدى القفطان ولف وسطه - أو على الأصح محيطه - بحزام من الكشمير .. وكان يمد ذراعه بمروحة من الريش ، يحركها بيده يمنة ويسرة ليستزيد من نيران الموقد .. وكانت المروحة لاتكاد تصل الى منتصف بطنه فلا يصل من ريحها الى الموقد الا نسمة خفيفة .

والتفتت حول الرجل ... وتأملت في وجهه .. فرأيت فكيه في حركة دائبة وعمل مستمر .. لا يكفان لحظة عن المضغ والبلع .. حتى خيل اليه أنه يتمتع بخاصة الاجترار .. ولم تكن تفاصيل وجهه بالشئ الجلى الواضح .. اذ لم يكن له أنف محدود أو عيان مميزتان .. بل كانت كل تقاطيعه ممزوجة بعضها ببعض ، حتى لكان وجهه طبق من البطاطس البيريه أو قصعة من العصيدة .. وكان كل ما استطعت تمييزه هو حطان بدلان على أن هنا توجد عيان .. وفتحتان يندفع منهما واليهما هواء تدلان على أنهما طاقتا أنف انسان يتنفس .

ورأيت الرجل يمد يده بجواره ثم يدفع شيئا في فمه ليتابع المضغ .. فلم أشك حينذاك أن عملية الانتحار بالأكل قد بدأت منذ مدة غير يسيرة .. وأنه لم يكن من الحكمة قط أن أقضى ذلك الوقت الذى قضيته بين المدعويين .. تاركا الضحية تزدرد وتلتهم .. دون أن أحاول أن أبدأ عملى فى انقاذها من شر نفسها .

ولم تمض لحظات حتى رأيت الرجل يغادر المطبخ وأبصرت بالمدعويين يغادرون حجرتهم ليتخذوا مقاعدهم حول المائدة التى احتل فيها السيد كيراشو مكان الصدارة .

وعلت فى الجو ضحكات .. وتطايرت نكات .. وبدأت عيون القوم تفحص الأصناف الشهية التى قد حفلت بها المائدة .. وقد بدت حائرة



غير مستقرة .. وشمر قائد المائدة عن ساعد الجد ... ورفع أكمام قفطانهِ  
الواسعة حتى المرفقين .. وبدأ عليه كأنه يوشك أن يخوض غمار معركة  
حامية الوطنيس .

وكننت أعلم فى نفسى أن الوليمة فعلا لا تعدو عن أن تكون معركة ..  
وانى لو لم أسرع فى التناخل لكان الرجل أول ضحاياها .

وبدأت المعمعة بأن مد الرجل يده الى فخذ ضأن لامع متورد قد علا  
قاربا من الأرز المخلوط بالزبيب والصنوبر .. وهنا أحسست أن  
المعركة ستكون من النوع الخاطف ، وانى لابد أن أسرع فى الهجوم  
المضاد .. وأن أكون سريعا فى عملى والا هزمنى الرجل فصرع  
نفسه .

وهبطت فى التو الى أول جسد يجلس بجواره ... ولم يكد يستقر بى  
المقام حتى مددت يدى فخطفت فخذ الضأن من يد الرجل .. وأسرعت  
بوضعه بين فكى قائلا : « انى احب الضأن » .

ونظر الى السيد كيراشو بدهشة وأصر على أسنانه فقد أذهله أن  
يرتكب أحد ضيوفه مثل هذا العمل الشائن . ورأيته يهم باستعادة الفخذ ،  
ولكنه تذكر أن واجب الضيافة يحتم عليه أن يكون كريما مع ضيوفه ..  
فكتم غيظه فى صدره .. وافتر ثغرة عن ابتسامة زائفة مصطنعة ليس  
بها من الابتسام شىء سوى أنها أظهرت أنيابه وأسنانه .. وأجبتة أنا  
بابتسامة مثلها .. وعادوت الاطباق بأسناني على قطعة اللحم .

وهنا يجب على أن أعترف أنى لم أكن قط حكيما عندما حاولت أن  
اتبع ذلك المسلك الذى اتبعته فى انقاذ الرجل .. لأنى ما كدت أحل فى  
الجسد وأدفع أسناني فى قطعة اللحم .. حتى شعرت بارادتى تضعف

وعاودتني عادتى القديمة وهى النهم والشرامة التى كانت تلازمنى فى حياتى كلما جلست الى مائدة طعام فى وليمة من الولائم .

أجل ، لقد عدت الى سابق عهدى عندما كانت جدتى تتهمنى بأننى « آكل فى آخر زادى » وعندما كنت أتبع قول الرسول : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .. ولكن بطريقة أقسم أنها لم تكن تخطر قط ببال الرسول عندما قال حديثه .. لقد كنت لا أكل حتى أجوع .. وأنا سريع الجوع جدا .. بل اننى فى الواقع دائم الجوع .. لأننى - كالشطيرة الثانية من الحديث - اذا أكلت لا أشبع .. ليس لأننى أكف عن الطعام قبل أن أشبع .. بل لأننى لأشبع مهما أكلت .

وانى لأذكر كيف كنا - أنا وأخ لى وابن عم - خطرا على أى دار ندعى للطعام فيها .. فقد كنا نصيب أهله بفجعة ووجيعة وخاصة عندما تنقلب المسألة بيننا الى منافسة ومسابقة .. فالويل عندئذ لأصحاب الدار .

ولم يكن هناك ما يستطيع أن يقيم أودى ويصلب عودى ويجعلنى أستطيع الصبر حتى الغداء الا أكلة فول مدمس أتناولها على الريق عند الاستيقاظ .. فبهذه الأكلة يمكننى أن أودى أعمالى بعد ذلك وأن أروح وأجىء دون أن أحس بألم الجوع .. الا قبيل الساعة الثانية عندما يحين وقت الغداء .

أجل .. اننى ما كنت أعتبر الفطور فطورا .. الا اذا كان فولا . وانكر كيف ذهبت لزيارة جدتى وأنا طفل فى السابعة ، فبت عندها ليلة الجمعة واستيقظت فى الصباح فأجلستنى الى المائدة .. ورصت عليها .. محاولة المبالغة فى اكرامى ، فقد كانت ، رحمة الله عليها ، شديدة الحب لى - أقول رصت عليها حوالى عشرة أصناف من مختلف أنواع الجبن والزيتون والزبد والعسل والمربى .. وجلست ترقبى وأنا آكل .. حتى

أتيت عليها جميعا .. فسألتني أن أقوم لأغسل يدي .. ولكنى نظرت اليها ببساطة وقلت متسائلا :

- أين الفطار ؟ !

- الفطار ؟؟؟ وما الذى التهمته فى جوفك الآن ؟

ولم أعن بالاجابة عليها ، بل قلت فى اصرار :

- أين الفول ؟

ونظرت الى جدتى وهزت رأسها آسفة .. ولكنى لم أهتم كثيرا بنظراتها ولا بأسفها ، بل أصررت ألا أترك المائدة الا بعد تناول طبق الفول .. وقد كان .

وأذكر كذلك كيف كنت وزميلا نتنافس على بطولة الأكل .. وكيف كنا نحن الاثنان نستعد لدخول مباراة للملاكمة .. وكان الممرن يحاول جهده أن يجعلنا نتبع رجيعا خاصا فى الطعام حتى لايزيد وزننا ، وكان يصير على ألا نتناول طعام العشاء . وكنا نذهب أمامه فعلا لكى ننام .. ولكن لا يكاد الليل ينتصف حتى نقفز من فراشنا فنهجم على المطبخ ونأتى على كل ما به .

وقد حدث مرة أننى ذهبت للنوم قبل صاحبى .. وأخذت أنقلب على الفراش برهة دون أن يغمض لى جفن .. وبعد لحظات رأيت صاحبى يتسلل الى الحجرة ويتجه الى فراشة فى سكون ، دون أن يحاول اضاءة الحجرة .. فدهشت فى نفسى اذ لم يتعود أحدنا أن يحترم نوم الآخر .. بل لا يكاد يدخل أحدنا يدخل الحجرة ويجد الآخر راقدا ، حتى يتفنن فى احداث الضجيج لاقلاق راحة زميله .. وانى لأنكر كيف دخلت عليه ذات مرة فوجدته يغط فى نومه ففتحت الراديو بأعلى صوته ، وكانت

تذاع وقتئذ أسطوانة « يا بختها يا بختها ضررتها طقت منها » وزعمت حينذاك أنني لا أستطيع النوم الا على نغمات الشعر والموسيقى ! !

أقول اننى دهشت لذلك الهدوء الذى أقبل به على فراشه .. وقلت فى نفسى ان فى الأمر سرا .. ورأيت قد وضع لفافة على الفراش ثم خرج من الحجرة .. وقفزت من فراشى وفحصت اللفافة فاذا بها رغيص ملء بالكباب .. فأسرعت بوضعه تحت مخدتى ، وعاودت النوم فى سكون .

وعاد صاحبى ومعه كوب من الماء ، وأقبل على فراشه يتحسس فلم يجد اللفافة ، وبحث هنا وهناك حتى أعياه البحث .. وأخيرا أضاء النور .. ثم نظر الى وقال فى صوت بائس ملء بالألم :

- لا داعى لادعائك النوم .. أعطنى ولو شقة .. على الأقل .

وكان ممرن الملائكة يدهشه أننا رغم المجهود الذى نبذله فى التمرين ، ورغم ذلك الرجيم الذى نسير عليه .. لا يزال وزننا فى ازدياد .. وأخيرا قرب ميعاد المباراة .. فأصر على أن نعدو مسافة طويلة حتى ينقص وزننا ، الى القدر المطلوب .. وبدأنا العدو .. والممرن ورائنا من كوبرى القبة حتى الجبل الأحمر ، ثم عدنا الى العباسية ، وهناك وقفنا نستريح برهة .. وغفل عنا الممرن بضع لحظات .. فوجدنا أحد باعة اليوسفى فوقفنا نتسلى أمامه .. فأكل كل منا ثلاثين يوسفية فى غفلة من الممرن .

وعندما عدنا وحاول الممرن أن يزننا بعد ذلك .. كاد يصعق عندما وجد أن وزننا قد زاد .

وأذكر مرة أخرى أننا ذهبنا للراحة عقب الغداء وأستلقى صاحبى

على الفراش .. وتمددت أنا على أريكة أتصفح إحدى المجلات ...  
وغفلت لحظة .. ثم فتحت عيناى فلم أجد صاحبى فى فراشه ..  
فأصابتنى دهشة اذ كان من نوع نووم مكسال لا يكاد رأسه يلامس الوسادة  
حتى يروح فى سبات عميق .

ونفضت للبحث عنه فقد كنت دائما أوجس منه خيفة عندما أراه يشذ  
عن عادة له .. وبحثت عنه فى بقية الحجرات فلم أجده .. قزاد خوفى  
اذ كنت أعرف فيه السير أثناء نوومه ، فخشيت أن يكون قد حملة سيره  
الى إحدى الشرفات أو النوافذ فألقى بنفسه منها .. وأسرعت أطل برأسى  
من النافذة على حديقة الدار وبنفسى لوعة من رؤية صاحبى أشلاء  
مهشمة وأعضاء محطمة .

وصدمتنى رؤيته .. لا طريح الأرض غريقا فى دمايه ولا سائرا فى  
أثناء نوومه .. ولا حتى مضطجعا فى ركن ظليل من الحديقة يستمتع  
بنسمة هادئة علية .. كلا لم أره فى أى وضع من الأوضاع التى يحتمل  
أن يرى بها أى مخلوق من مخلوقات الله المتمتعين بشئ من قواهم  
العقلية .. بل رأيته يعدو فى الحديقة بأقصى سرعة ثم يثبت بعنف الى  
أعلى ويقفز الى الأشجار ويهبط منها كأنه قرد فى حديقة حيوانات ..  
ولم أشك عندئذ فى أن صاحبى قد فقد عقله وأنه قد أصابه مس من  
جنون .. وخطر لى أنه قد يكون فى تلك العدو والقفز الجنونى ما زال  
مستغرقا فى نوومه .. وأنه لا يحس بما يفعل .. وخشيت أن يقع من فوق  
شجرة فتدق عنقه دون أن يدري .. فصحت به من النافذة لأوقفه .

ورفع الى بصره متسائلا عما أريد وهو ما زال منهمكا فى أعماله  
العنيفة ... كأنه يخشى أن تضيع منه بضع دقائق فى غير 'عدو ولا  
وثب .. وصحت به :

- أجننت ؟ ! ! فيم هذا الجرى والقفز ، والجن قد أوت الى مضاجعها فى هذا الهجير ؟

- خير لك أن تنزل فتفعل كما أفعل .. والا ندمت ولا ساعة مندم .

- أنا أنزل فأفعل كما تفعل ؟ ! يا للجنون .. أترك الفراش .. وأنزل للعدو والوثب فى هذه الشمس المحرقة .. دون أى سبب أو داع .

وأجانبى ساخرا وهو لا يكف عن حركاته العنيفة :

- دون أى سبب أو داع ؟ ! لعلك قد نسيت حفلة الشاى التى دعينا الى الذهاب اليها فى الساعة الخامسة .

وهزرت رأسى متسائلا :

- وما دخل ذلك فى حفلة الشاى ؟

- يا حضرة الأحق .. هذه عملية هضم .. أتريد أن تذهب الى حفلة الشاى وما زال طعام الغداء مكدسا فى جوفنا فننظر الى الفطائر والحلوى ملومين محسورين .

يا للخبيث ! ! اذا فهذا هو السر ! !

لم أرد أن أتقهقر أمامه بمثل هذه السرعة فأعترف له بأننى أحقق وأنه الذكى الفطن .. فنظرت اليه مستسخفا اياه ، وقلت له بلهجة رثاء :

- مسكين .. ربنا يشفيك ! !

ودخلت الحجرة متصنعا العقل والرزانة .. وتمددت على الأريكة

وأمسكت بالمجلة أحاول القراءة .. ولكن ذهني كان أبعد ما يكون عن الرغبة في القراءة .. فقد كان منهما في التفكير في صاحبي الذي لم يكف بعد عن عدوه ووثبه .. أجل .. ما من شك في أنه أكثر حكمة مني وأصوب رأيا .. فهذا الوثب والعدو سيؤدي به في نهاية الأمر الى أن يهضم تماما كل ما في جوفه ، فيذهب الى الشاي وهو ماضى العزم مشحوذ الهممة بمعدة خاوية ترحب بكل ما يلقي اليها من جاتوه ، وبتى فور .

وقارنت بينه وبينى ، فرأيتنى فى معمعة الشاي أشبه بجندى جريح فى معمعة قتال ، وتذكرت فى ذلك الوقت أن أحد ملوك فرنسا كان نهما أكولا ، وأنه كان شديد الولوع بالطعام الى حد اعتباره متعته الأولى فى الحياة .. وكان أكثر ما يحزنه أن الله لم يخلق له الا معدة واحدة محدودة الحجم .. وأنه لا يستطيع أن يدفع فيها الا كمية محدودة من الطعام فى وجبات محدودة ، وأوقات معينة ... ولذلك فهو لا يستطيع مباشرة متعة الأكل الا على نطاق ضيق كبقية خلق الله الذين ليسوا ملوكا .

واستمر الملك متبرما من عدم قدرته على الاستمتاع بعملية الأكل كلما شاء ووقتما أراد .. حتى امتدى الى طريقة عجيبة .. وهى أن يصنع له مقبأة .. فلا يكاد يملأ بطنه بأشهى الطعام وأطيب الشراب ، ويستمتع بأقصى ما تستطيع معدته تحمله من أكداش الغذاء .. حتى يذهب الى المقبأة فيفرغ فيها ما حملته معدته .. ثم يستريح برهة .. ليعاود الاستمتاع بعملية الملء مرة أخرى .. وهكذا دواليك .

ولم يطل بى التفكير .. حتى قفزت من مكانى أعدو الى الحديقة .. فأقفز وأتواثب .. كما كان يفعل صاحبي الذى اتهمته منذ لحظات بالجنون فما كنت خيرا منه .. أو خيرا من ملك فرنسا .

هذه أقاصيص لم يكن من سردها بد ، حتى أعلل ذلك الضعف الذى أصابنى عندما حللت فى الجسد .. ودفعت بأسناني فى قطعة اللحم .. فقد رأيتنى أعود الى قديم ولوعى بالموائد والولائم ، ورأيتنى أسبح ببصرى بين الأطباق الحافلة بالأطعمة الشهية .. وأمد يدي فأختطف طبقا من سلاطة الطحينة التى كنت مشغوبا بها فى حياتى .

وهكذا رأيت الطعام يكاد ينسينى واجبى الأول ، وهو انقاذ الرجل من الانتحار .. اذ مد يده الى صينية رقاق فطواها طيتين وقذف بها فى حلقة دون مضغ حتى لقد خيل الى أنى أكاد أسمع صوت ارتطامها بقرار هججته .

ورأيت الرجل قد بدأت أنفاسه تتلاحق ... وجفونه تتناقل ، وأطرافه تتراخى ، فأصابتنى رجفة .. لعنة الله على .. لقد كدت أترك الرجل يقتل نفسه .

وهنا لم يكن بد من العمل السريع فتركت الجسد الذى حللت فيه .. وأخذت أفكر بسرعة .. لقد كان من العبث أن أحاول الدخول فى أى جسد آخر .. فما من شك أنى سأندفع مرة أخرى الى التهام الطعام وأنسى الرجل .. وفى هذه المرة لا شك أنه سيلقى حتفه .

ونظرت حولى فى حيرة ، فوجدت فى أسفل المائدة قطا كان الرجل يدلله ويلقى اليه من أن لآخر ببعض الفتات فهبطت اليه فى سرعة البرق وحللت فى جسده .

وفزع القط فى بادئ الأمر .. ولكنى أنبأته أن الاحتلال لن يكون الا لبضع دقائق .. ولم تكد روحى تستقر فى الجسد الصغير حتى أسرع الى طرف المائدة فأمسكت بقمي حافة المفروش المدلى على الأرض وجذبتة جذبة عنيفة فهوى بما فيه من صحاف وأكواب وأصاب



رشاش الطعام ثياب المدعوين .. فقفزوا من أماكنهم حائقين صاخبين .

ونظرت الى كيراشو بك فرأيتَه قد تمدد فى مقعده لا يستطيع الحركة .. وكانت الضجة قد أعادت اليه بعض صوابه .. ولكنه ما زال فى نصف غيبوبة .. فقفزت اليه ، وتوسدت ساقه .. وخطر لى أن أجرب معه طريقة الزغزغة فلعلها تفيد فى نعنشته بعض الشيء .. فبدأت أعبث بأظافرى عبثا خفيفا فوق بطنه الكروية .. فسمعت منه ضحكة خافتة واهتز جسده هزة خفيفة .. ولكنه عاد الى السكون مرة أخرى .. فعدت الى الزغزغة ، فقد كان الرجل شديد الغيرة من بطنه .. وواصل الرجل الضحك ، واستمر جسده فى الاهتزاز فشجعتنى ذلك على الاستمرار .. وبدأ الرجل يقهقه ويتمايل على مقعده ويحاول أن يمد يده ليعننى عن بطنه .. ولكنه لم يستطع أن يصل الى ... وزادت قهقهة الرجل .. وبدأ القوم يشاركونه الضحك والقهقهة . وواصلت أنا عملية الزغزغة بجد واجتهاد ، حتى أحسست بجسد الرجل يكاد ينفجر .. فتركته خشية أن أكون قد أنقذته من الموت شعبا .. لكى أميته من الضحك .

وتركت الجسد الصغير .. وانطلقت لأنقذ الروح التالية .





نائب  
عزرائيل

## الفصل الثامن

### مجمود افندي الفنت

نحن الآن في ، جنينة قاميش ، أو ، ناميش ، باللغة الدارجة ...  
وليسمح لى القارئ أن أتريث عندها لحظات وليتحمل منى ذلك الملل  
الذى قد أصيبه به اذا ما أطلت الحديث عن ، جنينة قاميش ، .. فان لها  
على حقا .. فقد كانت لى مرتع الصبا .. ومراح الطفولة اللاهية  
العابثة .. فلا أظن القارئ يحرم منى من أن أهيبها بضع كلمات ... أو  
أن أحبيبها بقول الشاعر ، جادك الغيث اذا الغيث همى ، .. فهى بقعة  
من الأرض عزيزة على نفسى .. حبيبة الى قلبى .. وقد ينسى المرء  
كل مكان الا مرتع طفولته .. وموطن حبه .. أجل :

قد يهون العمر الا ساعة وتهون الأرض الا موضعا

ولاح لى ميدان السيدة وقد اختلط فيه الحابل بالنابل واختلطت فيه  
شتى الأصوات المختلفة المتناقضة .. رنين طاسات العرقسوس برنين  
جرس الترام يقرعه السائق من حين لآخر .. وأصوات باعة مشابك  
القصيل وابور الجاز بأصوات باعة الجرائد يعرضون الأهرام  
بسبعة مليعات فقط .

ولاحت لى مدرسة محمد على فى أول شارع مراسينا ، فساقتى

الحنين لأن أجول فيها جولة .. ونفذت الى الداخل ووقع بصرى على  
الجرس الكبير ... فتذكرت عم عفيفى قارع الجرس .. بمشيته البطيئة  
المتثاقلة .. وعصاه التى يتوكأ عليها ، والتى قد وضع فى أسفلها مسمارا  
يلتقط به الأوراق الملقاة فى طريقة دون أن يكلف نفسه أية مشقة أو  
عناء ، فكأنه عربة كنس .

وأبصرت بملعب الكرة المثلث ... وتذكرت أبطال محمد على فى  
لعبة الكرة .. أبو السعود كاسب ، وبألز ، والكسار ، وسعيد خليل ،  
وهذا الأخير أبصرته قبل موته بضع مرات ممثلا على الشاشة  
البيضاء ، وفى الفرقة القومية .

ثم تذكرت أيام الاضراب عندما كنا نقف فى القناء ونهتف : « عايزين  
نخرج ، والباب أمامنا مفتوح على مصراعيه ، ولا أحد هنالك يمنعنا من  
الخروج .. ومع ذلك لا نخرج .. مكتفين باعلان رغبتنا فى الخروج  
حتى يدق الجرس فنساق الى الفصول .

ونفذت من الباب الخلفى الى شارع سلامه .. فتذكرت بائع السميط  
والساندوتش بوجهه الأسمر الضاحك ، وصوته الرنان يصيح من آن  
لآخر : « هنا المهم يا بيه ، وتذكرت بائع البسبوسة وطرفاته المنتظمة  
بسكينه فوق الصينية المستديرة ، وبائع الصحف الذى لا يتحرك من  
مكانه ولا يقول الا : « سياسة ، وأهرام .. سياسة » .

وهبطت أخيرا الى جنينة قاميش .. فاذا بى أرى الشوارع قد ضاقت  
بعد أن كنت أراها متسعة رحبة الأرجاء ... واذا بذلك الميدان الذى كنا  
نتخذة ميدانا للعب الكرة .. والذى كان يخيلى الى وقتئذ أنه أوسع من  
ميدان عابدين ، قد بدا فى ضيق عجيب .

وأبصرت بدارنا القديمة ... وبدار أخرى على قيد خطوات منها ..  
فأحسست بالفؤاد قد هفا .. والقلب قد شدا وترنم .. « وما حب الديار  
شغلن قلبي » .. ولكن حب من كان يسكنها في أيام خلت ، وزمن مضى  
وغبر .

تذكرت « ملكة » التي كانت أول من أحسست نحوها بحب ... والتي  
لم تحس هي لحظة .. لا بحبي ، ولا بوجودي ... والتي كانت عندي  
في لحظة من لحظات العمر كل شيء ... وما زدت أنا عندها قط عن  
لا شيء .. لقد كنت لديها كالهواء أو كالفراغ .. ثم ماتت وقتذاك .. وهي  
صبية نضرة لينة .. ولم أحزن على موتها كما يجب أن يحزن عاشق  
على موت حبيبته ... لأنها كانت عندي بمثابة شيء رمزي ... فما كان  
موتها ليحرمني من شيء كنت أمتع به في حياتها ... على التقيض ..  
لقد كنت أشعر أنني أستطيع أن أحبها وهي ميتة دون أن يشاركني فيها  
أحد من الأحياء .. وكنت أريد أن أضرب لها - أو لروحها - مثلا ..  
انني على أنكارها إياي وإهمالها وجودي أحفظ للعهد وأبقى على الحب  
من غيري ممن كانت تمنحهم ما تبخل به على ، وتهبهم ما تحرمني  
منه .

ولكن ما لنا ولتلك الذكريات الآن .. لكأنني سأخرج عن الموضوع ،  
لأكتب حياة قلبي ، كما كتب « الصاوي » حياة قلبه .. عجباً لك أيها  
القلب تأبى إلا أن تخسر نفسك في كل مقام .. مهلاً أيها القلب ... فما  
المقام مقامك ، ولا المجال مجالك .. ألا تستطيع الصبر ؟ من يدرى ..  
فقد تسنح لك الفرصة ، لتقص حياتك كاملة .. في كتاب خاص بك ..  
تسميه مثلاً : « مدمن حب » .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة ولم تنزل أمامي فسحة من الوقت ، فقد

كان موعد قبض الروح التالية هو الساعة الرابعة .. فقلت لنفسى : أجول  
جولة بين ربوع الماضى حتى يحين الموعد .. ودلفت فى احدى  
الحارات فرأيت صبية قد تكأكؤا حول كرة يحاولون نفعها بمنفاخ  
صغير .. فتذكرت فى التو « تيم الأسد المرعب بجنيئة ناميش » ، وقلت  
لنفسى : ان الانسان لايتغير فقد خيل الى أنى أرى نفس المنظر الذى  
كنت أراه منذ عشرات السنين .. حتى لقد كدت ابصر نفسى بين هؤلاء  
الصبية .. من فرط ما بيننا وبينهم من شبه .. ووقفت أربعهم حتى انتهوا  
من نفخ الكرة .. ثم بدأوا يقسمون أنفسهم الى فريقين ، وكان البعض  
منهم يرتدون الأحذية والبعض لا يرتدى أكثر من القباقيب والشباشب ..  
ورأيت مشكلة قد قامت بينهم - تماما كذلك المشكلة التى كانت تقوم بيننا  
عندما كنا فى مثل سنهم - فقد كان حفاة الأقدام يخشون على أقدامهم  
من بطش نوى الأحذية ... وبعد أن تشاور الصبية فيما بينهم لحظة ..  
رأيت نوى الأحذية قد جلسوا على الأرض وخلعوا نعالهم ووضعوها  
على الرصيف وأخذوا كلهم فى اللعب حفاة .. وقلت لنفسى : « لتحيا  
الديمقراطية » ، وخشيت أن أقول : « الشيوعية » ، حتى لايقبض على .  
ووقفت اتسلى بمشاهدة اللعب .. فتذكرت حينذاك حادثة ظريفة  
وقعت لنا ذات مرة فى نفس الحارة .. وقد انهمكنا فى اللعب تماما  
كهؤلاء الصبية .

كنا قد بدأنا اللعب .. وكان يوجد فى نهاية الحارة صبى بقال ،  
ملحوس ، يدعى أحمد البطل ... وكان من أهم صفات أحمد البطل  
هذا .. أنه من غواة لعب الكرة .. وكثيرا ما كان يترك الحانوت ليقف  
حارس مرمى .. وفى ذلك اليوم مر بنا أحمد البطل .. وعلى كتفه قفص  
من العنب يحمله الى الحانوت .. واستهواه اللعب .. فوقف يشاهده ..  
ويخيل الى أن الماتش كان حاميا .. لأن صاحبنا اشدد انسجامه حتى

انتهى الأمر به بعد لحظات الى أن يترك الرصيف وينزل بين اللاعبين وقد حمل قفص العنب ليعلن أنه يريد اللعب .

وأنبأناه بالحسنى أنه لا محل له لأن الفريقين كاملان .. ولكنه أصر على اللعب .. ولما كنا نجد فيه مادة للتسلية والعبث .. فقد طلبنا منه أن يحضر زميلا له حتى نستطيع أن نضع كلا منهما فى فريق .

ويبدو أنه لم يكن هناك أسهل عليه من إيجاد هذا الزميل .. لأنه سرعان ما تطوع بائع بطاظة كان يقف على مقربة منا لأن يكون هو الزميل المطلوب .

ووقف كل منهما فى مرمى أحد الفريقين .. ووضع أحمد البطل قفص العنب على سور بجوار مرماه .. ثم انهمك فى اللعب .

أجل ... لقد كان انهماكه فى اللعب شديدا ... حتى انه لم يشعر قط بنا ونحن نتناوب التسلل لكى يأخذ كل منا نصيبه من قفص العنب .. وأخيرا انتهى اللعب .. وانتهى العنب .

وذهب صاحبنا ليحمل قفصه .. فوجده فارغا، ووقفنا نحن نتساءل وقد ملأنا الدهشة : أين ذهب العنب .. وأين اللص ؟ .

وبكى البطل وانتحب .. فقد كان لا يدري كيف يغود الى صاحب الحانوت بالقفص الفارغ .. ولأنت قلوبنا له .. فبدأنا الاكتتاب حتى جمعنا له ثمن العنب المسروق : ومن ذلك اليوم وهو لايفكر قط فى لعب الكرة .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف فتركت الصبية وانطلقت الى الروح التالية .. لصاحبها : محمود أفندى الفنط .

وصلت الى بيته .. ونفذت الى شفته المتواضعة خلف مطحن

الرمالى .. فرأيت صاحبنا فى جلبابه ، وقد عصب رأسه بفوطة ، بعد أن أغرقها بالفازلين استعدادا للخروج .

وتبين لى أن محمود أفندى يعيش مع أبويه « أبو محمود ، و « أم محمود ، .. وأنه يعتبر فى الدار بمثابة رب الدار .. وأنه أعزب لم يتزوج - وربما كان هذا هو المظهر الوحيد الذى يبدو عليه من مظاهر العقل - وكان أهم ما يشغل بال محمود أفندى فى هذه الحياة .. امران : شارب ، وورق اليانصيب .. وقد يديه لنا هذا القول فى صورة الرجل التافه .. أو الشاذ .. ولكننا لو نظرنا الى هذين الشيين اللذين يشغلان باله .. على انهما عنده وسيلة لغاية .. لما رأيناه أكثر تفاهة .. أو أكثر شذوذا من الكثيرين منا .

كانت غاية الرجل فى الحياة شيئين : النساء .. والمال .. ولا نطن أحدا منا يستطيع ألا يعترف - على الأقل فيما بينه وبين نفسه - أن ذلك هو غايته .. أو من أهم غاياته .. وكان الرجل من جانبه يعتبر أن وسيلته لأدراك هذه الغاية .. شيان ، شارب ، وورق اليانصيب .. أما الشارب فلاقتناص النساء ، وأما اليانصيب فلا أدراك المال .. وهو فى عدوه وراء غايته .. صبور ملح .. لا يكل ولا يمل .. ولا يعرف معنى للضيق أو التبرم .. فهو يؤمن تماما بحكمة القول : « على المرء أن يسعى ، وليس عليه ادراك النجاح ، .. وهو يرى - تبعا لذلك - أن يداوم السعى ... وقد اختار لذلك السعى أبسط الوسائل وأهون الطرق .. شارب ، واليانصيب .

وعندما وقع بصرى عليه فى تلك اللحظة .. كان قد بدأ عملية الاستعداد للخروج .. وهى عملية لو تعلمون شاقة عسيرة .

وبدا محمود أفندى العملية بارتداء الشراب .. وكانت صعوبة ارتداء



الشراب كائنة فى كيفية اخفاء تلك النقر ، التى لو حاول معها ارتداء الشراب بالطريقة العادية التى يتبعها بقية خلق الله .. لظهرت تلك النقر للأعين جلية واضحة .. أما هو فقد كانت لديه طريقته الخاصة .. فهو يرتدى الشراب ثم يجذبه من طرف أصابعه .. حتى يصبح كعب الشراب فى بطن قدمه .. ثم يثنى الزيادة الى أسفل .. ويضع قدمه فى الحذاء . ويبدأ بعد ذلك ربط الحذاء .. ولكنه لا يكاد يجذب الرباط حتى ينقطع .. فيأخذ فى وصله ويضيف عقدة أخرى الى عشرات العقد التى به .

ثم ينزع الجلباب ويضع القميص على جسده .

وينظر الى اللياقة المنشأة البيضاء .. التى لم تعد بعد بيضاء .. بعد أن علاها ذلك الاطار السميك من العرق والقذارة .. ثم يصيح بأعلى صوته طالبا ياقة أخرى فيجابه صوت أمه بأنها عند المكوجى ... فيرغى ويزبد ويهدد بالويل والثبور .

وعندما انتهى صاحبنا من ثورته على المكوجى بدأ يربط الكرافة وقد احمر وجهه واحتقن .

ووقفت ارقبه وهو منهمك فى ربطها .. حتى انتهى منها .. فوجنته يصيح فجأة :

- الدوبارة .

وهنا حدث هرج ومرج فى الدار فكأنما صيحة الرجل لم تكن فى طلب الدوبارة .. بل كانت انذارا بغارة .. لقد انطلقت الأم وانطلقت الخادم تنقبان هنا وتبحثان هناك .. فى ارتباك وعجلة .

ورأيتنى أجهد الفكر عبثا فى محاولة معرفة ما يريد صاحبنا أن يفعله

بالدوبارة ، أتراه يريد أن يربط بها الشراب ؟ لا أظن ! لأنى أبصر الشراب قد شد الى ساقه بحمالة ... أتراه يرغب فى أن يشد بها البنطلون الى وسطه بدلا من الحزام ؟ .. لا أظن .. فما من أحد يستطيع أن يحتمل ضغط الدوبارة على بطنه ؟ . ولكن من يدرى ؟ .

ولم أجد خيرا من الانتظار .. حتى أرى ما ينوى الرجل فعله .. ولم يطل بى الانتظار حتى أبصرت الخادم قد هرولت اليه بقطعة صغيرة من الدوبارة كانت من فرط القصر بحيث طردت من رأسى كل ظن بأن الرجل سيربط بها وسطه .. فقد كانت لا تكفى حتى لربط فأر صغير ... ومد احدى يديه لأعلى فى اتجاه الخادم ... ولم تعطه الخادم الدوبارة .. بل أقبلت بهدوء تضع طرف الدوبارة فى عروتى كم القميص ، لتربط بها « الأسورة » بدلا من أزرار القميص .

وهنا فقد فهمت سر الدوبارة ! !

وأخيرا انتهت عملية اللبس وبدا أمامى محمود أفندى فى مظهره النهائى .. أبيض الوجه أحمره .. مبروم الشارب منمقه .. قد مال طربوشه الأحمر الفاقع .. ميلا شديدا على أحد جانبيه .. وأحاطت بعنقه الياقة المنشأة .. ذات الاطار السيمك من العرق والقذارة .. وقد بدا فيها كالمخنوق .. وبلى ذلك رباط الرقبة الأحمر الزاهى الذى لم يخل هو الآخر من بقعتين أغلب الظن أنهما آثار دمعة .. أو شورية .

وخرج صاحبنا متفوخا منفوشا كالديك الرومى .. وهو يهز فى يده منبته البيضاء .. وقد أطل من جيبه منديل من الحرير الصناعى .. واستقر فى عروة السترة وردة بيضاء كبيرة الحجم قد شغلت حيزا كبيرا من صدره .

وتبعت الرجل وهو يتبختر ويتمايل .. ولاح لخاطرى المصير الذى

ينتظره - أو المفروض أنه ينتظره لولا تدخله فى الأمر - ووددت لو همست له ببیت أبی العلاء : « خفف الوطأ .. » .. وتساءلت فى نفسى : ترى ماذا يكون شعوره لو أحس بما سيصير اليه بعد هزيعات قصيرة ؟ .. أكان يصبر على الانتفاخ والتبختر .. أترأه لو أدرك أنه ميت بعد دقائق معدودات أكان يستمر على الحنجلة والعجب !

ولم يطل به التبختر حتى قد بدأ يسرع فى مشيته ... الى حد الهرولة .. أو العدو .. كأنما استلقت نظره شىء هام يريد اللحاق به ، حتى استقر به المقام أخيرا وراء امرأة لفتت جسدتها فى أغراء بملاءة سوداء .. وسارت تفرع أرض الطريق بكعب شبشبها .. قرعات موسيقية منتظمة .

ولم أكن من الغباء بحيث لا أدرك .. أن صاحبة الملاءة لابد وأن تكون الأنسة المحترمة : تحية لف التى ستتسبب فى وفاة الضحية الثالثة .. فاقتربت منها لأفحصها عن قرب .. فقد كنت أرى فيها أحد أبطال قصتى .

وكان أول ما لفت نظرى ذلك الاعتدال العجيب فى قوامها .. وهنا يجدر بى - قبل أن أصفها - أن أفهم القارىء جيدا - أنى لست من أنصار الملاية اللف ولا المولعين بها .. وأننى ، رغم أن والدى عليه رحمة الله ( وعلى أنا الآخر رحمته ) .. لم يكن يفتنه شىء كصاحبات الملايات اللف الساحرات الفاتنات .. الا أننى لم أرث عنه هذه الصفة .. فما كنت فى حياتى تثيرنى قط امرأة فى ملاءة .. وما كنت أحاول أن أنظر فى وجوههن .. وكنت أدهش من رخا الرسام لمحاولته اظهار بنت البلد فى تلك الصورة المغربية الفاتنة .. فقد كنت أراها بعيدة تمام البعد عن الحقيقة .. أو هذا على الأقل ما كنت أراه فى حياتى .

أقول هذا حتى لا يظن أحد أن وصفى للفتاة ، و من مبالغه معجب \*  
 مأخوذ بالملاية اللف في حد ذاتها ، أو أننى من القائل مع القائلين : يا  
 لفتك فى الملاية حرمتنى أهلى ، .. ولكن من يدرى .. ربما كان انتقالى  
 الى العالم الآخر ، قد جعلنى من ذلك النوع القديم المولع بالملاية اللف .  
 على أية حال .. اليكم وصفها كما أبصرتها .. ولتقولوا ما شئتم :

لقد أبصرت ظهرا لم تستطع الملاءة السوداء أن تخفى شيئا من  
 تفاصيله .. على العكس .. لقد أعطته زيادة فى الاعتدال والطول ..  
 وأبدته جميل الصنع .. بديع التكوين والتركيب .. وأظهرت الردين فى  
 بروز مستحب وفى استدارة لطيفة .. وشدهما شدا خفيفا بحيث بدا  
 اهتزازهما أشبه برجرجة طبق من الجلى أو الألباظية .. ومن فوقهما  
 بدا الخصر فى ضيق واتساق .

هذا عن الظهر .. أما عن الوجه ، فقد كان وجهها فاتنا حقا .. لقد  
 كانت الفتاة فى الواقع تستحق أن يموت من أجلها محمود أفندى وأكثر  
 من محمود أفندى .. لقد كنت أحس بالرتاء له ، عندما كنت أفكر أنه  
 سيموت من أجل فتاة .. ولكنى لم أكد أراها حتى أحسست بالرتاء لها ..  
 لأن محمود أفندى فقط هو الذى سيموت من أجلها .. فقد كانت تستحق  
 أن يموت من أجلها .. عشرة كمحرد أفندى .

لقد أبصرت بعينيهما من خلف البرقع نجلوين سوداوين صافيتين ،  
 لأهدابهما ظلال ، كظلال الشجرة المورقة فوق الغدير الصافى .. لقد  
 كان الناظر اليهما لا يملك الا أن يطبق عليهما بشفتيه فيوسعهما لثما  
 وتقبيلا .. أما الأنف والفم فقد بديا كذلك فى دقة عجيبة كأنما قد رسمهما  
 رسام مبدع متقن .

أما الصدر فقد بدا من خلال فتحة الملاءة فى امتلاء وبرز ، وقد

رفع رفعة طبيعية بلا حاجة الى سوتيان .. ومن أسفل الملاءة بدت ساقاها مخروطين تنتهيان بقدمين صغيرتين .

هذه هي الآنسة تحية لف التى سيموت - أو المفروض أنه سيموت - من أجلها محمود أفندى .. والتى كنت على استعداد أنا نفسى - لو لم اكن ميتا بالفعل - أن أموت أنا الآخر من أجلها .

وخرجنا الى شارع السد بعد أن اجتزنا الحارة التى كنت أعرفها باسم « درب المديح » ... تاركين وراءنا عاصفة أثارها الست تحية أو توحة من الاعجاب والبصبة .. مخلفين فى الجو خليطا عجيبا من أبلغ آيات الغزل والتشبيب ... التى صدرت عالية من حناجر أهل الحارة من الرجال والصبية .. وكان أبلغها ذلك الصوت الذى تصاعد ملؤه الحماسة والقوة وقد أخذ صاحبه يصفق بيديه ، ويصيح فى نبرات موسيقية طويلة : « يا بت ياللى زى كباب الحلة » .

وقد حاولت أن أوجد وجهها للشبه بين توحة وبين كباب الحلة فلم أستطيع .. وقلت لنفسى : انه تشبيه غريب فى بابيه .. فقد تعودنا أن نسمع من باب الغزل تشبيهات بمختلف أنواع الحلوى ولكنها كلها معقولة .. فعندما يقال : « يا باشا ياللى زى البغاشة » يكون هناك معنى للتشبيه .. ويكون هناك جامع بين المشبه والمشبه به .. وهو الرقة والحلاوة فى كل .. وكذلك عندما يشبه المحبوب بالملين أو بالهظة القشطة يكون الجامع هو اللين والحلاوة والبياض فى كل .. أما أن تشبيهه بكباب الحلة فهو شئ يحتاج الى شرح وتفسير .. ولكن أغلب ظنى أو وجه الشبه هنا لابد وأنه فرط غرام صاحب التشبيه بالمشبه والمشبه به وفرط لهفته الى كليهما .

واتجهت صاحبتنا يمينا فى شارع السد وسارت بضع خطوات ، ثم

توقفت أمام مكان يقال وسمعتها تطلب « رطل جبنة حلوم .. وبتعريفه  
فلفل أسود .. وقرشين صاغ بصل .. وبتعريفه طرشي افرنجي ( بس  
ما يكونش حراق ) ... »

ووقف محمود أفندي في انتظارها على قيد خطوات .. وهو كما  
هو .. يكاد من فرط الانتفاخ ينفجر .. يهز المذبة بأحدى يديه .. ويبرم  
بالأخرى شاربه .. وقد ازداد في عينية الحول وضوحا من فرط استراق  
البصر ومن فرط النظر من تحت لتحت .

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والثلاث ، ولم يبق على وفاة صاحبنا  
الا عشر دقائق .. كنت أعلم أن معظمها سيقضيها في انتظار تروحة حتى  
تنتهي من شراء لوازمها ، ثم تعبر الشارع الى الرصيف الآخر أمام  
سيدي الحبيبي لتبتاع ( خمسة أرغفة وبتلاثة مليمات فجل ) .

وبمجرد أن تعبر الشارع يعبر محمود أفندي خلفها .. وقد ثبت بصره  
على ردفها العجيبين أو على طبق الألبان كما سبق لنا التشبيه .. وهو  
شارد الذهن عن كل ما حوله .. وهنا تحدث الفاجعة .. إذ يقبل أحد  
التاكسيات بسرعة حمقاء مستهترة .. فيصدمه صدمة تكون هي القاتلة .

هذا هو ما يجب أن يحدث .. وهذا هو أيضا ما يجب أن أمنعه ..  
فقد كان على أن أمنع موت الرجل .. وأن أبقى له روحه في جسده ..  
فما كنت في حاجة اليها .

وبدأت أفكر .. وكانت العملية - عملية الانفاذ - في هذه المرة ،  
أسهل بكثير مما سبقها .. أو هذا هو الأقل ما بدا لي .. فقد كانت  
المسألة غاية في البساطة وكان حلها أكثر بساطة .. فالرجل سيموت ،

لأن تاكسى سيصدمه أثناء عبوره الشارع .. فأضمن طريقة لمنع موته  
هو أن أمنع مرور التاكسى عند عبوره الشارع ...

وأخيرا رأيت تحية قد انتهت من شراء لوازمها .. وبدأت تعبر  
الشارع .. ثم رأيت محمود أفندى يوشك أن يبدأ عبوره هو الآخر ...  
وفى تلك اللحظة لمحت تاكسى قد أقبل من ناحية أبو الريش .. منطلقا  
بأقصى سرعة .

وهنا أحسست أن اللحظة الحرجة قد أزفت ، وأن العمل يتطلب منى  
سرعة خاطفة .. فقفزت من مكاني قفزة رائعة وحللت بها فى جسد  
راكب التاكسى ، وكانت العربة قد اقتربت من شارع التلول فقلت للسائق  
بسرعة : اتجه الى اليمين ، ولكن السائق نظر الى شزرا .. وبدأ لى أنه  
لم يعجبه هذا الأمر المفاجيء منى ، وأنه لاينوى تنفيذه .. فقفزت الى  
جسده .. معيدا روح الراكب الى جسدها كما كانت .. وبدأت أنا انفذ  
بالفعل ذلك الأمر الذى أصدرته وأنا فى جسد الراكب... ودرت بسرعة  
مخيفة فى شارع التلول .. دورة كادت تقلب العربة .. وتقتل بضعة  
أطفال يلعبون على باب الشارع لولا ستر من الله .. أو على الاصح ..  
لولا أن أرواحهم لم تكن مدرجة . فى الكشف الذى أحمله .

وسمعت الراكب يصيح بى فى حلق وغضب : « أيها المجنون الى  
أين ؟ » .. ولكنى لم ألق اليه بالا .. وقفزت من جسد السائق عائدا  
أدراجى .. تاركا العربة مندفعة فى شارع التلول .

ولكنى - لشدة دهشتى - وجدت عربة تاكسى أخرى قد أقبلت من  
نفس الاتجاه الذى أقبلت منه الأولى وانطلقت محاولة الاندفاع فى  
الطريق الذى حولت عنه العربة السابقة .

وأسوأ ما فى الأمر أن محمود أفندى - لعنة الله عليه - كان لم يعبر الشارع حتى الآن . فكأنى به لا ينوى العبور الا فى اللحظة التى يضمن أن يلقى فيها حتفه .

ولم يكن الظرف ليحتمل منى أى بطء .. فقفزت الى جسد السائق الجديد .. ولكنى لمحت وأنا فى طريقى الى جسده .. عربية ثالثة مقبلة من بعيد ، وخلفها عربية رابعة وخامسة .

ووجدت ان المسألة قد أصبحت أصعب من أن أحاول حلها بهذه الطريقة التى أتبعها .. لأن العربات ستتكاثر على دون أن أستطيع تغيير اتجاهها جميعا بنفسى ولا بد أن أحداها ستستطيع الافلات فنقتل محمود أفندى - الذى ما زال يقف على الرصيف كأنه الديك الرومى - أثناء عبور الشارع .

وهنا خطرت لى فكرة وجدت فيها خير حل لهذه المشكلة التى أنا فيها .. فلم أكد أدفع بالعربة الثانية فى شارع التلول .. حتى قفزت من جسد السائق فحللت فى جسد عسكرى بوليس كان يقف أمام عربية خيار على باب الشارع .. ثم وقفت فى منتصف شارع السد ، وبدأت أحول المرور كله الى طريق شارع التلول قائلا لأصحاب العربات ان الطريق مغلق وأنهم يمكنهم الذهاب الى ميدان السيدة عن طريق شارع زين العابدين .

ونجحت الفكرة الى أبعد حدود النجاح .. وأخليت شارع السد بأكمله لصاحبنا حتى يعبره فى أمان واطمئنان دون خوف من أن تصدمه حتى عربية يد .

وأدرت رأسى لأرى اذا كان صاحبنا قد انتهى من العبور فوجدته



قد بدأ العبور فعلا .. ولكن شد ما هالنى أن أجد قافلة من عربات التاكسى قد أقبلت على محمود أفندى من الاتجاه الآخر .. أى من ناحية ميدان السيدة .. وأصابنى ارتباك شديد .. وقلت ان كل ما فعلت سيذهب سدى .. ولكن خطر لى وقتئذ خاطر عجيب .. لم أجد خيرا منه لانتقاد صاحبنا من شر أعماله .

كان هذا الخاطر .. هو أن أحل فى جسد الفتاة توحة ... نفسها ...

هو خاطر عجيب ولا شك ... وقد أحسست من التفكير فيه بكثير من الخجل ... الخجل من أن أصبح فى آخر الزمن .. امرأة .. بملاءة لف .. ولكن لم يكن هناك بد من تنفيذه .. فالغاية تبرر الوسطة .

ولست أنكركم القول .. أننى أحسست أيضا بشيء من النشوة الى جانب الخجل .. فقد خيل الى أنه لابد أن يكون ممثعا .. ذلك الاحتلال منى للجسد الغض البض .. الناعم الطرى .

وتركت جسد العسكرى الأسمر الخشن .. الشائك الجاف .. لأحل فى ذلك الجسد اللين الشهى .. فكأننى انتقلت من زنازة فى قره ميدان الى مقصورة فى الأوبرا .. أو من جردل حمض فنيك الى قفص منجه . أو من قروانة عدس الى صينية كنافة بالقشدة .

ولم أكد أحل فى جسد الفتاة حتى عدت أدرأجى الى الرصيف الآخر الذى كان محمود أفندى على وشك أن يغادره لكى يعبر الشارع فلم يكذب يرانى أعود حتى عاد هو الآخر وعدل عن عبور الشارع .

وتدفقت التاكسيات من هنا ومن هناك وخيل الى إنها تنظر بغيظ الى محمود وتندى وكأنه فريسه قد افلقت من الشراك : ولكنى نظرت اليها

ساخرا فقد كنت اعلم ان روح محمود افندى قد أنقذت .. وأنه لن يفكر بعد ذلك فى عبور الشارع .

وعدت بجسد الفتاة الى درب المنبح لأبعد عن محمود أفندى عن منطقة الخطر ، وسرت بجسدها بين آهات المعجبين وكلمات العشاق .. وقد اعترانى خجل شديد فانى لم اعتدت قط ان أكون امرأة تساق اليها الفاظ الغزل من كل جانب .

وأخيرا ، وبعد أن وثقت كل الثقة أن محمود أفندى ، الدهل ، قد بات آمننا .. هممت بترك الجسد .. ولكنى قبل ان اتركه همست لنفسى : ان طباخ السم بيدوقه ، وأنه ليس من العدل فى شىء ان احل فى الجسد ثم اذهب عنه دون ان اتمتع به قليلا ولو حتى بطريق التحسيس .. ثم وجدتنى أتوقف .. وأمد يدى .. فادفع بها فى صدرى -- أعنى صدر توحة - فأتحسس الثديين .

تبارك الله فيما خلق . أهدان ثديان ... أم .. أم ماذا ؟ ... أى شىء أستطيع أن أشبه به هاتين الكرتين الساحرتين ، بدفئهما ، وليونتتهما ، وتماسكهما ، واستدارتهما ، وحلمتيهما البارزتين .. أى شىء أستطيع أن أشبهها به .. لا شىء .. فانى لا شك أظلمهما بأى تشبيه .. فهما نسيج وحدهما .

وقبل أن أترك الجسد منحت أفندى ابتسامة ، وغمزت له بعينى .. ثم تركت الجسد ، وتركته محمود افندى يسوى أمره مع صاحبه .. وذهبت فى طريقى .



نائب  
عزرائيل

## الفصل التاسع أبو السعد

كان موعدى مع الروح التالية - أو على الأصح الأرواح التالية - هو الساعة الخامسة .. وكنت أحس أن المسألة فى هذه المرة على كثير من الخطورة .. فقد بدا لى الحادث الذى ينتظر وقوعه سيكون حادثا مروعا .. وكنت أخشى كثيرا ألا أستطيع منعه .. فما تخيلت أن مثلى يمكنه أن يمنع تراما قد نوى الخروج من شريطه وتحطيم بيت أو بيتين وقتل بضعة أرواح .. بسهولة .. أو حتى بصعوبة .. فرغم أنى لم أكن أخشى الدخول فى صراع مع كائن من كان .. إلا أن فكرة الصراع من ترام .. لم تكن بالشئ الذى ترتاح اليه نفسى .. وخاصة أننى قد مت صريع ترام .

وسريت من شارع السد الى ميدان السيدة ، واتجهت الى العتبة ، وأنا أعنصر الذهن على أجد وسيلة لمنع الترام من أن يركب رأسه ويحيد عن جادة الصواب ، فيخرج عن الشريط ويرتكب جريمة المروعة .. وأخذت أستعرض الحلول المقترحة أمامى الواحد تلو الآخر .

كان أول ما خطر لى هو أن أحل فى جسد السائق لأمنع وقوع الواقعة .. ولكنى استسخرت نفسى .. فما سبق لى أن اشتغلت سائق ترام

قط .. وما كانت قدرتي في قيادته .. بخير من قدرة ساسة البلد في إدارة دفعة الحكم .. وتخيلت نفسي بالبذلة الصفراء والطربوش يكاد يخفى أننى ، وقد فصل بينه وبين رأسى منديل محلاوى تدلى على قفاى وعلى وجهى ... وأنا مندفع بالترام والكمسارى ينفخ فى مزماره محاولا ايقافى .. وأنا أعرف كيف أوقف الترام .. وكلما حاولت ايقافه ازدادت سرعته .. واصاب ركابه فزع شديد ، فأخذوا يقذفون بأنفسهم منه ، وأخذ الناس يعدون خلفى بعرياتهم ودرجاتهم يصيحون بى ويهددونى وأنا فى أشد حالات الذعر والارتباك .. ثم ينتهى الأمر أخيرا بأن يخرج الترام عن شريطه ويحصد أرواح البشر دون أن أستطيع أن أفعل شيئا ... لا ... هذا حل أحقق .

وخطر لى بعد ذلك أن أحل فى جسد الكمسارى حتى أستطيع أن أوقف الترام بنفخة فى المزمار فى الوقت والمكان المناسبين .. وخطر لى أيضا ان أحل فى أى جسد من أجساد غواة الشعبطة ، فأستطيع بذلك أن أجنب السنجة فأوقف الترام وقتما أشاء .. ولكنى استبعدت هذين الحلين ، لأننى لم اكن أعرف بالضبط المكان الذى ستحدث فيه الحادثة ، وقد ينتج عن ذلك أننى ربما أوقف الترام قبل الحادثة بمسافة ، ثم يعاود السير ويرتكب الجريمة .. أو يرتكب الجريمة قبل أن أكون قد فكرت فى ايقافه .. لا ... هذا حل غير موفق .

وخطر لى بعد ذلك حلول سريعة كانت كلها عديمة الجدوى .. فخطر لى مثلا أن أغير لافتة الترام فأجعله يذهب الى السيدة بدلا من الامام .. أو افسد الترام فأجعله غير قادر على السير .. أو أعلق عليه لافتة أحذر منه الناس فأقول مثلا : « ركب الترام مفقود والنازل منه مولود » .. أو اشتري الترام بأكمله كما سبق أن اشتراه غيرى من قبل ... أو امنع

المرور من شارع محمد على ... أو .. أو .... مئات من الخواطر  
تواردت على ذهني .. وكلها كما قلت لا فائدة فيها .

وفجأة خطر لى خاطر .. جعلنى أصبح من فرط الطرب .. لقد برق  
فى رأسى كما تلوح فكرة لمخترع اعياء البحث عنها ، أو كما تلوح  
الأرض لمستكشف طال انتظاره لها .. وصحت كما صاح غبرى من  
قبل : لقد وجدتھا .. لقد وجدتھا .

وتنفس الصعداء .. واحسست أن عبنا قد رفع عن كاهلى .. حيث  
كان الحل غاية فى البساطة .. ولقد كنت غيبيا لأننى أجهدت ذهني  
بالتفكير فى كل تلك الحلول السابقة .

أبو السعد هو مفتاح الموقف .. أبو السعد افندى الذى قد كتب عنه  
فى المذكرة التى أحملها .. أمر بالأ تصعد روجه مع الأرواح  
الصاعدة ... أبو السعد افندى هو الشخص الذى لا يجب أن يموت فى  
هذه الحادثة .. لأنه مطلوب لحوادث أخرى مماثلة .

إذا لقد وضح الأمر .. فانهم يعتمدون على نحس أبو السعد افندى  
لأجراء مثل هذه العمليات المروعة .. فما على لكى أمنع الكارثة ، الا  
أن أرحم الترام وراكبيه من نحسه .. فابعده عنهم .. لقد كانت المسألة  
غاية فى البساطة .. وإن تحتاج لأى عنف أو دخول فى صراع مع  
الترام .

ودخلت فى مقهى فى العتبة ، وجلست أرقب ساعة البريد ، حتى  
بلغت الخامسة الا خمس دقائق .. فأبصرت ترام (١٣) قد أقبل .. فلم  
أشك فى أنه الترام المطلوب .. وسريت اليه أجول بين ركابه حتى وقع  
بصرى على شخص أوحى الى منظره أنه لابد أن يكون هو أبو السعد

افندى ، وفعلًا لم تمض لحظة حتى سمعت صاحبًا له قد جلس الى جواره  
يناديه بأبى السعد .

وأخذت أتأمل الرجل وقد تواربت على ذهنى فصول النحس وحوادث  
المنحوسين الذين صادفتهم من قبل .

وخشيت من ضياع الوقت .. فهبطت الى جسده بسرعة .. ولم يكد  
الترام يقف فى المحطة التالية حتى قفزت منه وأخذت أعدو بأقصى  
سرعة لابتعد عنه وعن الشارع بأكمله .

ووقفت فى شارع الأزهر وأنا - أو أبو السعد افندى - الهث من  
فرط التعب .. والناس يحدجوننى بدهشة .. وأحسست بالغبطة ..  
وتملكنى شيء من الغرور . فقد استطعت أن أمنع حادثة مروعة بأبسط  
الطرق .. اننى لا شك رجل ذكى .. رغم ما كان يصيبنى فى بعض  
أوقات حياتى من غباء مطلق .. ولكننى الآن شعرت أننى حقا على كثير  
من النكاء .

وفيما أنا واقف فى جسد أبو السعد افندى أمتدح لنفسى نكاءها  
أحسست حولى بشيء غير عادى ، ورأيت روحى تصعد من الجسد رغم  
أنفى ، ورأيت روح أبو السعد افندى تهبط من الجسد رغم أنفى أيضا ..  
ولم تكد الروح تهبط فى الجسد حتى رأيت الرجل يعدو بأقصى سرعة  
ليلحق الترام .. وأصابنى شبه ذهول .. اذ لم أدر ما الذى أفقدنى تلك  
السيطرة التى كنت أتمتع بها .. ولم أجد فى يدى العصا .. ولم أجد  
الكشف ولا الجهاز .

عجبا .. ماذا حدث ؟ ! . وأين العصا .. وأين ذهبت قدرتى على

تحريك الأرواح .. وتلفت حولي .. فاذا بي أجد عزرائيل قد وقف بجواري ! ...

يا لى من أحقق مأفون ! ! . أهذا هو النكاء الذى أتمتع به ... أهنالك على ظهر الأرض أو فى طباق السماء من هو أغبى منى ! ! .

وأى غباء يمكن ان يكون أكثر من ذلك الذى دفعنى الى أن أحتل جسد أبى السعد افندى .. وأنا اعلم ان ما به من نحس كان كافيا لأن يخرج تراما عن شريطه ، ويقتل عشرين شخصا ، ويهدم بيتين .. أى غباء ذلك الذى دفعنى لأن أحتل جسده مع علمى بأن السماء تجد نحسه ضرورة للنوازل والكوارث .

وخطر لى أن أعدو خلفه فأقبض عليه من زمارة رقبته وأمثل به أظلم تمثيل .. ولكنى علمت أن عزرائيل سيقف بينى وبينه .. فهو يعتبره من أعوانه فى الأرض وعلمت أنه لابد قد وصل الى الترام .. وأن الحادث لا محالة واقع .

ونظرت الى عزرائيل شزرا .. فبادلنى نفس النظرة .. وبدأ لى انه ينوى أن يصب على جام غضبه ، فعولت على أن أهاجمه قبل أن يهاجمنى وتصنعت الهدوء ، وقلت له متهمكا وأنا أشير الى وجهه :

- امسح الأحمر الموجود فى ذقنك .. ان صاحبك تستعمل أحمر من نوع ردىء .. أنصحك بأن تسرق لها اصبعاً ماكس فاكترور .

وتصعدت الدماء فى وجهه وقال حانقا :

- كفى هنرا .. الأحمر هذا تستعملونه فى الأرض لكى تغشوا بعضكم بعضا .. أما عندنا فى السماء ....

- أحمر طبيعى ؟

- طبيعى أو غير طبيعى .. هذا ليس من شأنك .. قل لى ما هذا  
العيب الذى صنعته .. وهل هذا هو الوعد الذى وعدته لى .. هل تعتبر  
نفسك رجلا ؟

- احفظ لسانك .. وكف عن قلة الأدب .. فأنت تعرف تماما أننى  
رجل .. وإذا لم تكن واثقا من ذلك .. فيمكنك فى فكرة كعب أن تفحص  
جسدى فى قرافة المجاورين .

وهنا بلغ به الغيظ أشده ، وخيل الى أنى المح شررا يتطايروا من  
عينيه .. ولكنى لم أخف .. وماذا أخشى منه وهو لا يملك الا الموت ..  
واردفت أقول فى نبرات هادئة :

- هل تنوى حقا أن تترك الترام يفعل فعلته ؟

فصاح فى دهشة :

- أنوى حقا ؟ ! ... هذا شغل .. هذا هو واجبى الذى يجب أن  
أؤديه .. ألا يكفى ذلك الارتباك الذى أحدثته خلال اليوم .. وأنا مطمئن  
الى وعدك . لم جعلتنى أركن اليك .. ثم حنثت بوعدك .. ولكنى أنا  
المخطيء .. ان الذنب كله نبنى .. كان يجب أن أتوقع ذلك .. ولكنك  
خدعتنى .. وبدا لى من مظهرك أننى أستطيع الاعتماد عليك .. ماذا  
أفعل فى الارتباك الذى أحدثته لى ؟

وبدت فى صوته رنة حزينة حركت قلبى فقلت له فى شىء من  
العطف :

- لا شىء .. المسألة يمكن تداركها .. ولن تستغرق منا أكثر من



ربع ساعة نمر خلالها على الأرواح فنقبضها بالجملة .. فى هدوء  
وسكينة .. أم تظن أنه من المحتم علينا أن نقبضها بتلك الكيفية المزعجة  
المبينة بالكشف ... غرق .. وهدم ....

- هذا هو الذى كان يجب عمله .. فالمسألة لابد لها من اخراج  
جيد .. ولا بد أن تنتوع أسباب الموت حتى تكون فجعية الناس أوقع ..  
ولكننا لم يعد أمامنا الآن لاصلاح ما أفسدت الا أن نقبضها جملة وأن  
نأخذها سلق بيض .

وتحرك عزرائيل بعد أن أشار الى بأن أتبعه .. ووصلنا الى شارع  
محمد على ، فوجدت التزام قد أصابه عطل فتوقف حتى استطاع أبو  
السعد افندى اللحاق به ، ثم تابع السير .. وبعد لحظات قصار وقعت  
الواقعة .

وطلب منى عزرائيل أن أنتظره حتى يجمع الأرواح ورأيته يحملها  
كأنه يجمع أعقاب السجائر .. ثم تركنا المكان بضجيجه وعجيجه  
وصراخه ونواحه ... وسرينا جنبا الى جنب صاعدين الى السماء ثم  
توقف عزرائيل برهة وقال لى معاتباً :

- ألا تشعر بخجل شديد من نفسك ؟

- خجل ؟ ! ! ... ولم ؟

- من ذلك العبث والحمافة التى ظلمت ترتكبها طول اليوم .

عبث وحمافة ؟ .. والله لولا أبو النحس .. لأريتك أن ما فعلته لم  
يكن عبثاً ولا حمافة .. ولأعطيتك درسا فى كيفية القيام بواجبك ..  
ولعلمتك كيف يجب أن يكون الموت .. ان ما تفعله هو الحمق .. لا ما  
فعلته أنا .. لو تعلم أى أرواح كنت أنوى أن أقبضها وأى نظم كنت أنوى

وضعها للموت .. لعلمت انى كنت سأرفع مقامك بين البشر . وأجعلهم  
يجلونك ويحترمونك .. ولكن أنت وشأنك .. لقد قالوا فى الأرض :  
« ولا تصنع المعروف فى غير أهله » ، والظاهر أن هذا القول ينطبق أيضا  
فى السماء .

ونظر الى عزرائيل نظرة ازدراء ولم يزد على أن قال :

- مسكين .. بنى آدم !!

تماما كما توجه نحن القول الى حمار ، وأثار بقوله حنقى فأجبتة :

- معك حق .. لو لم أكن « بنى آدم » لما أطلعتك ورضيت أن أعود  
معك الى الأرض .. ولما حاولت التستر عليك وعلى أخطائك .. ولما  
سكت عن مطالبتك بتعويض لما سببته لى من ازعاج .. ولكننا على أية  
حال ما زلنا فيها .. انى لن أعود الى الأرض .. وسأسبب لك فضيحة  
كبرى .. وسأنتشر بين أهل السماء خبر غرامك .. وأحدثهم عن تسلك  
الى الجنة لكى تقابل عشيقتك .. وتقضى معها طيلة اليوم .. تاركا  
أعمالك فى أيدى نفر من البشر .. والله لأجعلن يومك أسود كعملك ..  
ولأرينك أننى حقا بنى آدم .. يا عزرائيل النحس .

ومد عزرائيل يده فوضعها على فمى وقد أصابه زعر شديد . وقال  
فى صوت هامس :

- لا ترفع صوتك هكذا .. أيها المجنون .. والا سمعك أحد من أهل  
السماء .. والله ما رأيت مثلك أرعن أهوج .. لقد صدق مثلكم القائل .  
« لا تقرب المجنون ولا تدع المجنون يقربك » .. ماذا أغضبك من قولى  
لك « بنى آدم » أأست بنى آدم .. على أية حال حقك على .. هات  
رأسك .

ثم مد كفيه فقبض بهما على رأسي وطبع عليه قبلة حارة كانت بمثابة  
عربون الصلح .. ونظرت اليه وقلت مستضحكا :

- حدثني كيف قضيت يومك .

- لقد كان يوما عظيما .. حافلا .. لقد كانت مدهشة ، آه لو كنت  
معي ، .. ولكن هيا بنا الآن فليس لدينا وقت للحديث .. انني أود أن  
أقبض الأرواح التي أنقذتها .. قبل أن يحل موعد الروح التالية .  
وامسك الكشف الذي به بيان الأرواح وأخذ يقرأ :

« حسين قدرى .. الساعة الخامسة والنصف .. عربة بويك مقلوبة  
في شارع الهرم .. أمامي الآن عشرون دقيقة لأقبض فيها الخمس  
أرواح الأولى .. واني أفضل أن أذهب وحدي حتى لاتعرقلني صحبتك .  
ولكني لن أعرفكك .

- ولم تود أن تصحبني ؟

- لا تسخر مني .. أني أود أن أرى زيزي مرة أخرى

- ولهذا السبب نفسه .. لا أود أن أصحبك .

- لا تكن عنيدا ... ماذا ستضيرك رؤيتي اياها !

- لا .. لا .. انك رجل شديد الضعف أمام النساء .. وستأخذك بها  
الرحمة ... كما أخذتك من قبل فترجوني أن أتركها .. وتدخل معي في  
مناقشة .. وتضيع وقتي سدى .. وأنا في حاجة الى كل دقيقة .

- اذا كنت تعلم ذلك ، فلم لا تكفي نفسك مؤونة المناقشة .. وتتركها  
من أجلى .

- ألم أقل لك ؟ هذا هو ما كنت أخشاه .. يا سيدي لا فائدة .. ان روحها لابد ستؤخذ .. لا فائدة في الرجاء .. لأن لا أملك قبوله .
- اذا فلا أقل من أن تأخذنى لأنزود منها بنظرة أخيرة .. وأعدك الا أطالبك بإبقائها .. دعنى أتأمل من روحها الطاهرة الجميلة .
- روحها ؟ ؟ .. اذا كانت المسألة مسألة روح .. فانى سأحضر لك روحها دون أن أحملك عناء الانتقال .. انتهينا ؟
- وأخذت أفكر برهة .. روحها ؟ ! ! ... وماذا عساي أصنع بروحها ؟ .. ماذا عساي أن أجذ في روحها المجردة من شعرها المسترسل .. وساقها الممثلتين .. وصدرها المكتنز .. ما عساي أن أفعل بالروح بعد أن فارقت الجسد ؟
- ورأيت عزرائيل يرقبنى من طرف خفى فقلت له :
- انى أريد الجسد .. لا الروح .
- وماذا تفعل بجسد بلا روح .. جسد هامد لا حياة فيه .
- اذا فانى أريد الروح فى الجسد .
- وبدا عليه الضيق وقال وقد نفذ صبره :
- لا تكن عنيدا كالأطفال .. سأذهب الآن ، وموعدا فى العربة البويك .. الى اللقاء .
- وانطلق عزرائيل وخلفنى وحيدا .



نائب  
عزرائيل

الفصل  
العاشر

## فاس عربية " بويك "

تركنى عزرائيل وحيدا فانطلقت أستبقه الى الضحية التالية .. ولم يصعب على العثور عليها ، فقد لفتت نظرى العربية الأنيفة الزرقاء الواقعة على الجانب الآخر أمام حديقة الحيوان ووجدت على مقعد القيادة شابا .. يصح أن يكون نموذجا لذلك النوع الذى نطلق عليه « ابن ذوات » .. ولن أحاول أن أنتهز الفرصة فأحمل على هذا النوع ... فأننى أكره الانتقاد .. لأننا كثيرا ما ننتقد أناسا من الانتقاد ، فلا تكاد الظروف تضعنا فى مواضعهم حتى نصبح شرا منهم ونفعل شرا مما فعلوا ، وقد علمتنى الظروف ألا أنتقد أمرا لأننى لو استطعت أن أرى بعينيه وأفكر بعقله لما فعلت الا كما فعل .. بدليل أنه هو نفسه لا يستنكر ما يفعل .. فالظروف المحيطة به قد أرته ما يفعل - وما بدا لنا منكرا - شيئا لا غبار عليه ، ولا حرج من اتيانه ، فالذى لا يقامر بمنتقد المقامر . ولو أحاطت به الظروف التى أحاطت بالمقامر ، لرأى القمار شيئا لا حرج منه ولا عيب فيه .. والشخص الذى لا يحب ، ينتقد العشاق ويتهممهم بالضعف والسخف ، ولو مسه الحب لأرداه صريحا ولعلمه كيف لا ينتقد العشاق وأفعالهم ... وانى لأعرف صاحبنا لى كان ينتقد آخر لأنه يتحدث

فى التليفون مع صاحبتة فترة طويلة .. وكان يتعجب منه ويتساءل :

كيف يطبق الكلام كل هذه المدة ... ومرت الأيام وأحب صاحبى فاذا به يجلس الى التليفون ليشغله كل يوم ما يقرب من الساعة ، ونسى سابق دهمشته وانتقاده .

أجل لست أرى داعيا لأن أنتقد صاحبنا ابن الذوات ، اذ من يدرى لو أتاح لى الله غناه .. وأعطاني عربة بويك وملبسا أنيقا وشكلا وسيما .. وقدرة على اغراء الفتيات ... من يدرى أننى كنت لا أفعل فعله .. فأضيع عمرى .. أنتهب اللذات وأقتنص المتعات .. من يدرى أن تعفى ( اذا كان هناك تعفف ) ليس الا مجرد قصر ديل ... نظرت الى الفتى فرأيتة على حد قولهم « يشف ويرف » بجاككتة النايلون الناصعة البياض ، والياقة الفان هوزن والكرافنة الأنيقة .. والمنديل الحريري من نوع الكرافنة .. وقد وضع فى عروة السترة زهرة بيضاء صغيرة ، ووضع على عينيه منظارا أمريكيا مذهب الاطار .. وبدا فى جملمته غاية فى الوسامة والأناقة .

وأقول الحق : اننى استخسرته فى الموت .. وعجبت لعزرائيل الغبى .. كيف ضاقت به الدنيا فلم يجد سوى هذا الفتى اليافع النضير ليقبض روحه .. وتمنيت لو استطعت أن أقتع عزرائيل أن يأخذنى بدله .. حقيقة انى شاب يافع مثله .. ولكنى قد مت وانتهى الأمر .. وليس بى شديد رغبة فى العودة الى الحياة .. لأننى لن أكون خيرا مما أنا .. فماذا يضيره لو قبل البذل .. وصعد بى الى السماء على أنى حسين قدرى .. وترك الفتى يتمتع بشبابه وماله ووسامته .. من يستطيع أن يكتشف أننى لست الروح المطلوبة ؟ .. من يستطيع أن يميزنى وسط

تلك الأرواح الحاشدة .. وخاصة اذا راقبت الفتى جيدا حتى يستطيع تقليده فى السماء اذا ما قبل عزرائيل البذل .

وبدأت أنظر الى الفتى نظرة فاحصة شاملة .. وأرقب حركاته جيدا .. وأحسست بالطمأنينة لأنى لم أجده به شيئا يصعب تقليده .. اللهم الا ذلك المنديل الذى وضعه فى كفه .. فانى أنكر أنى قد حاولت ذلك الأمر فى حياتى بضع مرات مقلدا أبناء الذوات ، فكانت النتيجة أننى عندما احتجت الى المنديل بحثت عنه فى جيبى ناسيا أننى وضعته فى كفى .. فلما لم أجده .. اضطررت الى أن أتمخط فى يدي .. كأبناء السبيل .. ولم أكتشف المنديل الا عندما عدت الى البيت إذ سقط منى وأنا أخلع السترة .

ولكنى تذكرت فجأة أننى لن أحتاج الى وضع المنديل فى الكف .. لأنه لن يكون معنى منديل ولا كف .. فالمفروض اذا ما صعدت روح الفتى أنها ستصعد بلا جاكته نايلون .. وبلا نظارة أمريكانى ... وبلا عربة بويك .. قد يكون بالفتى رغبة فى أخذها معه .. حتى يبدو أرسقراطيا بين بقية الأرواح من أمثال عم حنفى ...

ولكنى لا أظن عزرائيل سيسمح له بذلك .

وفيما أنا منهمك فى التفكير فى هذه الخواطر .. وقد انجعصت فى مؤخرة العربة .. وأحسست بشيء من العظمة والنفخة .. فما اعتدت فى حياتى على العربات البويك ولا غير البويك .. لأننى كنت أجيد استخدام ساقى .. وكنت دائما أقنع نفسى أن المشى هو خير رياضة للبدن .. وانه يقوى عضلات الساقين .. رحمة الله على ... لقد كنت حمارا كبيرا .. أحاول أن أقنع نفسى دائما بأن الخير فيما أعطانى الله .

أقول فبينما أنا منهمك فى التفكير فى هذه الخواطر حمل الى النسيم  
شذى عطر نسوى نفاذ .. وتلفت بعينى فرأيتها مقبلة؟؟ !! .

قاتلنى الله .. اننى ما زلت كما أنا .. لقد ظننت الموت سيجعل منى  
مخلوقا تقيا وقورا ، وسيعلمنى الزهد والورع .. ولكن لا والله ما علمنى  
شيئا من هذا .. اننى أنا هو أنا .. ولهان الدنيا ولهان الآخرة .. ما زلت  
أرانى صريع كل غانية .. قتيل كل فاتنة .. كل حسناء أراها أريد فى  
نفسى قول الشاعر : « هذه فاتنة الدنيا وحسنة الزمان ، وكل ساحرة  
ألقاها .. أقول انها توأم روحى ونصف نفسى .. حتى لكأنى بحسان الدنيا  
كلها توأم نفسى ... ما أبصرت واحدة منهن الا وقلت لنفسى ان هذا  
هو الحب من أول نظرة .

والآن - وأنا لست الا روحا مفروضا فيها أنها نقية صالحة - لم أكد  
أبصر صاحبتنا مقبلة حتى قفزت من مكانى وأخذت أحملق فيها بنهم  
وبودى لو استطعت أن أكلها .

ماذا أقول فى شعرها الشديد الحلكة وعينيها السوداوين الصافيتين ..  
وقد بدنا لى كأنهما فوهتان مدفع تصوب منهما صاحبتهما نظرات  
« يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به » .

والله لو لم أكن أنا نفسى ( ميت جاهز ) ولو لم أكن صريع ترام ..  
لقلت ان الفتاة قد أصابتنى بنظرة صرعتنى .. لقد كانت الفتاة من نوع  
خطر .. ولست أدرى كيف يسمحون لها هكذا بالسير فى الطرقات  
مكشوفة العينين .. وكيف لم تعتبر « المحافظة » عينيها سلاحا خطرا .  
وكيف أجازت لها أن تسير دون أن تحمل رخصة حمل سلاح ؟ !! .  
دلفت الفتاة الى العربية فى رشاقة وخفة ، ومدت يدها البضة الى الفتى  
فرفعها الى شفتيه وطبع عليها قبلة رقيقة .



وأدار الفتى العربة وبدأنا السير ، وبعد لحظة سمعت الفتاة تقول :

- ارفع يدك .. عيب .

ومددت رأسى لأرى ما هذا العيب الذى يفعله الفتى بيده ، فرأيت قد نقل الفتيس فى الثالث وترك يده تتحسس ساقى الفتاة . فقلت فى نفسى ، وبودى لو كنت مكانه :

- أستغفر الله العظيم .

ولم يرفع الفتى يده بالطبع بل تركها ورأيت الفتاة تسند رأسها على كتفه .. وخرجت من صدرها تنهيدة وسمعتها تقول فى صوت رقيق :

- لست أدرى لم أحس بانقباض اليوم !! .

وكننت أنا أدرى طبعاً .. وأحسست بالعطف يملأ نفسى على هذين العاشقين السعيدين ، وقلت لنفسى : والله يا عزرائيل النحس .. لن أمكنك من أن تنسد عليهما يومهما .. سأعرف كيف أقفك عند حدك .. تقضى يومك مرتعياً فى أحضان عشيقتك .. ثم تهبط بعد ذلك فتفرق الأحباب دون أدنى شفقة منك ولا رحمة .

وفى تلك اللحظة أحسست بالعربة تسرع وتمنيت لو استطعت أن أحذره ، ولكن صوتى لم يكن يصل إليه .. وعدت أقول فى نفسى مخاطباً عزرائيل :

- أنانى .. جامد العقل .. قليل التصرف .. تماماً كالموظف الغبى الذى يحاول أن ينفذ القانون بحذافيره .

وهنا رأيت الفتاة تمد شفقتها تتحسس بهما رقبة الفتى ثم ذقنه ، وتقرب من شفثيه شيئاً فشيئاً .. وأحسست بنشوة جارفة ولذة عجيبة .. وأردفت أقول لنفسى مخاطباً عزرائيل :

- ما يضيره هذا الغبى لو تصرف قليلا ... فاستبدل بالفتى اليافع مريضا أو عجوزا .

ووصلت شفتا الفتاة الى شفتى الفتى وأخذتا تمساحهما مسا خفيفا ... وهنا رأيت الفتى قد أمسك رأس الفتاة بكلتا يديه وضغط شفتيها بشفتيه ضغطا عنيفا .

ونظرت الى عجلة القيادة فوجدتها تتأرجح فوقف شعر رأسى ... وفى غمضة عين كان قد انتهى الأمر ورقنت العربية البويك مهشمة على أحد جانبيها بعد أن لغت على نفسها بضع لغات ... ورأيت عزرائيل قد وقف أمامى وقد قبض على روح الفتى .

وتملكنى الغضب فهجمت عليه صائحا :

- اترك الروح .. اسمع نصيحتى فهذا خير لك . قلت لك أعد الروح الى صاحبها .. والا جعلتك تندم مدى حياتك .

وربت عزرائيل على كتفى مهدئا وقال :

- هدىء نفسك .. ولا تكن أحمق .. لقد قلت لك ان هذا شغل واننى لا بد أن أقوم بواجبى .. ولا أملك أن أبذل فيه .. تعال معى .. نتمشى قليلا ، اننى أعلم أن أعصابك ثائرة وفى حاجة الى الهدوء .

وسرت بجواره وقد أخذت ثائرتى تهذاً رويدا رويدا .. وبعد برهة التفت الى عزرائيل قائلا :

- والآن .. أتسمح لى أن أعيدك الى جسدك ؟

- ما دام لا بد من عودتى .. وما دام لم يعد من الحياة بد ... فعد

بى .

نائب  
عزرائيل

## الفصل الحادى عشر فى السجن السفلى

وسرينا فى الهواء .. ووصلنا أخيرا الى حيث الجسد قد وورى  
الثرى .. وأحسست فجأة بضيق شديد كالذى يشعر به المرء عندما يحشر  
نفسه فى بذلة ضيقة . وشعرت أنى دخلت الأسر بعد طول حرية  
وانطلاق .

وحاولت الحركة فاذا بى لا أستطيعها ، وفتحت عيني فلم أبصر سوى  
ظلمة فوق ظلمة .. ونفذت الى أنفى رائحة كريهة عفنة ، وشعرت بالنم  
يخزنى .. على استكانتى لعزرائيل ورضائى العودة معه الى هذه الدار  
المكروهة بعد أن انطلقت من أسارها .

ولكن الظلمة لم تطل .. فقد بدا لى بصيص من ضوء .. وأنعمت  
البصر فيما حولى فاذا بى فى جوف القبر الذى قد ثوى فيه جسدى ...  
واذا بى أرى عزرائيل قد أقبل على من فتحة فى أعلاه وسألنى باسم :  
كيف أنت الآن ؟ .

فأجبت فى غضب وانفعال :

- على شر حال ! لا يا سيدى لم تكن هذه شهامة منك .. أرجوك  
أن تعيدنى .. اتوسل اليك .. هذه الدار لا تطاق .

وكننت على حق فى انفعالى و غضبى . فقد كان بى شعور القاطن فى جاردن ستى الذى أعادوه فجأة الى سيدى زينهم أو عشش الترجمان .

وريت عزرائيل على كتفى وأجاب :

- هدىء من روعك .. لايمكن أن أعيدك الآن فنورك لم يأت بعد ، ولكنى أعذك وعد عزرائيل .. أنى سأعيدك فى أقرب فرصة .. وسأحاول جهدى تقديم دورك ما استطعت .

وشعرت باليأس يتملكنى .. ولكن لم يكن هناك بد من الاستسلام لقضاء الله ، وبدأت أعزى نفسى بأن عودتى لا شك ستسر أهلى أشد سرور وتذهب عنهم الحزن واللوعة التى أصابتهم بفقدى .

ونهضت من مكانى فاذا بى عارى الجسد .

لعنة الله على أهل الأرض ... لقد أخجلونى أمام عزرائيل .. حتى الجسد قد سلبوه كفته الذى تنثر به .

ونظرت الى عزرائيل متسائلا :

- ألا ترى أنى لا أستطيع الخروج بهذه الهيئة .. والا ظننى الناس مجنونا .. وزجوا بى فى مستشفى المجانيب .

وصدق عزرائيل على قولى وأجابنى أنه على استعداد لاحضار ما يلزمنى من الملابس .. فطلبت منه أن يأتينى من البيت بثياب كاملة وأن لا ينسى عدة الحلاقة وكمية من النقود ...

وعاد عزرائيل سريعا يحمل ما طلبت وأخبرنى أنه سرى بين أهل الدار دون أن يشعر به أحد وانه لم يجد أية صعوبة فى احضار الملابس .. فقد كانت ما تزال فى مكانها الذى وصفته له .

وسألته عن حال أهل الدار وعن مبلغ ما بهم من حزن وأسى .. فقد كنت أصور فى رأسى وقع المفاجأة التى سافجئهم بها وأنخيل مبلغ ما سيصيبهم من فرح وسعادة .

وصمت عزرائيل لحظة ، ثم سألنى سؤالا أدهشنى بعض الشيء :

- أكنت مؤمنا على حياتك ؟

- نعم .. ولكن لم السؤال ؟

- أغلب ظننى أنهم قد قبضوا التأمين .. فقد كان حديثه هو ما يشغلهم ، ويخيل الى أن فى نفوسهم بعض السخط عليك لأنك لم تزد من قيمته .. وكذلك سمعتهم يتحدثون عن القضية التى قد رفعوها على شركة الترام .. وهم يقولون أنهم ينتظرون أن يحصلوا منها على مبلغ عشرة آلاف جنيه .. تعويضا لهم عن شخصك العزيز .

وقهقه عزرائيل :

- الظاهر أن موتك كان لقطة .

وتملكنى الوجوم وهرشت رأسى بيدى مستغرقا فى التفكير .

لقد كان الشيء الوحيد الذى يسبب لى التعزية فى عودتى الى الحياة .. هو ذلك الفرح الذى كنت أتوقع أن يغمر الأهل والأحباب .. ولكن يخيل لى الآن أن عودتى ستسبب لهم خسارة ما بعدها خسارة .. وستحرمهم مبلغا ما كانوا يحلمون به .. وستسبب لهم فجيرة أهون منها فجيرة وفاتى .

ولم أستطيع أن أمنع دمعتين سالتا على خدى الغائرين ونظرت الى عزرائيل فى يأس وقنوط وسألته متوسلا :

- خذنى معك وارحمنى من هذه الدار .. اليس فى قلبك بعض الرحمة ؟ ! لقد نجدتك فيما سبق .. أفلا تتجبنى الآن ؟ .

ورق عزرائيل لى ، وأحس لى الرثاء ، ولمحت دمة تترقق فى عينيه .. لقد بكى عزرائيل من أجلى :

-- هون عليك ولا تبتس .. وثق أننى سأعيدك فى أقرب وقت .. فسأحشر اسمك فى أول دفعة نقبضها من الأرواح .

وأحسست بعد هذا الوعد من عزرائيل بشيء كثير من الراحة والاطمئنان وصممت ألا أغادر مكانى حتى يبر بوعده ، ولكنى شعرت بقرصة الجوع تاذع أحشائى فسألته أن يحضر لى طعاما .

وعاد عزرائيل بعد لحظة ومعه سندوتش طعمية وقطعتان من السجق والطحال خطفهما من أول بائع صادفه فى الشارع فدفع بهما الى وانصرف الى سبيله .

وبعد هنيهة استغرقت فى النوم فرأيت فيما يرى النائم أن عزرائيل قد بر بوعده فعاد الى وصعد بى الى السماء وغاب عنى برهة .. فأخذت أجوب السماء وحدى أسلى نفسى بما فيها من مشاهد ومناظر .. فوجدت نفسى أخيرا أمام باب ضخم أنيق ، فانتهزت غفلة من الحارس ودلفت منه الى الداخل .. فرأيت ما أذهلنى وأثملنى .. ولم يداخلنى ريب فى أن هذه هى الجنة .

ووقفت وراء كومة من العشب الأخضر أرقب ثلاثا من الحور العين .. عابثات لاهيات على شاطئ نهر من شهد مصفى ، وشعرت أنى لا أود مغادرة المكان ، ولكنى خشيت أن يفتقدنى عزرائيل .

وأردت أن أعود أدراجي ، ولكنني ضللت الطريق . وظللت أتخبط على غير هدى .. حتى رأيت بابا أضخم من الأول .. ولكنه أقبح منظرا .. وتقدمت من حارسه عله يدلني على الطريق ، ولكنني ما كنت أقترّب منه حتى أحسست بيدين قويتين تقبضان على وتقذفان به الى داخله .

وشعرت بلهب يلفح وجهي ، فعلمت أنني في جهنم وبئس المصير ، وجاهدت في أن أفر ، ولكنني أحسست أنني عاجز عن الحركة .. وسمعت ضجيجا يصم الآذان ورأيت حراس الجحيم بوجوههم المفزعة ورماحهم الملتهية وأبصرت كبيرهم يغذي النار بالوقود ، وزبائن جهنم يحملهم الحراس ويقذفون بهم في اللهب .

وأفقت من نومي فزعا مرتاعا .. فوجدت عزرائيل أمامي يتنسم في رفق ، وأخبرني أنه قد بر بوعده فحشر اسمي في أول كشف ، وأنه على استعداد للصعود بي الى السماء .

ولم يبد على الفرّح الذي كان ينتظره عزرائيل .. فلم يخف تعجبه ، وسألني عن العلة .. فقصصت عليه ما رأيته في الحلم وقلت له اني أخشى أن يتحقق .

وفكر عزرائيل قليلا ثم أجاب :

- سأرد اليك جميل صنيعك .. وأصنع معك معروفا لم أصنعه مع أحد سواك من البشر ، فأجعلك تضمن ألا يتحقق ذلك الحلم الذي تخشاه .. سأمهلك يومين تكفر فيهما عما عملت من سيئات حتى تصعد الى السماء طاهرا الذيل « ضامن جنة » .

وكنت أرقص من الفرّح .. اذ لم يكن في الامكان أبدع مما كان وما سيكون .. ترى من غيري من البشر أستطاع أن يصعد الى السماء وهو

« ضامن الجنة » ؟ من غيرى أعطى له الفرصة ليمحو سيئاته ويثقل كفة حسناته ؟ .

وهجمت على عزرائيل أوسعها لثما وتقبيلا ، وسألته أن يسرع فيحضر لى من « التربى » صفيحة من الماء حتى أتوضأ منها وأقضى اليومين الباقيين من العمر فى الصلاة والتسبيح بحمد الله .

ونظر الى عزرائيل فى ذهول وسخرية وقال هازنا :

- أيها الأحمق ، أظننت الصلاة وحدها كافية لاندخالك الجنة ؟ !  
ان خير ما فى الصلاة أنها تحض على فعل الخير وتنهى عن الفحشاء والمنكر .. فخير لك أن تغادر مضجعك لتغيث الملهوف .. وتعطى المحتاج .. وتواسى الحزين والمفجوع .. وتفك ضيق المكروب والمحتاج .. الدنيا تعج بهؤلاء .. فاخرج اليهم ، وافعل ما استطعت لهم .. ثم عد الى وأنا كفيل بمصيرك .

ونفذ حديثه الى نفس ورأيته على حق .. فخرجت الى الدنيا .. وفعلت ما أشار به على ، ثم عدت بعد يومين الى المضجع حيث تواعدنا على اللقاء .

ولقيني عزرائيل راضيا مغتبطا .. وأخبرنى أنه على استعداد للصعود بى .. فتركك الجسد فى قبره الموحش وصعدت معه الى السماء .

وأحسست فى هذه المرة أننى أخف مما كنت فى المرة السابقة وأكثر انشراحا .. وشعرت بفيض من السعادة يغمرنى .. فقد حبيت يومين فى آخر العمر .. خيرا من طيلة العمر ...



# البحث عن جسد



# الإهداء

كانت فى سنين الطفولة الخوالى لا أكاد أنتهى من الدراسة فى نهاية الأسبوع حتى أعدو الى بيت جدتى أم أبى حاملا لها هديتى الدائمة .. كيسا من « دقة السمسمة ونوى المشمش » أبتاعه من عطار فى شارع السد .

وفى إحدى الدور بنهاية شارع زين العابدين ، كانت تضطجع فى ركن من إحدى الحجرات ، بجسدها الطويل النحيل ، وشعرها الأبيض الفضى ، مشلولة لا تستطيع الحراك .. فأرتمى بين أحضانها وأسلمها الهدية ، فتضمنى إليها وترقننى بجوارها .. وتللىنى ، وتقص على أحسن القصص .

كنت أحبها .. وكنت أشعر أنها أول المحبين لى .. ومرت بنا السنون ، فرحلت عنا بعد أن تكلت أبى .. وبين آونة وأخرى أشعر بالحنين إليها .. وأود لو أعدو إليها حاملا « كيس الدقة » .

أما وقد باتت الهدية المادية متعذرة .. فهل لها أن تتقبل منى هذا الكتاب هدية متواضعة .

الى أول من أحبنى .. وأولة من أحببت .. الى أبداع من قص .. وأعذب من روى :

الى « نينه أم طه » ...

« يوسف السباعى »



## مقدمة

بينى وبين عزرائيل صداقة قديمة .. وحب غير مفقود .. ولقد قضيت فى صحبتته فترة طويلة وأنا أعمل معه « نائب عزرائيل » وأهديته اليه عن طيب خاطر .. وأنكر أنى قلت له فى نهاية الاهداء : « وانى يا سيدى فى انتظار اللقاء .. اما على صفحات كتاب آخر ، وإما فى السماء .. ما بى من خشية ولا رهبة ، فالحياة عندى والموت سواء .. »

ويبدو أن اللقاء بيننا قد عز فى السماء .. وأنه ما زال فى عمرنا الشقى فسحة وبقية .. ولقد أوحشنى صاحبى فلم أجد بدا من أن القاه فى كتاب آخر .. فاستدعيته لأسامره وأحاوره .

وجرى بيننا حديث ذوى شجون .. عن الأرض والسماء .  
وعن الشعوب والملوك والزعماء .

ولقد جرى الحديث بيننا سهلا غير متكلف ولست أدرى أأسميه قصة أم مسرحية أم مجرد حوار أخرجت به بعض ما يجول فى خاطرى .  
ليكن ما يكون ؛ فلقد سبق أن قلت فى مقدمة أحد كتبى انى عندما أكتب .. أكتب متحررا من كل شىء حتى من قيود الهدف .. وانى أترك الأفكالا تنساب من ذهنى كما يتراءى له ولها فأريحه من حملها .. وأريحها من حصاره .

وهكذا لا أستطيع أن أسمى كتابى هذا سوى أفكار منسابة حاولت أن أضعها فى قصة .

ثمة شيء أود أن ألفت النظر اليه لأنى أعتقد أنه ربما كان عاملا هاما  
فى طريقة كتابتى لهذا الكتاب .. وهو أنى كتبت الفصل الأول والثانى  
قبل ٢٣ يولييه ١٩٥٢ والفصل الثالث بعد هذا التاريخ .. ولقد قلت فى  
آخر الفصل الثانى وأنا أكتبه فى ٢٠ يولييه أن شيئا لابد أن يحدث ..  
وبعد ثلاثة أيام حدث الشيء .

ولم أكن أعرف وأنا أختتم الفصل الثانى كيف أختتم الكتاب وماذا أقول  
فى الفصل الثالث .. ولكن الأيام التالية .. استطاعت أن تمنحنى  
الخاتمة .. فى يسر وسهولة .

وبعد .. اليكم الكتاب .. والى عزرائيل الشكر .. وما زلت أقول له  
ما قلت فى الكتاب السابق :

« انى فى انتظار اللقاء .. اما على صفحات كتاب ثالث .. أو فى  
السماء » .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

« يوسف السباعى »

البحث  
عن  
جسد

## الفصل الأول

( المنظر فى السماء أنا وعزرائيل فوق هام السحب بجوار  
كوم من الدفاتر والسجلات ) .

عزرائيل يبدأ الحديث :

- قل .. ما رأيك ... ؟

- فى ماذا ... ؟

- فى العودة ... !

- أتتكلم جادا ... ؟

- بالطبع .. ومتى رأيتنى أهزل ... ؟

ما رأيك الا هازلا . أنتكر أنك شيخ الهازلين ؟ أنتكر أن مجيئك بى  
ومحاولتك اعادتنى هو فى ذاته مهزلة كبيرة .. ؟ فيم كان المجيء ، وفيم  
كان كل ذلك الجهد الذى تجشمته .. اذا كنت تريد العودة بى مرة  
أخرى ... ؟

- أنا لا أريد العودة بك .. انك مخير بين العودة أو البقاء .

- ولكن اذا كان بقائى وعودتى سواء .. بالنسبة لكم .... فلم كان  
حضورى اذن ؟ .

- كان حضورك ضروريا أول الأمر .. كان لابد أن أتى بك ... أما  
الآن !! فقد جد جديد .. يجعلنا نخيرك بين العودة والبقاء .

المسألة تستدعى التفكير فانها مسألة تقرير مصير .. ولا أظن  
الانسان يستطيع أن يقرر مصيره هكذا فى غمضة عين .. يجب أن  
تمهلنى حتى أوازن بين الأمرين .

- اتنا فى عجلة .. ليس لدينا وقت .. فلا بد لنا من العودة بمائة  
شخص . فنحن فى حاجة اليهم هناك . عندنا حالة عجز فى المستجدين .

- لا أفهم .. انك تتكلم بالألغاز .. ما هو هذا الطارئ الذى  
جد ... ؟ وماذا تعنى بحالة عجز فى المستجدين ؟ .

- أرجوك ... ليس لدى وقت لتفهمك .. يجب أن أذهب الى  
غيرك .. قل .. أتمكث أم تعود ... ؟ .

- لن أقول حتى أفهم .. أفهم جيدا .. انى انسان غيبى فيجب أن  
تفهمنى جيدا ، والا فلن أجيب ، وسأدعك وحدك تتحمل مسئولية عودتى  
أو بقائى .

- ماذا أفهمك .. ؟ قلت لك أن لدينا حالة عجز فى المستجدين ..  
فماذا أقول أكثر من ذلك ؟ .. ليس لدينا أنفار تكفى للعدد المطلوب من  
المستجدين . هل فهمت ؟ ؟ .

- لم أفهم ... ألم أقل لك انى غيبى ؟ . أفصح أكثر من ذلك ! ! .



- ليس لدينا من الأرواح الجديدة ما يكفى للمواليد الجدد ... المطلوب انزالهم الى ظهر الأرض .. هل فهمت ؟ .

- آه .. قل هذا .. فهمت .. كان يجب أن تفصح من أول الأمر .  
كيف كنت أستطيع فهم تعبيراتك عن المستجدين والأنفار ... ؟ .

- حمداً لله أنك فهمت . |

- اذن فأنت تريد أن تكمل العجز من الأرواح « الرديف » ؟ تريد أن تكمل المستجدين من الأنفار المسرحين ؟ !

- تماما .. لقد فهمت ...

- اجل .. فهمت .. فهمت .. وتريد منى ، بذلك .. أن أعود مستجدا مرة أخرى ... بعد كل تلك الخدمة الطويلة والمهانة ... ؟ .

- أجل ... !

- لا ... لا ... لا أقبل .. ان كنت تريدنى أن أجدد مدة أخرى بشروط مناسبة فقد أقبل .. أما أن أعود مرة ثانية مستجدا .. فمستحيل .

- تجدد مدة أخرى ؟ أمجنون أنت ؟ .. كيف يمكن هذا ... ؟

- أنا المجنون ؟ .. الله يسامحك .. ماذا ترى فى قولى من الغرابة ... ؟ أغريب أن أعود لأواصل الحياة مرة أخرى .. ؟

- بأى جسد .. ؟

- جسدى ... !

- وبأى اسم ؟ وأية شخصية ؟

- باسمى وشخصيتى .

- جسدك .. واسمك .. وشخصيتك ؟ ! أى مجنون هذا الذى يتحدث به ؟ .. أين جسدك واسمك وشخصيتك ؟ أنسيت أنه لم يعد من جسدك سوى عظام نخرة لا تكاد تتماسك .. ؟ ... وأن اسمك قد أصبح على أحسن تقدير : « المرحوم فلان » ؟ أما شخصيتك فقد أصبحت على حد قولهم : غير ذات موضوع ... فكيف تريد بعد كل هذا أن تواصل الحياة كما كنت ؟ .. أو كما تقول .. تجدد مدة أخرى ؟ ؟ لا .. لا .. لا تكن سخيًا .

- أنت وشأنك .. هذه هى الطريقة الوحيدة التى أقبل أن أعود معك بها .

- ولكن ...

- لا .. لكن .. لا فائدة من المناقشة .. ليست هناك قوة تستطيع أن تجبرنى على العودة معك وليدا جديدا .. !  
- ولكن ماذا يضيرك ما دمت قد قبلت العودة .. ان تبدأ من جديد .  
أو تواصل حياتك الأولى ؟ .

- وعناء السفر . ووعورة الطريق .. يضيرنى أن أبدأ الطريق من أوله .. انى - من أجلك - أستطيع أن أحتمل بقيته فذلك أمر يمكن احتماله بل هو الأمر الطبيعى الذى كنت قد هيأت نفسى له .. لو لم تنتزعنى من الحياة بتلك الطريقة المفاجئة .

- مفاجئة لك .. ولكنها مبينة عندنا .. مدرجة فى القائمة .

- ما علينا .. هذا أمر لا يهم . ما حدث قد حدث وما كان على سوى

القبول والاذعان .. المهم هو أن نفهم جيدا .. انى لا أقبل قط أن أركب ما ركبت من الصعاب مرة أخرى .. ولا أن أعود فأحمل نفسى بمحض ارادتى أثقال الشقاء وأكداس التعاسة .

-- شقاء .. ! تعاسة .. ! يا لك من ناكر للجميل كافر بالنعمة ..  
( وأما بنعمة ربك فحدث ) .

-- من قال انى لم أحدث بنعمته .. وأحمده على مكروهه ، لقد حدثت بنعمته فأضاعها الحساد .. وحمدته على مكروهه فحق على قوله :  
( لئن شكرتم لأزيدنكم ) ، وهكذا زالت النعمة وزاد المكروه .. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .. أرجوك .. ابحث عن أبله غيرى ... يقبل أن يبدأ حياته من جديد ... ! .

- إذا كنت أنت لم تقبل . فكيف يقبل غيرك ... ؟ .

- أنا .. ؟ ! ومالى أنا ؟ . ماذا يميزنى من غيرى ، حتى أقبل .. ؟ .

- أيها الكافر الناصر ؟ تتحدث عن وعشاء السفر ووعورة الطريق ؟ طريقك الملىء بالورود والمفروش بالرياحين .. أى صعاب ركبتها به .. وأى شقاء صادفته فيه .. أيها المحظوظ السعيد .. المنعم المرفه .. ؟ حقا . قتل الانسان ما أكفره .

- لا فائدة ، أرح نفسك ليقتل الانسان أو لا يقتل ، فما عاد لى به شأن . انى لم أعد بعد انسانا .. ولا أود قط أن أعود انسانا .. أنا محظوظ سعيد .. ؟ سامحك الله على فريتك .. دعنى وشأنى ، أرجوك .. محظوظ أم غير محظوظ ، انى لا أرغب فى الاعادة .. انتهينا .. انى لا أحب السعادة ولا الحظ ... أنت شريكى ؟ ! أنا سعيد هكذا .. ؟ .

- انت وشأنك .. انى لم أضريك على يدك ، ولكن أتذكر أنك كنت مثلا لاتسان سعيد .. ؟ أتذكر أن حياتك كانت مليئة بالهناء والنعيم ؟ .
- انى لا أنكر فى حياتى هناء ولا نعيما .
- تماما كالقطط .. تأكل وتنسى .
- لم آكل ولم أنس .
- تذكر جيدا ... ! .
- لا أتذكر سوى الشقاء والبلاء .
- سأريك أنك كذاب أشر !
- كيف .. ؟
- سأزن لك سعادتك فى الحياة وشقاءك .. وسترى أى الكفتين أرجح .. وهذا هو الميزان .. سأضع فيه ما صادفت من أشواك وما لقيت من أزهار .
- أزهار ؟ ! ! أزهار ؟ ! ستضيع وقتك فى البحث عنها عبثا ..
- سترى .
- هيا ... ابدأ الوزن .
- لن يكون قبل ان تعدنى وعدا .
- ما هو .. ؟
- أن تعود معى اذا رجحت كفة السعادة .
- أعذك بشرفى .

- لا داعى للقسم بشرفك . فهو شىء لا قيمة له هنا . !

- كيف ... ؟

- الشرف هناك له قيمة ! لأنه شىء نادر الوجود .. أما هنا فلا وجود له .. لأنه أمر طبيعى مفروغ منه .. لا قيمة للجمال بغير قبح .. ولا قيمة للشرف بغير قلة الشرف ! .

- مفهوم .. مفهوم .. دعنا نبدأ الوزن .. وكفى فلسفة .. ارفع الميزان فى يدك جيذا ، حتى أرى الكفتين متساويتين متوازيتين . أجل ... هكذا .. هات ما لديك من أزهار .. ودع الأشواك لى . فسأعرف كيف أغرق بها الكفة .

- اتفقنا .. أنا أضع الأزهار فى كفة ... وانت تضع الأشواك فى كفة .. حتى يفرغ كل ما لقيته فى حياتك من أزهار وأشواك .. ثم ننظر كيف تكون النتيجة .

- أجل لتبدأ أنت ... !

- هذه اول ازهار حياتك .. أزهار الطفولة الحلوة الناعمة ! انذكر حياتك وقتذاك ... ؟ حياة المرح واللعب ، وخلو البال والتحرر من المسؤوليات والأعباء .. كنت مخلوقا مرفها مدللا .. وهل نسيت جدتك « نينه أم طه » ونسيت تدليلها ورعايتها اياك ... ؟ والأقاصيص التى كانت تقضى الساعات الطوال فى قصصها عليك . كنت وقتذاك « سوساه » المعزز المكرم . إنى لا أكاد أبصر فى حياتك وقتذاك سوى أزهار فوق أزهار .. أغلب ظننى أن كفة الميزان ستفيض بها . سأضع بعضا منها فقط خشية أن تهبط الكفة مرة واحدة ، ولا أجد ما يعادلها من الأشواك ! .

-- لا تخش شيئا ، ضع كل ما فى جعبتك . ان الأشواك متوافرة ..  
لقد بارك الله فيها فتوالدت وكثرت .

. خذ اذن كل هذه الأزهار وهذه أيضا .. وهذه .. وهذه .. أرنا الآن  
ما لديك من أشواك .. فى تلك الحقبة من الحياة .. ألييك ما يعادل كل  
هذه الأزهار .. ؟

- لدى الكثير .. الكثير جدا .. ولكنى لن أتعب نفسى فى جمعها  
كاملة . سأخذ منها شوكة أو شوكتين ، أعادل بها كل أزهارك .. ان  
الأزهار لا تتقل كفة .. انها خفيفة كالقش .. انها ورق .. سريع الذبول  
سريع الجفاف .. يودى بها الزمن وتذروها هبة من الرياح ، أما الأشواك  
فهى باقية على الزمن .. لا تجف ولا تذبل .. بل تزيدها الأيام حدة .  
جرحها دام وقرحها مسموم .

- كفى ثرثرة .. وهات واحدة ان كنت صادقا .

- خذ ، هذه « توفيق أفندى » وهذه « سنى أم عطية » .

- توفيق أفندى .. وأم عطية ؟ ! ! لا أفهم ما تعنى ! !

- أيها المضلل . لم تذكرت « أم طه » ونسيت « أم عطية » لم ذكرت  
جدتى أم أبى ونسيت جدتى أم أمى ؟ لم ذكرت مدلتى ونسيت  
معذبتى . ؟ أنسيت كيف كانت تعتقد أنى حرمت أخى محمودا اللبن لأنى  
ولدت بعده بسنة .. فأخذتنى - وأنا رضيع - بجريرة حرمانه .. فأحبته  
وابغضتنى ، واعزته واذلتنى . كانت تقول « محمود » « بلا يوسف ..  
بلا يوسف » .. كانت تحمل لى فى قلبها - رحمها الله - حقدا فدينا ..  
وسلموا لها امرى ففرضت من نفسها ( ديكتاتورا ) على طفولتى ..  
وجعلت منها قطعة عذاب .. كنت أرى فى سفرها الى البلد عيدا ...

- وفى عودتها وبلاء .. ضع هذه الشوكة فى الميزان أيها المخادع .
- ضلة لك .. ان قلبك اسود لا ينسى السيئة .
- لا لا .. هذه تهمة باطلة . أنت الذى أرغمتنى على أن أتذكر .  
ومع ذلك فقد غفرت لها .. وكنت أول من رعاها فى موتها .
- ما علينا .. هذه « ستك أم عطية » فى الميزان .. ماذا تريد بعد ذلك ... ؟
- توفيق افندى ...
- ومن يكون ؟
- مدرس الانجليزية فى مدرسة محمد على الابتدائية أنكره جيدا وأنا  
فى الثانية الابتدائية ... أحول العينين .. مبروم الشوارب ... أبيض  
الوجه أحمره .. قصير القامة . طويل الطربوش فاقعه .. شديد  
الاناقة .. كحلى البذلة .. ياقته بيضاء صلبة ( منشاة ) .
- وما دخل كل هذا بشقائقك وتعاستك ؟
- سن المسطرة .. سن المسطرة يا أستاذ أبارك الله ..
- ما باله ... ؟
- يهوى على ظاهر اليد ، وعلى الأصابع ، كان توفيق افندى يسألنا  
فى أول كل حصّة عن معانى الكلمات التى درسها لنا فى الحصّة  
السابقة ، ولا أنكر أنى ضربت كثيرا . ولكن شقائى لم يكن من مجرد  
الضرب .. بل كان من انتظار الضرب وتوقعه وتذكره . كان انتظار  
البلاء شرا من وقوعه ، وكانت حصّة الانجليزى مصدر بلائى  
وشقوتى .. ان الاحتلال لم يعلمنى كره الانجليز . ولكن الذى علمنيه

هو توفيق أفندى . لقد جعل الانجليز واللغة الانجليزية ألد أعدائى . ولا أنكر بعد ذلك أنى رسبت فى امتحان الا كانت اللغة الانجليزية هى السبب . أرجو أن أضع توفيق أفندى فى الكفة بشواربه ومسطرته .

- أيها الأحقق .. تظن أن مجرد عقاب مدرس لتلميذ بليد سيرجح كفة شقائه ؟ ! .

- هذا ليس شأنك . ضعه أولا .

- هاكه ...

أمسك الكفة حتى لاتهوى الى الأرض ، أرأيت ؟ أرأيت أزهارك الخاوية الفارغة ... ؟ انها لا تزن مثقال شوكتين . ما رأيك فى الطفولة السعيدة المدللة .. ؟ انظر كيف خفت موازين السعادة فيها حتى باتت لا توازى حفنة شقاء . ما من انسان الا وله أحزانه وبلواه ...

- اصبر قليلا ، ما زال لدى من الأزهار الشيء الكثير .. سأرجح كفتى حالا .. دعنا من طفولتك البائسة ومن أم عطية وتوفيق أفندى . لننتقل الى صباك اليانع المورق النضر . دعنا نجمع كل هذه الأزهار التى نثرها عليك أبوك .. أو على الأصح صديقك وصاحبك ، بل انى سأضعه هو نفسه فى الكفة .. فهو خير ما أستطيع أن أثقل به كفة سعادتك .. أنتكر أنه كان بين الآباء نسيج وحده ... ؟

- بين الآباء فقط ؟ .

- بل بين الناس أجمعين . أنتكر فلسفته فى الحياة .. ؟ انه ما أنبك ولا لامك قط .. وعندما رسبت فى الامتحان ونجح أخوك .. كافأك وأهمل أخاك . قلما دهشت والدتك وسألته كيف يكافئ الراسب ويهمل الناجح أنبأها أنك أحق بالعزاء . وأنه يكفى لأخيك فرحة النجاح .. أنتكر



كيف كان يقرأ عليك قصصه ويأخذ رأيك فيها وهو الكاتب العبقري وأنت ما زلت طالبا في السنة الأولى الثانوية .. ؟ أتذكر ضحكه الدائم ومزاحه الذى لا ينقطع ؟ أتذكر فكاهته ونكاته وصوته يعلو بالغناء فيصل الى سابع جار ؟ سأضعه فى كفتى .. فقد كان وحده مصدر سعادة .

- ارفعه أيها الغبى . ضعه فى كفتى أنا .. ما كان أغناك عن أن تذكرنى بكل هذا . انه زهرة حفت بالشوك .. انظر الى مصدر السعادة كيف جعله القدر مصدر شقاء .. أتذكر عودته الى الدار ذات يوم ورأسه مثقل وجسده منهوك وقدماه لا تكادان تحملانه ؟ أتذكر كيف رقد على الفراش وراح فى غيبوبة .. انى اذكره تماما كأنى أراه رأى العين ... وهو راقد فى الحجرة المواجهة « للصالة » الفسيحة فى بيت الرمالى بجنيينة ناميش .. لقد ظننا ما به مجرد تعب سريع الزوال ، ولكن الغيبوبة طالت ، واستدعينا الدكتور رضا ، ثم أخذ الأطباء يتوافدون على الدار الواحد بعد الآخر .. وأبصرت بطاقيّة الثلج توضع على رأسه بعد أن أزيل عنها الشجر .. وسمعت فيما سمعت من لغط أن ذراعه وساقه قد أصيبنا بالشلل .

ما بالك تنظر الى مشدوها ؟ عبيء الأشواك وضع فى كفتى .. أى صدمة صدمتها وقتذاك .. أبى .. القوى الجسد المقتول الذراعين ، الذى لم يكف يوما عن لعب « الدمبلز » و « الساندوز » . والذى كان يقبض بكفه على كتف أى انسان فيتهاوى أمامه . أبى .. الفخور بقوته المعجب بشكله يصبح رجلا مشلولا قعيدا ؟ لا لا .. هذا مستحيل . هذا أمر لا يمكن تصوره . ومع ذلك فقد أضحى الشلل بعد ذلك أمنية بأباها علينا القدر . فقد استمرت الغيبوبة ، واستمرت الطاقية الثلجية ، واستمرت حقن الجلوكوز تدفع فى جسده الواحدة بعد الواحدة .. عشرة أيام وهو فى رقبته لم يفق سوى مرة واحدة . واحدة . ونحن ساهرون من حوله

لم يغمض لنا جفن الا فى الليلة العاشرة عندما ظننا أن حاله قد أخذ فى التحسن . ولكننا استيقظنا فى الفجر على حركة غير عادية وأمر أخى ( محمود ) أن يسرع الى دار قريية بها تليفون لاستدعاء الدكتور رضا .. وانطلق أخى يعدو خارج الدار ووقفت أمام الفراش وبقيت الأهل . انى أنكر جيدا آخر ما رأيته .. لقد أخذ شهيقا طويلا ولم يخرج . وشهيقا آخر ولم يخرج . ومرة ثالثة ورابعة . ثم كف عن الشهيق والزفير .. وأخذت أنظر اليه وأنا لا أفهم .. حتى سمعت صراخا من حولى .

وانطلقت من الدار أعدو وراء أخى لأطلب منه ألا يستدعى الطبيب .. لأن أبانا قد مات .

كانت كلمة غريبة على لسانى ... ولا أنكر أنى أفصحت بها فى أول الأمر .. بل قلت له « خلاص » .. فلما سألتنى عما أعنى بكلمة ( خلاص ) قلت له : بابا ... مات .

كنت وقتئذ فى الرابعة عشرة .. وأنكر أنى ارتعيت على الأرض أمزق الثياب وأغطية الأرائك بأسنانى غير مصدق أن أبى مات .. حتى بدأ النعش يخرج من باب البيت . ورغب البعض فى أن يحجزونى فى البيت فلا أسير وراء النعش ، ولكنى انطلقت أعدو وراء الجناز ، واندسست بين المشيعين ونظرى معلق بالنعش المحمول على الأكتاف وقد وضع على حامله طربوش أبى ، أما طربوشه الآخر فقد كان على رأسى .

وسارت الجنازة من السيدة الى القلعة ، الى قرافة المجاورين ، وأدنى ما أدرى مما حولنى شيئا . ولا أبصر شيئا الا أبى الراقد داخل الصندوق الخشبي .

وبدأت مع السير أستشعر شيئاً من السكينة وأحس أنى سائر فى  
صحبة ابى .. وأن الفرقة لم تحدث بعد ... ولم يعد لم أمنية سوى أن  
يطول الطريق وتظل الجنازة سائرة الى ما لا نهاية ، ولكن النهاية  
حلت .. ووصلنا المقابر ثم ودعنا وافترقنا .

ضع الأشواك فى كفتى أيها الحاسد وكفكف دمعك وجفف عبراتك ..  
ذلك هو صباى اليانع الناضر المزدهر . ما كان أغناك عن نكء القرح  
وإثارة النكرى .

- دعنا من هذا . انى آسف .. لقد رجحت كفتك فى ذلك العهد .  
ولكنى كفىل بترجيح كفتى بعد ذلك فما زالت فى جعبتى أكداً من أزهار  
السعادة .

- هات كل ما عندك .

- لحظات الحب المضيفة المشرقة .. التى كنت تحلق خلالها فى  
أجواء السعادة والنعيم .. أتذكر قلبك المرهف الخفاق ، ومشاعرك  
الفياضة المتدفقة ؟ كنت من حبك دائم الثمل .. دائم النشوة . كنت  
إنساناً سعيداً ما كففت عن الحب لحظة واحدة .. وما خمدت أشواقك أو  
انطفأ حنينك .. أتذكر ساعات النجوى ، وليالى اللقاء ؟ أتذكر الأصابع  
المتشابكة والأذرع المتعانقة ؟ أتذكر الأنفاس الممتزجة والشفاه  
المتلامسة والأعين المغمضة والنفوس الذائبة ؟ أتذكر ما صادفت من متع  
الحب وهوائه ؟ أى كفة تستطيع أن تتسع لكل ما لقيت من أزهار الحب ؟  
دعنى أحشدها كلها حتى أسكنك .

- أزهار الحب ؟ رويداً أيها الغافل .. أى أزهار هذه التى تتحدث  
عنها ؟ انك لا شك لم تعرف الحب .. ألم تسمع أن لكل فعل رد فعل

مستاويا له ومضادا له في الاتجاه . ؟ كذا الحب .. لكل حب رد حب مساو له أو يزيد عنه . ومضاد له في الاتجاه .. كل ما تلقاه من سعادة في الحب مردود بالريح المركب .. اذا نعمنا باللقاء مرة شقينا بالهجر مرات .. ما بالك تذكر الانفاس الممتزجة والشفاه المطبقة وتكرر الليل الجاثم والمرقد الجافى . ؟ ما بالك تتكرر النفس المسهدة والكبد الحرى ، والقلب المحترق . ان أزهار الحب التى وضعتها فى كفئك ازهار شائكة .. أشواكها أكثر من أوراقها .. انزع منها الأشواك وضعها فى كفتى .. أجل .. هكذا .. انظر . لقد رجحت كفتى . ماذا عندك بعد هذا من أزهار ؟

اطمئن .. لدى الكثير . الكثير جدا .. لن تغلبنى بأية حال .. خذ هذه .. أزهار النجاح .. انتكر انك كنت انسانا ناجحا محظوظا ؟ لقد نلت كل ما تطلعت اليه ، ووصلت الى كل ما أردت الوصول اليه .

- أزهار النجاح دائما تنتهى بأشواك الخيبة .. خيبة الأمل وانهايار المثل العليا . كل ما تطلعت اليه نلته ، وكل ما أردت الوصول اليه بلغته ، ولكن كل ما نلته وكل ما بلغته قد وجدته عندما أصبح ملك يدى نافها زائفا . ان سعادة النجاح لا تدوم سوى لحظة خاطفة .. ثم يذهب أثرها عندما تكشف حقيقة ما كدنا فى سبيله .

- ألم أقل لك انك مخلوق كافر .

- كافر بماذا ؟

- بنعمة ربك .. بكل ما تاقى اليه نفسك ووهبه له . ألم يحقق لك أملاك ويهب لك العمل الناجح ، والزوجة ، والأولاد ؟ .

- أما العمل الناجح فقد أضعت فيه عمرى .. لقد تعادلت فيه ازهار

التقدير مع أشواك الجهد ، كنت أتسابق مع الزمن حتى غلبنى الزمن .  
ما حصلت على شيء الا دفعت من حياتى ثمنه .

- والزوجة والأولاد ... ؟ ألم يكونوا زينة حياتك الدنيا ؟ ألم يغمروا  
حياتك بالأزهار ؟ .

- بالأزهار فقط ؟ ألم أقل لك أنك ، غشيم ، لا تعرف شيئا عن  
الزواج أو الأولاد ؟ صنع كل ما لديك من أزهارهم وسأرجحه بشوكة  
واحدة .. هات ما عندك .

- خذ هذه .. وهذه .. وهذه ... هات أنت ما عندك .

- سأضع شوكة واحدة من أشواكهم . انكر كيف وخزتنى وقتذاك  
فأقضت مضجعى عشرين ليلة . كانت الطفلة التى تبلغ ستة الأشهر  
متألقة مزدهرة ... لاغية باسمه .. حتى أصابتها وعكة جعلتها تغرق فى  
نوبة صراخ وبكاء ، ولم ندر ما بها ، واستدعينا الطبيب ثلو الطبيب حتى  
تبين فى النهاية أنها مصابة بالتهاب رئوى ، وبدأنا العلاج  
بالانتيبيولوجستين ، والسييازول . وانقضت مدة العلاج والحال كما هى  
واستدعينا ( كونسلتو ) من الأطباء ، فأتضح أنها قد أضيبت بصديد فى  
الرئة . تصور طفلة ذات ستة أشهر تصاب بصديد فى الرئة ولا بد  
لعلاجها من اجراء البذل ؟ . وكان على أن أمسك بها للطبيب حتى يدفع  
فى ظهرها بابرته الكبيرة لكى تصل الى الرئة حتى يمتص الصديد .  
واستمرت العملية يوما بعد يوم .. وكان البنسلين لم يعمم استعماله بعد ،  
ولم نستطع الحصول عليه الا بشق الأنفس ، وبدأنا الحقن ليل نهار كل  
ثلاث ساعات لا نكاد نقيم الطفلة حتى نوقفها .. وأعطيناها ( الكورس )  
الأول مدة أسبوع فلم ينجح ، فكررناه أسبوعا آخر .. لا يغمض لنا جفن  
ولا تهدأ لنا نفس .

هذه احدى الاشواك المتكررة التى لا غنى عنها لكل أب رزىء  
بنعمة الأولاد . ما رأيك ؟ ألم أرجح الكفة ... ؟ أعندك أزهار أخرى ؟  
- وما الفائدة اذا كنت تجد لكل زهرة شوكة ؟ ان من العبث ان أضيع  
وقتي معك . انك مخلوق مشاكس .

- أرايت أن الحياة لا تستحق العودة .. وأن البقاء أحمد ؟ ألم يبلغك  
قول على كرم الله وجهه : « آه من قلة الزاد وبعد السفر » لقد طويينا  
الطريق وختمنا السفر ، وهيهات أن نعود .. ابحت عن إبله غيرى .  
- عندى فكرة جييدة .

- ما هى ؟

- اذا كنت لم ترض عن حياتك ، فلعلك راض عن غيرها . ما رأيك  
فى أن أعرض عليك كشف المواليد ، وسجل حياتهم لتنتقى الحياة التى  
تحلو لك ؟

- الحياة التى تحلو لى ؟

- أجل .. أظن أن هذه فرصة لم تسنح لمخلوق من قبل .. ستكون  
من نشاء .. ستتحكم أنت فى خلقك .

- هذه مسألة فى الواقع تستدعى التفكير .

- أى تفكير أيها الأبله ؟ ! انها لا تستوجب التفكير أبداً .. يجب أن  
تقبل بلا تفكير .

- بلا تفكير ؟

- أجل .. بلا تفكير ولا تخيير .. اذا كانت حياتك أنت لم تعجبك ..

وخرجت منها -- كما تقول - خاسرا .. وغلب فيها شقاؤك سعادتك ،  
ورجحت كفة أشواكها كفة أزهارها .. فلا عليك .. خذ غيرها .

- أية حياة ؟ ! ! .

- أجل ! أية حياة ... اذا كان « توفيق أفندى » قد هشم أصابعك ،  
واذا كانت جدتك « أم عطية » قد سودت عيشك ، واذا كان فقد أباك قد  
أوجعك ، ومرض ابنتك قد آلمك ، فانتق حياة بلا توفيق أفندى ، وبلا  
أم عطية ، وبلا غير هذا مما أساءك فى حياتك الأولى .

- لا .. لا .. لا تحاول خداعى .. كل حياة لها أحزانها وأوجاعها .

- أنت عنيد مكابر .. كان يجب الا أتعب نفسى معك فى النقاش ..  
لقد أضعت وقتى سدى .. ان هناك آلاف الأرواح التى تقبل الهبوط معى  
راضية مسرورة .

- اذهب اليها اذا .

- طبعا سأذهب .. وسأدعك وحدك تصلى نارا حامية .

- نارا .. ايه ؟ .

- حامية .

- أنا أصلى نارا حامية ؟ .

- ولم لا .. أظننت نفسك قديسا أم نبيا ؟

- أمتأكد أنت من أنى سأصلى نارا حامية ؟ .

- طبعا .

- اذا انتظر ... لماذا لم نقل هذا من أول الأمر فتريحنى وتريح نفسك .. أين الكشف ؟ .
- أى كشف ؟ ! .
- كشف المواليد الذى تقول عنه .. أو كشف المستجدين المطلوب تجنيدهم فى الحياة .
- ليس كشفا .
- ماذا يكون اذا ؟ .
- سجل .. كبير حافل .
- ليكن .. سجل أو كشف .. أين هو حتى أطلع عليه .. وأختار حياة أخرى أهبط اليها .
- تعال ... اتبعنى الى هذا الركن .. أجل هنا .. أترى هذا ؟
- تقصد هذا الجبل ؟ .
- ليس جبلا .
- ماذا يكون اذا ؟ .
- هذا هو سجل المخلوقات .
- الذى تريدنى أن أطلع عليه ؟ .
- وتختار منه الحياة التى تلائمك .
- أنا اقرأ كل هذا ؟ .
- ألسنت أنت الذى تريد الاختيار ؟ ! .



- ظننته كشفا أمر عليه فى لحظات كقائمة الطعام .. تخيل لو جلست فى مطعم واحضروا لك قائمة طعام فى سجل مثل هذا الجبل الذى تريننى الاطلاع عليه .. ماذا كنت فاعل ؟ .

- كنت أموت من الجوع .. قبل أن أنتهى منه .  
وأنا أيضا أفضل أن أموت وأشبع موتا .. قبل أن أقدم على قراءته .

- اسمع .. عندى فكرة .

- ما هى ؟ .

- لا ضرورة لأن تطلع على كل هذا .

- اذأ كيف أنتقى ؟ .

- أولا .. أقصر اطلاعك على فترة شهر أو أسبوع .

- ماذا تعنى ؟ .

- أعنى أن العجز الكائن لدينا فى الأرواح المطلوب حشرها فى .  
المخلوقات الجديدة .. اعتقد أنه عجز مؤقت .. أى أننا لن نحتاج اليك  
للمساهمة فى سد هذا العجز الا فى خلال شهر على الأكثر ..  
مفهوم ؟ ! .

- مفهوم .. وبعدها تنفك الأزمة ؟ .

- أجل .. هذا محتمل جدا .

- وعلى ذلك فسيسقط عرضك بعد هذه الفترة ؟ .

- أعتقد .

- اذا ليس أمامى الا أن أنتقى فقط من المواليد التى ستهبط الى الأرض عما قريب .
- هذا هو ما أقصد .
- أرنى اذا .
- اليك هذا السجل الذى جهة اليمين . انه سجل مواليد يوليو الحالى .
- كل هذا ؟ .
- أجل .
- لا .. يفتح الله .
- اسمع .. هل تثق فى ؟ .
- أتريد الصراحة ؟ .
- طبعا .
- هذه الثقة .. مسألة مشكوك فيها .
- ولم ؟ .
- طريقتك فى الصعود بنا وطريقتك فى قبض أرواحنا طريقة بهلوانية تجعل الثقة فيك أمرا متعذرا .
- هذه مقادير لا بد أن أنقذها .. وليس لى بها ثم ليس هناك موجب فى أن تتشكك فى لمجرد أنى أنواع أساليبي .
- ولكن هبنى أثق بك .. فماذا تريد ؟ .
- دع الأمر لى .

- لك أنت ؟ .

- أجل .. أوبره كيف أشاء .

- طبعا أنت الذى ستدبره .. وهل تظننى أعرف كيف أدبره ؟ .

- أقصد أن تترك لى مهمة اختيار الحياة المناسبة لك .

- لا .. لا .. هذه ليست مسألة من السهل التسليم بها . أتعرف معنى هذا ؟ .

- معنى هذا ؟ .

- معناه أنك تستطيع أن تزج بروحى فى مولود أو فى جسد أو فى مخلوق جديد .. نيس هناك شبه أو انسجام بينى وبينه .. وأعرف بعد ذلك أية حياة تعسة يمكن أن أحيها .. أنا أعرف فى حياتى السابقة مخلوقات من هذا النوع كانت حياتهم لا تطاق .

- كيف ؟ .

- مثلا أعرف رجلا قبح الله خلقه ، دمىم الوجه ، هزيل الجسد ، يأبى الا الزج بنفسه فى ميادين الغرام وساحات العشق ، وكان يزعم لنفسه القدرة على إيقاع ربات الجمال ... وكان لا يكل عن محاولة تصيد اعجابهن .. ويروح بعد محاولاته الدائبة فى خيبة دائمة واخفاق مستمر .. هذا الرجل لا شك ذو روح مرهفة عاشقة ..... هى بروح دون حيوان أشبه .. قد حشرت فى جسد خطأ ... جسد كان لا يصلح الا لروح مجذوب من مجاذيب الحسين والسيدة .

- مسكين .

- ومثل آخر .. فتى كان زميلا لنا فى المدرسة .. أعجف هزيلا ..

لا تكاد تحمله رجلاه على ضعفه وهزاله .. أنتصور ماذا كانت أمنيته  
فى الدنيا ورغبته فى الحياة ؟ .

- لست أدرى ! .

- خمن ! .

- قل ولا تضع وقتنا فى التخمين .

- كانت أمنيته أن يكون رباعا .. أى والله .. كان يريد أن يخلف  
السيد نصير .. وكان يضيع ثلاثة أرباع وقته فى التمرين بالساندوز ..  
والتدريب على الأراشيه والبرس والكلين ونظر .

- على أية حال .. كل روح دائمة التطلع والتمنى الى ما قد يعجز  
عنه الجسد .

- لا ... لا .. أنا لا أقصد هذا .. انا اقصد الخلاف التام بين الروح  
والجسد .. لأن العكس أيضا صحيح .

- كيف ؟ .

- قد تكون الروح هى الأقل قدرة .

- لست أفهم .

- سأضرب لك مثلا .. عكس صاحبنا الهزيل الذى كان يريد أن  
يصبح رباعا .. زميل آخر كان له « جثة » هرقل .. كان ضخما قويا  
يستطيع أن يفرق « زفة » بأكملها .. ومع ذلك فقد وجدناه فى احدى  
المعارك فى مكان لا يخطر على بال كثير .. فأين وجدناه فيما تظن ؟  
- وكيف أعرف ؟ .

- وجنناه مختبئا تحت احدى المناضد .

- كان جباناً ؟ ! .

- لا .. لا .. لم يكن جباناً .. كل ما فى الأمر أنه لم يكن هناك انسجام بين روحه وجسده ... وهذا هو الذى أبدى عمله مستغرباً ، وهذا هو الذى جعله ملوماً مذموماً بين الناس . فلو أن روحه وضعت فى جسد هزيل ما لامه أحد وما شقى فى حياته وأصبح موضع هزؤ وسخرية .. ومثلاً آخر : صديق لنا مهيب المنظر ، فاخر الشكل ، له سمات الحكام ونوى السلطان وأهل الجاه والعلم .

- وأى عيب فى ذلك ؟

- العيب فى هذا أن روحه لم تكن لها هبة ولا فخامة .

- كيف ؟

- كانت روح مهرجة مهذار .. وكانت تأبى الا أن تجعل الجسد المهيب الفاخر موضع ضحك وسخرية .. ومثل آخر ..

- لا .. وأرجوك .. فكفى أمثلة .. ليس لدينا وقت لسماع المزيد من الأمثلة .

- هل فهمت اذا ؟

- تماماً .. أنت تريد جسدا يلائم طبيعة روحك .

- ليس ملائماً فقط .

- ماذا أيضاً ؟

- ملائماً وقديراً .

- - قديرا ؟ .
- أجل .. له القدرة على تنفيذ كل رغباتها وأمنياتها .
- هذه مسألة عويصة جدا .
- هذا هو شرطى للنزول .. فأنا كما تعلم زاهد فيه .. ولست على استعداد قط لأن أعاود مرة ثانية المغامرة فى حياة متعبة شاقة .
- - اذن فأنت تريد جسدا ملائما لروحك وقديرا على رغباتها ؟
- بالضبط .
- هذا يحتم على قبل أن أبدأ البحث أن أعرف بالضبط ماهية روحك وماهية رغباتها وأمنياتها .
- طبعاً .
- اذا فصف لى روحك !
- هذه فى الواقع مهمة صعبة .
- وما صعوبتها ؟
- فى وصف الروح يترجح الانسان بين الغرور والتواضع .. أخشى أن يرفعها الغرور أو يخفضها التواضع .
- صفها كما هى .. كأنك تصف روح غيرك .
- حسنا سأحاول .
- هيا .. تكلم .
- أول صفة فيها الارهاق والشاعرية والولع بالجمال .

- هذه مسألة هينة .. لن نعدم فى هذا الشهر مولد شاعر أضعك فى جسده .

- شاعر ؟ .

- أجل ! .

- وهل يكون جسد هذا الشاعر .. قويا متينا يستطيع لعب « الاسكواش » والسباحة والحصول على بطولات الرياضة التى أتوق اليها :

- ماذا ؟ ! ماذا ؟ ! شاعر يلعب « الاسكواش » ويحصل على بطولات رياضية ؟ ! بالطبع لا .

- اذا لا يصلح .. أنا أذكر بعض الشعراء المعاصرين فى حياتى .. أبغضت الشعر من أجلهم عندما رأيتهم .. لقد كانوا منبوشى الشعر .. لا ترى بينهم الا أعجف هزيلا أو أكرش بدينا .

دعك اذاً من الشعراء .. أستطيع أن أحشرك فى جسد بطل « للجمباز » والقفز والوثب .. سيولد غدا .. فما رأيك فيه ؟ .

- بطل « جمباز » .. قوى الجسد ؟ .

- جدا .

- ووجهه ؟ .

- ماذا تريد من وجهه ؟ .

- هل وجهه جذاب ؟ .

- جذاب .

- هل يوقع النساء بسهولة ؟ .

- والله لا أظن .
- ولكنى ولوع بهن ، وأريد أن أكون قدبرا على ايقاع أكبر عدد منهن .
- فى هذه الحال .. انسب جسد لك هو جسد ممثل فتى أول .. سيولد بعد باكر .. اعتقد أنه سيكون وسيما جدا .. وسيوقع فى حبائله ثلاثة أرباع مشاهدات الشاشة من المراهقات .. ما رأيك ؟
- لا بأس .... ولكن ..
- لكن ماذا ؟ .
- شخصيته .
- على الشاشة ؟ .. اطمئن .. يقوم بأدوار الشهامة والقوة .. وكل ما تريد من الصفات المحبوبة .
- لست أقصد على الشاشة .
- ماذا تقصد اذا ؟ .
- شخصيته الحقيقية .. شخصيته التى يحيا بها .
- وما لك وشخصيته الحقيقية .. الممثل .. لا قيمة له الا على الشاشة .
- ولكن شخصيته التى يعيش بها .. هل هو ذكى المعنى لودعى عبقرى ؟ ! .
- ايه ! ! ايه ! ! المعنى ولودعى ! ! طبعا لا .. فى الحياة لن يكون المعنى ولا لودعى .. بل ابن آدم عادى .. تافه كغيره من التافهين .
- تافه ! ! لا .. أنا لا أريد أن أكون انسانا تافها ، أريد أن أكون ذا شخصية وذا قيمة .



- عالم مثلا .. أو كاتب ؟ .
- شيء من هذا القليل .
- اسمع .. سيولد بعد غد ... جراح .. وسيكون له كما يقولون  
« شنة ورنة » ، فما رأيك فيه ؟ .
- أليكون شهيرا ؟ .
- جدا .
- ومظهره ؟ .
- لا بأس به .
- وشخصيته ؟ .
- ممتازة .
- ومركزه بين النساء ؟ .
- محبوب جدا .
- هذا لقطة .
- وشيء آخر يميزه أيضا .
- ماذا ؟ .
- سيكون بطلا من أبطال الرياضة وهو في كليته
- مدهش .
- وله ذوق حساس ونفس مرهفة .. وسيقرض بضعة قصائد من  
الشعر .

- عجيب ! . هذا هو المطلوب .. بالضبط ... لم لم تحدثني عنه من قبل ؟ .
- اذا كان يعجبك فعليك به .. انه خال ينتظر الروح التي سترج به الى الحياة .
- انتهينا .. لقد اخترته .
- حسن .. اتفقنا ؟ .
- اتفقنا ! .
- ثمة شيء آخر .. أريد أن أطلعك عليه حتى تكون على بينة من كل شيء .
- ماذا أيضا ؟ .
- عندما يبلغ الثلاثين .
- سيرشح للوزارة ؟ .
- لا .. سيصاب بالسل .
- ماذا تقول ؟ .
- ويعيش بقية حياته مصدورا .
- أيها الماكر الخبيث .. أهذه حياة تختارها لي ؟ ! .
- ألم تعجبك البداية ؟ .
- والنهاية ؟ أية سعادة في اصابة بالسل في عز شبابي .. لا ... لا ... يفتح الله .. بيني وبينك ربنا .
- اسمع .. لا فائدة من أن أختار لك أنا .

- ما العمل اذا ؟

- لدى « فهرس » مختصر ... تستطيع أن تلقى عليه نظرة فى بضع دقائق واختر بنفسك من تشاء .

- أوجد به توضيحات ؟ .

- أجل .. معلومات ملخصة مختصرة .. ها هو ذا ... لايزيد على بضع صفحات .

- هذا معقول .. شئ ممكن قراءته ... بدل هذا التل من الأوراق .

- ألق عليه نظرة .. علك تجد مخلوقا بعجبك تحل فيه .

- أرنى .. المخلوق الأول « عبد المجيد جاد الرب » سباك بدرب العنبة ابن الأسطى جاد الرب وسيدة العمشاء يتعلم الصنعة مع أبيه ويظل سبكا فى درب العنبة حتى نهاية حياته .. يتزوج فهيمة الفرارجية وينجب سبعة عشر ولدا . ما شاء الله .. حياة رغدة جدا .. ما هذا يا سيدنا ؟ ! أ تلك هى الحياة التى تريدنى أن أهبط مرة أخرى لأحيائها .. سباك وعمشاء وفرارجية وسبعة عشر ولداً ! خذ ! خذ ، ولا تضعي وقتنا ..

- يا أخى صبرك .. دعك من هذا .. خذ الذى بعده .

- اذا كان كل مواليدك من هذا النوع ، فلست أجد أملا فى الاطلاع على بقية الكشف .

- يا سيدنا .. صبرك لا تكن عجولا .. نحن لدينا مواليد من جميع الأصناف والطبقات . فأرجو أن تقرأ .

- المخلوق الثانى .. زكية فلمنك .

- زكية ايه ؟ .

- فلمنك .. هكذا مكتوبة .
- أجل .. أجل .... تذكرت .. هذا سيصبح اسمها بعد حين .
- زكية فلمنك .. راقصة عالمية .. تولد في شق التعبان .. تقضى طفولتها في لم « السبارس » ، وصباها في غسل الصحون ، وشبابها في هز الصدر والأرداف .. يلمع نجمها في سماء الفن . تموت في هوليوود بين أروقة استوديوهات م . ج . م . م . ما هذا الخلط والهنر ؟ تولد في شق التعبان وتموت في هوليوود ؟ .
- قضاء الله .
- على أية حال هذه مسألة لا دخل لي بها . لثمت أينما شأنت .. فهي لا تتدخل في دائرة الاختصاص .
- كيف ؟ .
- لا استطيع بالطبع ان أهبط في جسدها .
- ولم ؟ .
- لم ؟ ! هل تريدني ان اهبط الى جسد امرأة ! !
- وماذا يضيرك ؟ .
- وراقصة ؟ ! .
- وأى عيب في ذلك ؟ .
- وأمسك الصاجات .. وارقص على واحدة ونصف ؟ .
- واحدة ونصف .. اثنين .. ثلاثة ... باليه .. رومبا .. هذه مسألة تخصصك وحدك ولك مطلق الحرية فيها .
- اسمع .. أتتهزل ؟ .

- بل أنكلم جادا .
- لو كنت مكانى .. أكننت تهبط فى جسد راقصة ؟ ! أتقبل بعد حياة الرجولة التى حييتها .. أن تصبح امرأة .. وأى امرأة ؟ !
- ولم لا .. حياة جديدة ليس لك بها عهد .. ألا يحتمل أن تكون اسعد من حياة الرجولة التى حييتها ؟ .
- يحتمل .. ولكن على أية حال .. لا أريدها .. لست أجد فى نفسى أى كفاءة للمهنة الجديدة ولا للحياة الجديدة .
- أنت وشأنك .. خذ التى بعدها .
- لنر التى بعدها .. « عباس الهميمى » رئيس عصابة قطاع طرق فى قنا .. يقتل خمسة وأربعين رجلا ويتزوج خمسا وعشرين امرأة ويموت مشنوقا .. ما هذا يا أخانا ! ! أهذه حياة ! ! أنا أصلح لقتل خمسة وأربعين رجلا ؟ !
- لاحظ أنه تزوج أيضا خمسة وعشرين امرأة ! .
- والله هذه مسألة تستدعى التفكير .
- غير الصداقة .
- أهنأك أيضا صداقة ؟ .
- طبعاً ..
- حياة ممتعة ولا شك .. مليئة بالنساء .. ولكن أتراهن جميلات ؟
- لاشك بهن شىء جميل .. على الأقل نصفهن .
- والله مسألة فيها نظر .. ما رأيك أنت ؟ .

- أقبل ولا تتردد .
- ولكن الشنق ؟ .
- كلها موتة .
- والعذاب فى الآخرة ؟ .
- كله عذاب .. ما من حياة الا ولها ذنوبها .
- لكن القتل ... فطبيع .. لا أستطيع .. لن أجسر عليه .. ستكون مشكلة عويصة .. بين روحى المسالمة ، وجسده المعتدى الهاجم .. لا ... لا ... لا أظننى أصلح لهذه الحياة .
- أنت متردد .. اقرأ الذى بعده .
- « سناء سامح » الشهير بسونة .. رجل أم امرأة ؟ .
- أظنه رجلا .. اقرأ وأنت تعرف .
- الشهير بسونة .. ابن الوجه سامح باشا والنبيلة راجية .. هذا مولود « ارستقراطى » ابن عز .
- أكمل ... أكمل .
- يولد فى قصر المنيل .. وفى فمه ملعقة من ذهب طبعاً !
- أكمل يا أخى ... وأرجى تعليقاتك حتى النهاية .
- ولم أكمل ؟ ! هذا انسان مولود فى قصر .. ماذا أبغى أكثر من هذا .. أنا نفسى ولدت فى حياتى السابقة فى حارة الروم ... فى الدرب الأحمر .

- اذن يعجبك هذا المولود ؟ اتفقنا ؟ ! .
- على ماذا ؟ ! انتظر .
- يا أخى أكمل ودعنا ننتهى .
- يولد فى قصر المنيل .. يقضى طفولته بين الدمقس والحريز  
والذهب .. ويقضى حياته مدللاً بين أقصى مظاهر العز والرفاهية ..  
مدهش .. هذا مولود مثالى .
- أقرأ .. أقرأ .
- وفى شبابه يموت أبوه ويرث كل ثروته .. ألف فدان وأربعة  
قصور ... يا سلام .. أظن ليس بعد هذا حياة ؟ ! .
- أكمل .. قل لنا كيف يموت ؟ .
- كيف يموت ؟ ! يرث ألف فدان وأربعة قصور .. ويموت ؟ !  
يموت .. ما هذا ؟ لا بد أن يكون قد حدث خطأ .. لا شك  
أن هذه الموتة قصد بها مولود آخر .. أجل .. أجل .. لا بد أن يكون  
حدث خطأ كتابى .
- ليس هناك خطأ ... قل ... كيف يموت ؟ ! .
- يموت معدماً فى درب طياب .. لا .. لا هذا ليس معقولاً بالمرّة ..  
هذه موتة قد تضلح لصاحبك عباس الهميمى رئيس العصابة .. أو عبد  
المجيد جاد السباك ، ولكن لسونة وريث الألف فدان .. غير معقول أبداً .
- اسمع .. لاتكن ثرثاراً .. ان مهمتك أن تختار فقط .. لا أن  
تعترض أو تعدل ؟ .

- ولكن هذا شيء لا يقبله عقل .
- لم ؟ .
- كيف يموت معدما .. وهو وريث ألف فدان ؟ .
- أهذا شيء عجيب ! .
- بالطبع .
- فقدها .
- فقدها ؟ ! . كيف ؟ ! أهي بضعة قروش يفقدها بمثل هذه السهولة ؟ .
- ألا تعرف كيف يفقد انسان الف فدان ؟
- أنا شخصا لو أعطيتني ألف فدان فلن أعرف كيف أفقدها .
- فقدها .. بالقمار ... أعلمت ؟ ... أما زلت مصرا على أن ألف فدان .. شيء يصعب فقده ؟ ! .
- آه .. بالقمار .. إذن فهو مقامر ؟ .
- أجل مقامر .
- علمنا هذا .. ولكن ماذا سيذهب به الى درب طياب ؟ وكيف سيموت ؟ .
- سيذهب الى غرزة حشيش .. وسيموت عقب شده نفسا حاميا يكتم أنفاسه .
- إذن فهو حشاش ؟ .



- أجل حشاش ... وأية غرابة فى ذلك !! .

- أية غرابة ؟ ! امعقول ان يكون ربيب العز ، الأرسقراطى ،  
حشاشا ؟ .

- بل غير المعقول ألا يكون كذلك .. ان الحشاشين قد اضحوا اهل  
العز و ، الأرسقراطية ، .

- على أية حال .. دعنا منه .. انا لست على استعداد لأن أكون  
مقامرا ، وأن أبعد من الفدادين ألفا جمعها سامح باشا المسكين .. ولست  
على استعداد أيضا لأن أختتم حياتى فى غرزة بدرب طياب .

- أنت وشأنك .. اقرأ الذى بعده .. أنت متعب جدا .. لا يعجبك  
العجب ... ولا الصيام فى رجب .

- اسمع .. اذا كانت كل مواليدك بهذه الكيفية وهذا الحال ، فلا داعى  
لأضاعة وقتنا .. ان حياتى السابقة التى لم أرض عنها كانت بلا شك  
أفضل من هذه الحيوانات التعسة .

- ألم أقل لك أيها الكافر .. الناصر للمعروف .

ومع ذلك فلم تعجبنى .. لقد كنت أكثر احساسا بالشقاء .. وليس أدرى بهذا  
منى .. هل تظننى أدعى أو أفترى .. أوكد لك أنى فى أسعد لحظات  
حياتى كنت أفضل الخروج منها .. يا أخى لا أريد الحياة .. أهى مسألة  
قوة ؟ .

- لا تغضب .. المسألة ليس فيها قوة ما .. اقرأ .. اقرأ .. فقد نجد  
ما يعجبك .. لا داعى لهذا التعجل .. هات ما بعده .

- نفوسة عبد القادر .

- دعك منها .
- شلبية سلامة .
- دعك منها أيضا .
- بهانة عبد الرحمن .
- دعك من الحريم ... هات ما بعدها .
- ألا تقرأ ما كتب أمامهن ! .
- ولم ؟ ! ألم تقل انك لا تقبل ان تكون امرأة... بعد طول رجولة ؟ ! .
- أجل .. ولكن من باب التسلية والعلم بالشئ .
- لا .. لا ... ليس لدينا وقت للتسلية ولا للعلم بالشئ .. اقرأ ما بعده .
- عبد الحليم أبو رابية .. هذا لابد أن يكون شيالا .. أو صاحب مصنع حلوة طحينية .
- يا أخى اقرأ .. أرجوك .. وكفى تعليقا .
- عبد الحليم أبو رابية .. ما هذا ؟ . غير معقول !! لا يمكن !!
- ما هذا غير المعقول ؟ !
- عبد الحليم أبو رابية .. زعيم .. أتصدق ؟
- زعيم ؟ .
- أى والله .. زعيم .. مرة واحدة .. هذه لقطة .

- أمتأكد أنت ؟ .
- خذ اقرأ .
- عبد الحليم أبو رابية .. زعيم .. عجيبة ! ! هذه نادرة .. لا تكاد تحدث الا كل قرن .
- انتهينا .
- على ماذا ! .
- على أن أكون عبد الحليم رابية .
- ولكن ..
- ليس هناك لكن .. لقد تركت أنت لى حرية الاختيار .
- ولكن هذا لا يدخل فى دائرة الاختيار .. انه شىء نادر .. لقد تركت لك حرية الاختيار بين الأحجار ... أما هذه الجوهرة فدعها جانباً .. انها بالطبع لا يمكن ان تكون موضع اختيار .. اقرأ ما بعده .
- لن أقرأ شيئاً .
- لم ؟ .
- اما هذا .. واما لا .
- أفتحنث فى وعدك ؟ .
- أنت البادىء بالحنث .. لقد قلت لى اختر من تشاء فلما وقعت على المخلوق الملائم .. عنث « تتدل » وتقول انه خارج الدائرة .
- لم أقصد التدل .. ولكن ليس من السهل تسليم هذا المخلوق لأية

روح . انه مخلوق ممتاز يحتاج الى روح ممتازة قديرة على تمكينه من تأدية رسالته .

- أو تظن أن روحى تعجز عن تأدية الرسالة ؟ .
- أظن .. بل أجزم أنها ستعجز .. ماذا تظن المسألة .. انها زعامة !! زعامة ! ! هل تعرف معنى الزعامة ؟ .
- رأيتها فى حياتى وقرأت عنها .
- فما رأيك فيها ؟ .
- والله تتوقف على نوع الزعيم .. ونوع البلد .
- فى بلدكم أنتم ؟ كيف رأيتها ! !
- رأيتها .. شينا مستطاعا .. ليس عسيرا بالغ العسر تحتاج الى نوع من المحافظة على التوازن عندما يحمل الانسان على الأكتاف !
- أكتاف ؟ أيها الأبله .. هل تظن الزعامة مجرد حمل على الأكتاف ؟ .

- وقدرة على رفع الأكتاف الى الرأس لرد التحيات .
- ما هذا البله ؟ .
- بله ؟ ! أليس مفروضا على الزعيم أن يحمل على الأكتاف ويرد تحيات الناس ! ! .

- هذه ليست أعماله الأساسية انها مجرد نتائج لما سيقوم به من جلائل الأعمال ... فيجب قبل أن يكون قديرا على حفظ توازنه على

الأكتاف أن يكون قديرا على تأدية الأعمال التي ستجعله يرفع على الأكتاف .

- والأعمال الجليلة هذه .. مسألته عسيرة أم هي بالنيات ؟

- نيات ؟

- أجل .. ألا تعرف أن الأعمال بالنيات ؟ .

- أهكذا كانت عندكم أعمال الزعامة ؟ .

- أعتقد هذا .

- اسمع يا هذا .. الظاهر أنه ليس لديك أية فكرة عن الزعامة .. ولهذا طلبت الهبوط الى جسد المولود النادر الثمين .. لا ... لا ... ان المسألة ليست بمثل هذه السهولة .. ان الزعيم صانع معجزات ومظهر خوارق ، ولست أظنك واجدا في نفسك الكفاية لذلك .

- ظن ما تشاء .. لقد اخترت وانتهى الأمر .. اما أن أكون زعيما واما أن تتركني أصعد .

- الى جهنم ؟ .

- جهنم .. جهنم .

- جهنم خالدا فيها أبدا ! .

- أبدا ... أبدا .. لا يهمني .. أهى حرقه .. أم حرقان !

- الظاهر أنك عنيد جدا ! ! .

- لن أقبل العودة الى الأرض الا زعيما .

- يا أخى لقد قال مثلكم « شيل على قدك » .. والزعامة ليست « قدك » يا أخى .. أمامك مئات الأرواح غيرها .. اسمع نصيحتى .
- لقد قلت كلمتى وانتهى الأمر .
- اذا فأنت تصر على أن تحل فى جسد الزعيم ؟ !
- أجل .
- وتصبح وحدك مسئولاً عن حياتك الضخمة وأعمالك الجليلة ؟
- طبعاً سأكون مسئولاً عن كل ما بها .
- ولن تنوء بحملها . أو تكل من أعبائها ؟ .
- ما تظننى ؟ أمستضعفاً .. أم صعلوكاً ؟ ! طالما شعرت فى حياتى السابقة أننى جدير أن يكون زعيماً .
- هكذا ! !
- أجل هكذا .. سترى ما سأفعل فى حياتى الجديدة ... سأريك الزعامة على أصولها .
- والله أخشى أن تخذلنى وتضيع هبة الزعامة ... وتخلط فى أعمالها ، لاحظ أن حياتك ستكون جهاداً ومشقة .
- أنا أحب الجهاد والمشقة .. انى أستعنبهما .. ما داماً ينتجان أعمالاً جليلة وينتهيان بنهاية حافلة مشرقة .
- على أية حال لقد وعدت أن أعطيك الحياة التى تختارها .. وليس أمامى الا الوفاء بوعدى .. سأمنحك الفرصة .. فمن يدرى ! ! ولكن على شرط .

- أى شرط ؟ .
- ألا تتركب رأسك وتستبد بحياتك .. وتتبع هواك فتركب شططا لا قبل لنا على دفعه .
- ماذا تريدنى اذا ؟ .
- استعن بى .. واسمع مشورتى .
- كيف ؟ .
- سأكون بجوارك دائما .. أسألنى فى كل ما يستعصى عليك .. وسأرشدك عن كل ما تريد .. سأريك ما يجب أن تفعله وما يجب أن تنتهى عنه .. مفهوم ؟ .
- ستكون لى اذا بمثابة المرشد ؟ .
- أجل .. فانى أعتبر نفسى مسئولا عن هذه المغامرة ومسئولا عن حياة الزعيم النادرة التى أسلمها اليك .
- اتفقنا .. هيا بنا .







البحث  
عن  
جسد

## الفصل الثانى

( المنظر : فى السماء على مقربة من مسكن محمد  
افندى أبو رابية موظف فى الدرجة السادسة بحسابات  
وزارة الأوقاف وهو شقة متواضعة فى شارع التلؤلؤ  
المتفرع من شارع السد البرانى بالسيدة زينب .. من  
النافذة تبدو غرفة نوم رقدت فيها الست زنوبة زوجته  
وهى تعاني آلام الوضع .. ويجوارها عيوشة الداية  
وبعض الأقارب .. الوقت فجر .. الجو صيف ..  
عزرائيل وأنا نخلق معا فى الخارج ) .

عزرائيل يبدأ الحديث :

- هيا انزل .

- .....

- قلت لك انزل .. ألا تسمع ؟ .

- مالك مستعجلا هكذا .. أطارت الدنيا ؟ . ما زال أماننا سبعون

سنة فى سجنها .. دعنا نتنسم عبير الحرية لحظة .. دعنا نشم الهواء .

- ليس لدينا وقت ... شم الهواء بعد .. سيكون لديك سبعون سنة  
تشم فيها الهواء كما تشاء .

- أهكذا ضقت نرعا بصحبتى ؟ .

- لم أضق بك نرعا ، ولكن الموعد قد أُرِف .

- أى موعد ؟ .

- موعد ميلادك .. موعد ظهورك فى الحياة . موعد بزوغ نجم  
جديد .. مولد الزعيم .

- دعه يتأخر لحظة .

- كيف ؟ لايمكن .. ان مواعيدنا تتم بالثانية .. مواعيد محددة  
مضبوطة .

- ومتى موعدى ؟ .

- منتصف الساعة الخامسة تتلوها أربع دقائق وخمس وعشرون  
ثانية فى الفجر .

- هذا موعد سخيف جدا .

- ولم ؟

- المفروض أن أكون فيه مستمتعا بأحلى نومة ، لست أكره شيئا  
كيقظة الفجر .

- لا بأس ، تحملها اليوم .. ونم بعد ذلك كما تشاء . هيا انزل .

- الى أين ؟ .

- الى جسدك ..

- أين هو ؟ ! .
- أسفلك مباشرة .
- وكيف أهبط اليه ؟ .
- قفزا من هذه النافذة المضيئة ... أتراها ؟ .
- أنا أقفز من نافذة ؟ ! حاشا لله ... بعد هذا العمر الطويل من حياة محترمة ، والخروج من الدنيا وقورا مهيبا أهبط اليها من نافذة ، ماذا يقولون عني ؟ لص أم عاشق ؟ .
- يا أخى لا تكن سخيفا ... لن يقول عليك أحد شيئا من هذا ... لأنه لن يراك أحد .. أهبط بسرعة كما يهبط القفاز فى حوض السباحة ، ألم تر ديفنچ فى حياتك ؟ .
- رأيتہ .
- افعل مثله .
- لا أستطيع .
- ولم ؟ .
- أخشى أن ترتطم رأسى فى حافة النافذة ويسيح دمي .
- أهبط أيها الغبي .. ليس لك حتى الآن رأس ولا عندك دم ... أهبط فقد أزف الوقت .
- اقترب منى حتى ترينى النافذة .. أخشى أن أخطئها .. وأهبط الى نافذة أخرى .... تكون امرأة نائمة فتظن بى سوءا .
- أيها الخبيث .. أنا أعرفك .. ان هذا أمنية لك .. ولكن اطمئن انك

لن تخطيء .. انها النافذة الوحيدة المضيئة في الحى كله . ومع ذلك  
فسأهبط معك .. هيا .

- ما هذا ؟ ! انتظر .

- أنتظر .. ماذا ؟ .

- لابد أننا أخطأنا المكان .

- لم ؟ .

- أنا أعرف هذا المكان من قبل .. انى أستطيع تمييزه تماما .. أليس  
هذا هو شارع السد ؟ .

- أجل ! .

- وهذا أيضا هو شارع التلول ؟ .

- أجل .

- وبعد ذلك تقول لى لم نخطيء ؟ .

- طبعا لم نخطيء ، ان هذا هو البيت المقصود .

- بيت الزعامة ؟ .

- أجل .

- فى شارع التلول ؟ .

- وماذا فى تلك ؟ .

- لا .. لا ... انك تضحك على .. انك تغشنى .

- كيف أغشك ؟ .

- نهبط فى شارع التلول ونقول لى هذا بيت الزعامة ؟ بيت الزعامة يكون غالبا .. فى الدقى ، فى الزمالك ، فى جاردن سيتى .

- يا أخى ربنا يفتحها عليك بعد ، وتقطن كما تشاء ، تحمل الآن . ما دام قضاء الله أن يكون مولدك هنا .

- فى حياتى السابقة لم أكن زعيما .. بل كنت مجرد كاتب لا هنا ، ولا هناك ، وولدت فى الدرب الأحمر .. فكيف أولد وأنا زعيم فى السيدة ؟ بل فى شارع التلول ؟ .

- المفروض أنك زعيم شعبى ، وهذا شيء ستفاخر به فى المستقبل .

- ولكنى أفضل التنازل عن هذا التفاخر .

- ألم أقل لك أنك لا تصلح للزعامة ؟ . ألم أقل لك أنها شيء كثير عليك ؟ وأنها جهاد ومشقة ؟ .

- قلت لى أنها جهاد .. ولكن لم تقل لى أنها فقر .. هذه بداية نعمة .. أول القصيدة كفر .

- الاحساس بالفقر بعض الجهاد ، لابد أن تحس آلام الشعب الذى ستقوده .

- تعنى أننى سأجوع ، وأمراض ، وأمشى حافيا ... لا ... لا .. حد الله بينى وبينك .. عد بى .

- الى أين ؟

- الى فوق .

- الى فوق ؟

- أجل الى فوق ، الى النار الحامية التى تهددنى بها .

- اسمع يا أخانا .. أنا لن أسمح بمثل هذا العبث .. ان الوقت قد  
أزف ، وليس أمامنا الا بضعة دقائق .. وهى لا تكفى للحصول على روح  
غيرك ، فأرجوك ، كفى اضاعة وقت ، وكفى احراجا .. لايد أن تكون  
رجلا ، وتفى بموعدهك ، لقد قلت انك تريد أن تكون زعيما ، فعرضت  
عليك الزعامة . ماذا تريد بعد ذلك ؟ .

- أية زعامة هذه التى تولد فى شارع التلؤل ، وتقاسى الفقر  
والمرض ! .

- لن تقاسى شيئا ، اطمئن .. اهبط معى وكفى مضیعة للوقت .. هيا  
أرجوك .. ان الست زنوبة تكاد تخمد أنفاسها من فرط الألم والصراخ .

- الست زنوبة ؟ .

- أجل ..

- من تكون الست زنوبة .. هذه ؟ .

- أمك .

- أمى أنا ؟ ! زنوبة ؟ .

- ما لها زنوبة ... عيب ؟ .

- زعيم ، وأمه زنوبة ؟ .

- ماذا تريد أن تكون أمه اذا .. كاريوكا ؟ .

- كنت أفضل أن تكون تماضر الخنساء ... أو على الأقل جان دارك .

- أرجوك من فضلك . ليس هذا وقت مزاح .. هذه كلها أشياء منتهية .. لقد كانت وانتهى الأمر .. اسم أمك .. اسم أبيك .. مكان ميلادك .. كل هذه أشياء مقررة مكتوبة .. لا قبل لنا بتغييرها ... مفهوم ؟

- عبد الحليم ... أبو رابية ابن زنوبة بشارع التلؤلؤ .. ماذا أيضا قد تقرر في مصيري .. وانتهى أمره ؟ !

- كل شيء .

- كل شيء ؟

- أجل كل شيء .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أن مصيرك كله تقرر . بوصفك زعيما ، وأن عليك التنفيذ لا التغيير ولا الانتقاد ولا التعديل .

- هكذا ؟

- طبعاً هكذا .. ماذا كنت تظن ؟ ! أتصنع أنت حياتك بنفسك ، وتقرر مصيرك وأعمالك بيدك !  
- طبعاً !

- ما شاء الله ! ! والله لو تركتك لتقرر مصيرك لغرقت في شبر ماء .. أسمع وحياة والدك .

- أيهما ؟ .

- السابق واللاحق .. اسمع لقد قلت لك من قبل .. عليك أن تنفذ حياتك بأمانة . وقلت لم أنها حياة جهاد ، ومشقة .. وأنى سأكون بجوارك أرشدك الى كل شيء حتى أطمئن على حسن سيرك وطيب سلوكك . ولقد قبلت أنت عن طيب خاطر .. فماذا حدث حتى تعود - وقد أزف الوقت - الى التردد والتلل ؟ .

- بدايتك التى لا تبشر بخير .. أول القصيدة المليء بالكفر .. ان أول ما أريتنيهِ من الزعامة لا يتفق مع ما رسمته لها فى ذهنى من أبهة وفخامة .. لقد داخلنى منك خوف من خديعة وتغدير .

- أنا لا أخدع ولا أغرر .

- اذن فلندع اسم الخداع والتغدير .. أخشى أن يكون بيننا اختلاف فى وجهات النظر ، وفى صفات الزعيم .

- ليكن ما ترى .. ماذا تريد الآن ؟ .

- أريد أن يكون الاتفاق على نور .. اريد أن أكون على بينة .

- بينة مماذا ؟ .

- من الحياة التى أوشك أن ازح بنفسى فيها .

- ألم تخترها أنت بنفسك ؟ ! انها حياة زعيم .. وكفى .

- لا . لا . دعنا من « كفى » هذه .. أريد التفاصيل .

- أهذا وقت تفاصيل ؟ ! كل ما أمامنا لا يزيد على بضعة دقائق ،



وتريد منى أن أنكر لك تفاصيل حياة زعيم تضيق عنها صفحات كتب التاريخ .. أنت من بنى آدم ؟ .

- حتى الآن ؟ ! لا .

- كن رجلا طيبا . ابن حلال . هيا بنا .. هيا .

- لن أهبط حتى أعرف مصيرى بالتفصيل .. وأعرف حياة الزعيم هذه التى تريد أن تلبسها لى .... والتى لا يبدو بها - من بدايتها - أية صلة ولا شبه بما أعرفه عن الزعامة والزعماء .

- أيها الفظ غليظ القلب .. ألا تسمع الصرخات ؟ ! .

- أية صرخات ؟ !

- صرخات أمك زنوبة .

- وما لى أنا بصراخها ؟

- أهبط وخلصها من الآم الوضع .

- أنا ؟ !

- أجل .. أنت .

أنا لم أكن بذى دراية فى مسائل الولادة قط .. لابد أن يكون بجوارها داية أو دكتور .. انى أغرق فى شبر ماء فى مثل هذه المسائل .

- لست أطلب منك توليدها .

- كيف أخلصها انن ؟ .

- بأن تولد أنت نفسك ، بأن تهبط الى الجسد المحشور فى بطنها

فتبعث فيه الحياة .. وتخرجه على ظهر الأرض .. اهبط قلت لك ،  
وارحم المرأة من آلامها . انها زنوبة .. أمك .

- أيها المخادع المغرور .. تريد أن تأخذني في غمرة من الشفقة  
والعطف .. « وتكروتنى » في الجسد .. وتأخذني في « دوكة » ... لن  
أهبط قبل أن أعرف التفاصيل بالضبط .

- أيها الفظ .. القاسى .. انها أمك .. وبالوالدين احسانا ؟ !

- ليست أمى .. ولا أعرفها .. حتى الآن . ان الصفقة بيننا لم تتم  
بعد .

- لم أر أصلب منك رأسا ولا أشد غباء .. أمانا دقيقتان فقط قل  
ماذا تريد ؟ ! لعنة الله عليك .

- أريد أن أعرف أشياء كثيرة عن صاحبك الزعيم ابن زنوبة ..  
المولود فى شارع التلول .

- أولا كفى سخرية .. من اسم أمه وشارع مولده .. لقد قلت لك انه  
مفروض أن يكون زعيما شعبيا .. نشأ فى صميم الشعب .

- ليكن .. دعنا من مولده .. هذا شيء ممكن احتماله .. حدثني عن  
تربيته ونشأته .. وطفولته وصباه .. وشبابه ، وأمواله ومتعاته .

- أحنئك عن كل هذا فى دقيقة ونصف ؟ ! كن عاقلا .. أرجوك ..  
أرجوك .. اهبط الآن وارحم المسكينة التى بح صوتها من الصراخ .

- ليس لى بالمسكينة شأن .. أنا غير مسئول عن الأم كل والدة لأننى  
لم أتسبب فى حملها .. السلام عليكم .

- السلام عليكم ؟ .. الى أين ؟ .

- الى فوق .
- والزعيم ؟ .
- ليس لى به شأن .
- والاتفاق ؟ .
- ليس بيننا اتفاق .. انا حر يا أخى .
- اسمع .. فف .. كلمة واحدة .
- ماذا تريد ؟ .
- أرجوك .. المسألة ليست بمثل هذه السهولة .. ان بها مسئولية كبيرة .
- أى مسئولية ؟ .
- مسئولية ولادة الزعيم .. كيف تتركه هكذا فى بطن أمه ؟ .. دون أن تتقدم وتلتقطه قبل أن يسقط .
- ليسقط الزعيم فى بطن أمه .
- كيف ؟ .. انه زعيم .. انه مخلوق نادر .. لايمكن تركه ينفق هكذا بسهولة فى مولده .. ان له عملا فى التاريخ . أمة يأسرها تنتظره .. شعب كامل يتلهف عليه .. لو أنه مولود عادى . لتركناه يسقط .. ولكنه زعيم يحب أن يحيا .. يجب أن يحيا الزعيم .
- يحيا .. يحيا ... هذا ليس من شأنى ابحت له عن روح أخرى ، لست على استعداد للمغامرة بروحى مرة أخرى .
- ليس معى الآن أرواح سواك . لقد تركتني أعتمد عليك اعتمادا كليا .. ثم جئت تخذلنى فى اللحظة الأخيرة ... بل تخذل أمة بأسرها ؟ .

- ما لى أنا وللأمة التى تتحدث عنها ؟ ١ ؟ .
- انك تحاول حرمانها الزعيم الذى طالت لهفتها عليه وتاقت لرؤياه .
- لا عليك .. دعها وشأنها .. الزعماء بها كثيرون .
- كثيرون أيها الأحمق ؟ ١ ان هذا زعيم حقا .
- زعيم حقا .. ماذا تعنى ؟ .
- ماذا أعنى ؟ .. لقد سبق أن قلت ماذا أعنى ؟ .. انى أعنى أنه زعيم ولد لكى يكون زعيما .. صنعته فى الحياة هكذا .. خلق لانتقاد هذه الأمة .. انه ألزم شىء الى هذا الشعب فى هذا الوقت .. انه الشىء الذى يفتقده الشعب .. فلا يجده... هل عرفت ماذا أعنى بالزعيم ؟ .
- تكلم .. تكلم .. الظاهر أنك تعنى شيئا آخر يختلف تمام الاختلاف عما طبع فى ذهنى .. قل ماذا تعنى بالزعيم أيضا ؟ ١ ؟
- الزعيم الذى لا يريد أن يكون زعيما .. ولا يأبه أبدا أن يقول الناس عنه زعيم .. انه يؤمن بأن له رسالة يؤديها .. وهدفا يقصد اليه .. وأغراضا يسعى لتحقيقها .. وقد أهله الله لتأدية الرسالة .. وهياه للوصول الى الهدف .. ولتحقيق الأغراض .. لقد وهب له من المواهب ما يجعله يؤدى رسالته ببسر واخلاص .. ويشعر من قرارة نفسه .. ومن طريقة خلقه .. ان ذلك هو عمله يؤديه بلا تكلف وبمهارة وثقة وبلا اعوجاج أو خلط .. كالموسيقى الموهوب أو الشاعر الملم لا جهد فى عملهما ولا مشقة ولا تكلف .. بل يفعل عمله وهو يشعر أنه لا يستطيع أن يفعل سواه .. أفهمت ؟ .
- أجل .. كدت أفهم .. انه الأمنية الضائعة التى يفتقدها هذا الشعب

التعس .. انه الراعى الصالح الذى يفترقه هذا القطيع الضال .. انه النجم الهادى الذى يبحث عنه هذا الشعب الشارد فى بيداء التعاسة .

- لقد فهمت تماما .. انه القيم الذى يحتاج اليه القصر فى معشر أوغاد .. والوصى الذى ينشده اليتامى فى فيض من السفلة ... انه قطرة الماء التى تتلف عليها الأمة اليتيمة الظمأى فى مأبئة اللثام .. انه الحجر الدافىء اللين الذى تريد أن تسند اليه رأسها بعد طول سهر وانهاك .

- عرفت يا أخى عرفت .. أنا نفسى كنت بفراط حاجتنا اليه عندما كنت حيا ، كنت أحس أن الشعب يريد أن يكون انسانا .. انسانا أهلا لحبه .. انسانا يبادله الحب والوفاء والاخلاص .. انسانا يلتف حوله ويهتف له .. ويمجده ويرفعه الى عنان السماء .. ويشعر فى قرارة نفسه .. ان هذا الانسان أهل لكل هذا ، وأنه يستطيع أن يسلم له قيادة ويترك له عنائه ويتبعه أينما سار .. ويفعل كل ما يأمره به . ان الشعوب جبلت على هذا .. على أن تتبع كل هاد خلق للهداية ، وتحب كل زعيم محبوب خلق للحب .

- وهل وجدتم هذا الزعيم الذى أعنيه ؟ .

- وجدناه ؟ . لو كنا وجدناه .. أفكانت حالنا قد صارت الى ما هي عليه ؟ ان سبب ما أصابنا ، هو أننا لم نجده .. هو أن الله لم يمن علينا به . لقد كنا اذا ما أصابتنا الملمة وراء الملمة ، والمصائب وراء المصائب ، نجلس نفكر فى الحل .. وآخرتها ؟ ما آخرة كل هذا ؟ . ما آخرة هذا الفساد الذى تسرب فى كل نواحي حياتنا ؟ ! ما آخرة هذا الانحطاط الذى بدا فى كل مظاهرنا وبواطننا ؟ . انحطاط وفساد فى كل فئة وفى كل ناحية .. انحطاط وفساد فى الفرد والمجموع .. فى الكبار والصغار .. فى التعليم والخلق والاقتصاد والسياسة .. لقد انهارت المثل

العليا ، وأضحت الأنانية والخسة والوضاعة والنفعية تسيطر على الأذهان والأعمال والتصرفات .. أضحي طابع كل عمل هو الفساد والتراخي والاهمال والفائدة الخاصة ، وكل انسان يتحدث عن هذا ويعترف بهذا وينغمس في هذا . وبعد كل هذا يبحث بالكلام عن دواء للعلّة وعلاج للداء .. لا حديث للناس .. الا كيف ننقذ هذا البلد ؟ ! وأى نوع من أنواع الحكم يصلحها .. الحكم البرلماني عاجز .. والانتخابات سخرية .. والحرية يساء استغلالها من جانب المحكومين ... والحكم العرفي يساء استغلاله من الحكام ... الشعب رديء والحكام أردأ ... ما العمل ؟ من مجبرنا من هذا التدهور ... ومن منقذنا من هذه المرارة ، من مجبرنا من هذا التاجر المستغل والبائع السارق وصاحب الأرض النهم الشره ؟ ! ومن مجبر هؤلاء من العامل الكسّان عديم الخلق ؟ ! من مجبر الطالب من المعلم الجاهل ، والمعلم الجاهل من الطالب السافل الذي لا يحترم معلما ، ولا ناظرا ؟ ! من ، ومن ، ومن ، ومن ، وأخيرا يتركز الجواب في كلمة واحدة .. زعيم صالح .. يجبر البلد من نفسها ومن أشرارها وتجارها وسفلتها من محكومين وحكام ، أجل ان كل حل مآله الى زعيم يأخذ بيد هذا البلد فيقبله من عثرته ويرفعه من كبوته .. زعيم حق .. زعيم بالفطرة .. وليس زعيما .. بالتوريث .

- زعيما بالتوريث . ماذا تعنى ؟ .

- أجل .. ورطته الظروف .. مات سلفه فوجد نفسه قد تورط مكانه وورث زعامته .. أغمض عينيه ثم فتحها فاذا هو زعيم .. واذا الناس من حوله يدعونه زعيما ، ولم يملك هو الا أن يوافقهم على ذلك .

- وماذا حدث له ؟ .

- حدث له ما حدثتك عنه سابقا .. مما يحدث لكل جسد لا يلائم

روحه .. ارتباك .. و خلط .. وسخريات .. هو فى ناحية والزعامة فى الناحية الأخرى ، ومع ذلك يأبى الناس الا أن يربطوا أحدهما بالآخر .. هو رجل عادى يحب ما يحب الرجل العادى ويفعل ما يفعله الرجل العادى ، والذى اذا ما فعله بوصفه رجلا عاديا يصير أمرا عاديا لا غبار عليه .. ولكنه عندما يصدر منه ، وهو متورط فى الزعامة يضحى أمرا غريبا مضحكا ، ومخدلا مشينا .. وهكذا يذهب الزعماء بالتوريط ضحية مورطيههم فى الزعامة ، ويظل الشعب يعدو وراءهم حائرا .. يضحك تارة ، ويجد تارة .. كما يعدو الصبية خلف المجاذيب والمخابيل .. ثم ينتهى به الأمر الى أن يفقد ثقته بالزعامة وبالمثل العليا .. وبالقِيم الطيبة .. ويفقد ثقته بكل شيء ويدورح تائها ضالا .. خابطا فى الفساد والانحطاط والسفالة .. وبين آونة وأخرى عندما يحس بفرط الانهاك والتعب .. يصيح صيحة غريق أوشك على الهلاك : أما من زعيم ؟ ! أما من منقذ ؟ ! ثم تذهب صيحاته مع الرياح ... دون سميع ولا مجيب .

ليحمد الله اذاً ! .

- علام ؟ .

- لن تطول صيحاته أكثر من ذلك .. لن تطول استغاثته .. فعما قريب يجد السميع المجيب .

- متى ؟ !

- عندم تأذن .. عندما تسمع وتهبط هذا الجسد الذى ينتظر .. عندما تدفع الحياة فى الزعيم المنتظر .. الزعيم بالفطرة .. لا بالتوريط .

- ولكن من قال لك انى سأسمع بالهبوط ؟ .

- من قال لي ؟ .. بعد كل تلك المحاضرة .. عن حاجة الشعب الى منقذ والى زعيم ... تأبى الهبوط ؟ ! .
- ومالى أنا والشعب .. لينقذه غيرى ! ! .
- أيها الأنانى ؟ .
- لا داعى للشنائم .. انى لا أحس بدافع قوى لانقاذه لقد أخذت دورى فى التعاسة .
- يا أخى أرجوك ! ! كف عن هذا العناد ! .
- ما زلت مصرا على رأى .. اشرح لى تفاصيل حياة الزعيم الجديد .. حياة الزعيم بالفطرة هذه .
- ألا يكفيك أن تكون منقذا لشعب ؟ ! .
- لا يهمنى الشعب كثيرا .. أنا أعرفه خيرا منك ... منك المهم انقاذ نفسى أولا .
- نفسك أولا ؟ ! .
- أجل .. ليس لدى مانع من انقاذه ، ولكن ليس على حساب شقائى وتعاستى .. اشرح لى حياتى أولا حتى أكون - كما قلت لك - على بينة .
- ولكن .. لقد انتهى الوقت .. لقد أضعنا كل ما تبقى لنا فى محاضرتك عن الزعيم الأسمى والزعيم المتورط .. هيا أرجوك .. اهبط الآن .. ثم نتفاهم بعد ذلك .



- بعد ذلك ؟ ! ماذا تظننى ! أبله ... أم حمارا ؟ ! لن أهبط الا بعد  
أن أقتنع بحياتى القادمة تمام الاقتناع .

- الوقت أزف .. انتهى .

- لا يهمنى .

- ولكن ما العمل ؟ ! أندع الزعيم هكذا .. معلقا على باب  
الحياة ؟ ! .

- هذا ليس من شأنى .

- الزعيم ! ! الزعيم الذى يحتاج اليه الشعب .. وتلهف عليه  
الامة .. الزعيم الذى تتعلق بحياته الملايين .. تتركه هكذا يموت  
« فطيس » ؟ ! .

- ولماذا نتركه يموت « فطيس » ؟ ! .

- لأن موعد ولادته حل .

- أجلها .

- أجلها ؟ ! كيف ؟ .

- كما يؤجل كل شىء .

- لا ... لا ... ان مواعيدنا تتم بالدقيقة والثانية .. ثم ان هذه ليست  
ولادة شخص عادى .. انها ولادة زعيم . من المستحيل تأخير نزوله ..  
ان حياته ملك الشعب .

- يا سيدى .. نصف ساعة .. أو ساعة .. لن تؤثر كثيرا فى  
الشعب .

- وماذا ستفعل خلال هذه الساعة أو نصف الساعة ؟ .
- تقص على تفاصيل الحياة .. حسناتها وسيئاتها .. تعاستها وسعادتها .. آلامها ولذاتها .
- وبعد ذلك ؟ .
- أوازن أنا .
- وبعد أن توازن ؟ .
- أختار .. الهبوط فى بطن زنوبة ، ويدى عيوشة . أو الصعود على ظهر السحب بين يدى الله .
- وهذه المسكينة التى تكاد تهلك صراخا ؟ .
- دعها تنام حتى نتفاوض ونتفق .
- حسنا .. سأسير معك حتى النهاية .. ماذا تريد أن تعرف ؟ !
- قل لى أولا .. ماذا سيحدث لى عندما أهبط الى جسد الوليد ؟
- ماذا سيحدث لك ؟ ! أهذا سؤال ؟ .
- أجبنى .. إن مهمتك هى الأجابة .
- سيحدث لك ما يحدث لكل وليد .
- أتعنى أننى سأصبح وليدا ؟ .
- بالطبع .
- وأرضع ؟ .
- طبعاً .. ماذا تظنك تفعل .. تأكل كباب ؟ !

- أنا أرضع ؟ ! ألقم ثدى الست زنوبة هكذا عاريا بلا خجل ولا حياء ؟ ..
- وعلام الخجل والحياء ؟ ! انها أمك .
- وسأصرخ هكذا وأفعل كما يفعل كل الأطفال ؟ .
- طبعا .
- يا للخجل والكسوف ! ! .
- أرجوك ...
- وسيهزوننى حتى أنام ؟
- اسمع .. اذا كنت تنوى اضاءة الوقت فى مثل هذه الأسئلة السخيفة فلن أجيب عليك .. قلت لك انك ستكون وليدا .
- ولكنى أعرف أنى سأكون زعيما !
- ستكون وليدا قبل أن تكون زعيما .
- أليس هناك ميزة للوليد الزعيم ؟ .
- لا .. الوليد الزعيم .. يتساوى مع الوليد غير الزعيم .
- لا بأس .. أستطيع أن أحتمل فقد " " فترة الطويلة بأى حال ..
- ولكن ...
- لكن ماذا ؟ .
- هل سأستطيع التحدث ؟ !
- كيف تستطيع التحدث .. ان مواهبك وقدرتك ستكون محدودة

بالجسد الذى ستحل فيه .. فكيف تتحدث بلسان الرايد .. الذى لا يستطيع  
الا الواوأة ؟ .

- وكيف اذا سأفاهم معك .. اذا ما احتجت اليك ، أو أردت  
ارشادى ؟ .

- معى أنا تستطيع التفاهم كما تشاء .. سأهبط اليك كلما سنحت  
الفرصة .. فرصة موت أو ولادة . أو فرصة فراغ أقضيها معك .

- وكيف استطيع التفاهم معك ، وأنا - على حد قولك - لا أعرف  
سوى الواوأة ؟ ! هل تجيد أنت فهم الواوأة ؟ .

- عندما تفاهم معى .. ستفاهم بروحك .. وعندما تتعامل مع  
البشر ستعامل فى حدود جسدك وفى حدود قدرته .. هل علمت  
ذلك ؟ .. مفهوم ؟ .

- مفهوم .

- هل لديك ما تود الاستفسار عنه بعد ذلك ؟

- طبعا لدى الكثير . اننا لم نزل بعد فى البداية .

- سل وانته بسرعة .

- عرفنا أن زعامتى ستكون فى ولادتها وطفولتها كبقية خلق الله  
الذين لا يتمتعون بالزعامة .. وقبلنا هذا .. ما دام لا بد من قبوله .. ماذا  
عن المهور الذى يليه .. طور الصبا والتلمذة ؟ .

- ماذا تريد أن تعرف عنه ؟

- أريد أن أعرف بعض التفاصيل عن حياتى فى هذا المهور ...

وبعض المزايا التي سأتمتع بها ... والخوارق التي تظهر على يدي .

- خوارق ؟ .

- أجل .. بعض خوارق النجابة ، ومعجزات النبوغ التي سأتمتع بها بوصفي زعيما صغيرا ، والتي سنكشف عن بداية الزعامة .

- اسمع يا أخى .. الظاهر أنك حسن النية بعض الشيء ، ولكن لكيلا تضيع الوقت في الأخذ والعطاء ، أقول لك باختصار أنك ستكون في هذا الطور مخلوقا طبيعيا جدا ، بلا خوارق ولا معجزات ... ستكون مجرد تلميذ عادي بلا مخائل نبوغ ولا امارات عبقرية ، مفهوم ! تلميذ عادي جدا ، أو أقل من العادي ..

- هكذا ! ! الظاهر أنك أنت الحسن النية ، زعيم لا يبدى في التلمذة أى ضرب من ضروب النجابة والنبوغ ، ولا تبدو منه خوارق ولا معجزات ؟ الظاهر أن زعيمك هذا من نوع زعمائنا ، الزعماء بالتوريط .

- بل زعيم مطبوع مخلوق للزعامة .

- وليس عليه مخائل نبوغ ، ولا نجابة ؟

- أجل .

- ولا يقفز مثلا ثلاث سنوات دراسية في سنة واحدة ؟

- لا .. لا .. ليس له في القفز أبدا ، هو لا يعرف هذه الأعمال الطرزانية البهلوانية .

- ولا يكون مثلا الأول في كل امتحان يتقدم اليه ؟

- أبدا .. مرة يكون الأول ، وعدة مرات يكون فى المنتصف ، وقد يرسب مرة وينجح فى الملحق مرة ، تلميذ عادى جدا .

- ما هذا ؟ ! هذا زعيم هزؤ جدا . الزعماء على الأقل يكونون دائما فى دراستهم الأوائل ، ويحكى حكايات عن نبوغهم ونجابتهم فى صغرهم .

- على أية حال .. اطمئن .. عندما يصبح زعيما سيحكى عنه ما حكى عن بقية الزعماء ، وسيلصق به الكثير من المفتريات عن وقائع نجابته ، وسخترع عنه ما لم يفكر أن يفعله .

- هكذا ؟ !

- أجل ... أجل ... كل هذه أشياء ستنسب الى شخصه فيما بعد .

- اذا سأكون برغم زعامتى ، تلميذا عاديا ، متوسط الذكاء ؟

- بل قليله ، أعنى قد تكون غبيا ، لا تحزن ، ولا تبتئس .. العبرة بالنهاية .

- نهاية ؟ ! نهاية الشؤم ، ما علينا ، لننتجاوز عن هذه الرحلة المخزية ، ماذا بعد ذلك ، ماذا سأفعل بعد هذا ؟ ماذا سأفعل بعد أخذ البكالوريا ؟ .

- اسمها الآن التوجيهية .

- لا بأس .. سمها ما شئت ، ماذا سأفعل ؟ أى نوع من المهن سأكون ، قائدا عسكريا أم محاميا مفوها وخطيبا سياسيا ؟

- لا هذا ، ولا ذاك .

- ماذا ؟ ! الزعماء عادة يكونون أما من رجال الجيش واما من رجال القانون ، ومعظم الزعماء عندنا خاصة كانوا من رجال القانون .
- قلت لك لا هذا ولا ذاك .
- ربما تقصد أن أكون أدبيا من فطاحل الأدباء الذين يقودون الرأي العام بقلمهم ؟ .
- ولا ذاك أيضا .
- حيرتني حيرك الله ، ماذا يا ترى ؟ تذكرت . أجل .. أيها الخبيث ، لا بد أنى سأكون طبيب أطفال .
- ولا هذا .
- انن أين سأذهب بعد البكالوريا ؟ .
- لن تذهب ، لأنك لن تأخذ البكالوريا .
- لن آخذ البكالوريا ؟ ما شاء الله . الظاهر أن زعيمك هذا سيكون من زعماء القمصان الزرق .
- ومن يكون هؤلاء ؟ .
- جماعات كانت تعسكر فى خربات القاهرة ، وكانت تسكن خياما كخيام عمال الشوارع أو التنظيم .
- لا ، لا ، حاشا لله .. ان زعيمنا رجل عاقل محترم .
- كيف يكون كذلك ، وهو سيسقط فى الامتحان حتى يطرد ؟ .
- من قال هذا ؟

- ألم تقل الله لن يحصل على البكالوريا ؟ .
- أجل قلت ذلك .. ولكنى لم أقل انه سيسقط حتى يطرد .
- أذا ما السبب فى عدم أخذه البكالوريا ؟
- وفاة أبيه وعجزه عن دفع المصروفات واضطراره الى التوظيف ببضعة جنيهات كى يعول أمه وخمسة من الاخوة زغب الحواصل .
- ما شاء الله ! ! أما حياة ! ! اسمع .. قل الحق .. هل سلطك على أحد ؟ .
- سلطنى عليك أحد ؟ ماذا تعنى ؟
- اعنى انه ربما كان لى بعض الأعداء .. يريدون النكايه بى وارجاعى الى الدنيا وأنهم استغلوك لخديعتى والتغريب بى !
- أية خديعة وأى تغريب ؟ ! أنا مغرر خداع ؟ .
- العفو .. تعرض على حياة زعيم .. ثم يظهر أنه سيكون كاتباً بلا اتمام التعليم الثانوى .. لينفق على أمه وخمسة من أخواته .. ما شاء الله .. وزعيمك هذا سيكون له وقت لشواغل الزعامة ، بعد اطعام أمه وتربية زغب الحواصل ؟ .
- شواغل الزعامة ؟ .
- أجل ! شواغل الزعامة .. أليس زعيماً ؟ ! متى تنوى مخاض الزعامة فى الظهور ؟ متى ينوى صنع المعجزات ؟
- ما زال الوقت مبكراً على الزعامة .. انه فى هذه الفترة سيكون منهمكا فى حياته المضنية ، مشغولاً بفقره وتعاسته وحرمانه .. يحاول



أن يفعل المعجزة الطبيعية التي يفعلها بقية الشعب ، وهى اطعام الخمسة أطفال وأمههم وابواؤهم وقضاء حوائجهم ببضعة الجنيهات التى يتناولها أول الشهر .

### - وهل تنجح المعجزة ؟

- الى حد ما ، يمكنه هو وبقية التعسفين من البقاء على قيد الحياة ، وفى الوقت نفسه يمتلئ صدره بالمرارة ، وهو يجد نفسه سائرا فى قطيع ضال لا أهداف أمامه ولا قائد له .. يسير مطأطأ الرأس ، ذليل النفس ، مفعما باليأس والبؤس ، يفكر كما فكر أفراد القطيع .. ما النهاية ؟ ما الآخرة ؟ وفى سكون الليل كان ينطلق فى تفكيره الملىء باليأس والتعاسة والبؤس .. ثم يسكت ، يسكت . وأخيرا يستطيع بعصارة ذهنه وخلاصة روحه وقلبه أن يكتب كتابا .. يسلمه الى أحد الناشرين فيقدم على نشره .

- فهمت .. قل هذا يا أخى من الأول .. كأن هذا الكتاب اذن بداية الزعامة ؟

- بل بداية السجن .

- ايه ؟ ماذا تقول ؟

- مالك تصرخ هكذا ؟ .. افزعتنى .. أقول لك بداية السجن .

- سجن ؟ ! أنا سأسجن ؟ ! لا .. لا .. حد الله بينى وبينك ، قلت لك .. أول الأمر لا داعى للأخذ والعطاء . سجن .. فال الله ولا فالك .. بعد تلك الحياة الماضية التى لم أدخل فيها قسم بوليس تريد أن تدخلنى السجن ، يقول لى انى زعيم .. لا .. لا يا عم .. السلام عليكم .

- يا أخى اصبر .. ما هذه الضجة التى أحدثتها .. لقد كدت توظ  
أمك .

- أمى ؟ .

- أجل ! أمك زنوبة .

- قلت لك .. لا داعى لأن تقول انها أمى ، لأننى لم أقبل أمومتها  
بعد وان قبلت فان أول شرط سأشترطه عليها عندما أستطيع النطق هو  
أن تغير اسمها .. باسم محترم بعض الشيء ، أو على الأقل تكنى عنه  
بأى شىء آخر ، وليكن مثلا أم عبده .. ألم تقل ان اسمى عبد الحليم ؟ .  
- أجل .. عبد الحليم أبو رابية .

- وأبو رابية هذا أيضا لا يعجبني كثيرا .. كيف يهتف لى الناس ..  
لن يكون متافهم رنانا موزونا .. ماذا سيقولون ؟ فليحيا أبو رابية .. نحن  
فداؤك يا أبا رابية .. نموت ويحيا أبو رابية ، لا ، لا ، هذا اسم لا يصلح  
للزعامة . على أية حال سأعرف كيف أتصرف فيه .

- تتصرف فيه ؟

- أجل ! ألن يصبح اسمى .. وأكون حر التصرف فيه ؟

- وماذا ستفعل به ؟ ! .

- سأقول ان نسب العائلة الكريمة لا صلة له بهذا الاسم من قريب  
أو بعيد .

- أى عائلة كريمة ؟

- ألم تقل لى أنى عندما أصبح زعيما سيلصق بى الناس أشياء لا تمت لى بصله ؟

- أجل .

- وسيكون منها أنى كريم الأصل محسب منسب ؟

- محتمل .

- اذأ فسأقول ان أبا رابية هذا اسم نخيل على العائلة المحسبة المنسبة وأطرده شر طردة .. وأسمى نفسى خورشيد أو شريف .. أو نوبار .. أو أى من هذه الأسماء الأصيلة .

- ولكن لا يمكنك فعل هذا .. إياك .

- ولم ؟

- لأنك أولا زعيم شعبى ولا بد أن يكون اسمك شعبيا .

- وثانيا ؟

- لأن اسم أبى رابية هذا هو الذى سيخلد فى التاريخ سيصبح كقابليون وغاندى ومصطفى كمال .

- عبد الحليم أبو رابية ؟ ! لا أستطعمه أبدا ... لا عبد الحليم ولا أبو رابية .. على أية حال .. ليس هذا وقته .. يحلها ربنا فى المستقبل .. ماذا كنا نقول ؟ ! أجل .. كنا نتحدث عن أنك تنوى ادخالى فى السجن .

- أنا لا أنوى شيئا . وليس لى بك شأن .

- من اذن الحمار الذى سيدخلنى السجن ؟

- أنت .. أنت وحدك الذى ستزج بنفسك الى السجن .
- اذا كان الأمر لى وحدى فاطمئن .. أنا رجل مسالم ولن أدخل السجن أبدا .
- ستدخله كعبد الحليم أبو رابية .. وليس كنفسك أنت .
- والله ... كعبد الحليم أبو رابية .. أعتقد أنه قد يصلح مسجوناً عادياً .. ولكن ليس زعيماً مسجوناً .
- سيكون سجنك بداية الزعامة .
- يا له من ثمن باهظ .. من أجل الزعامة .. ولكن لا بأس .. إذا لم يكن من السجن بد .. فلا مفر من احتماله ما دام سنتهى بى الى هذه الزعامة .. كم سنة سأمكث فى السجن ؟
- أربع سنوات .
- أربع ايه ؟
- سنوات .
- أربع سنوات مرة واحدة .. تريدنى أن أقضى فى السجن أربع سنوات ؟
- ماذا كنت تظن اذن ؟
- شهراً .. شهرين .. ثلاثة أشهر .. أربعة أشهر بالكثير جداً ... لا .. لا ... اعفنى وحياة والدك .. دعنى أعود .. أنا لم أعود هذه المهانة .. لست وجه مسجون .
- يا أخى كن عاقلاً .. ستمر السنوات الأربع كأنها أشهر أربعة ..

كل شيء يمر كلمح البصر .. ألم تر حياتك السابقة كغمض العين :  
- أى والله .. مرت وكأنها لم تمر ، وكأنى ما زلت ألعب فى جوار  
جنينة ناميش .

- ألم أقل لك كله يمر .. حتى أربع سنين فى السجن ؟  
- ولكن كيف سأقضيها ؟ ! كيف سأبدو فى لباس السجن والرأس  
الحليق .

- ستبدو كبقية المسجونين .  
- كيف ؟ لا لابد أن أظل محتفظا ببعض الوجاهة التى تميزنى عن  
بقية المسجونين .

- وجاهة ؟ ! ومن أين لك هذا ؟  
- الوجاهة الأصلية التى ستكون عليها خلقتى .  
- من قال لك انك ستكون وجيها ؟  
- لن أكون وجيها ؟  
- بالمرّة .

- لا .. لا .. ليست هذه هى الزعامة المطلوبة .. هذه زعامة فاشلة  
جدا .. لقد كنت أعد نفسى وجيها وأنا مجرد صعلوك فى حياتى  
السابقة .. فما بالك وأنا زعيم ؟

- ستكون عاديا جدا ... ستكون على نفس القبح الذى عليه بقية  
شعبك الكريم .

- كنت أفضل أن أكون زعيما وسيما .

- قسمنتك .
- ولكن ...
- ولكن ، ماذا ؟
- كيف يكون حالى مع النساء ؟ أعنى ما مدى نجاحى فى ميادين الغرام ، وأنا لا أملك شيئاً من الواجهة ؟
- اطمئن .
- كيف ؟ .
- لن يكون لك أية صلة بهذا الميدان .
- ماذا تقصد ؟ .
- أقصد ، أنه لن يكون لك فى النساء .
- يا نهارك أسود .
- مالك ؟
- ليس لى فى النساء ؟
- أجل .
- عد بى الى السماء .. عد .. هيا .. لا داعى للمناقشة . اليك زعيمك ، اشبع به ، لست فى حاجة اليه أبدا .
- لم كل هذا .
- حياة بلا نساء ، يعنى حياة فارغة ، يعنى لا حياة ، أرجوك عد بى الى السماء ، على الأقل هناك أمل فى الحوريات .

- حوريات ، لك أنت ؟ ! ! الحوريات فى الجنة ، وأنت لن تبصر الجنة بعينيك .

- اذا لم تكن حوريات الجنة ، فغانيات الجحيم ، وانى لأراهن خيرا وأفضل ، فهن أسهل منالا وأخف دما ، ولا شك أن الجحيم سيعج بهن .. عد بى الى السماء .. عد .. لعن الله حياة زعيمك الفارغة .

- فارغة ! من قال انها فارغة ؟

- ماذا يمنعه ويدفع الحمية فى رأسه والنشوة فى قلبه ؟ أى حياة أفرغ من حياة انسان ، ليس له فى النساء ؟

- لن يكون فى حياتك فراغ يفكر فيه فى النساء .. ان كل حياته مشغول بالعمل من أجل وطنه والتفكير فى انقاذ شعبه .

- وهكذا ! !

- أجل ، هكذا . ان هذا من فضل الله عليه ، ما جعل الله لامرئ من قلبين فى جوفه ، وقلبه هو ملئ بأتمته لا يشاركها فيه أحد ، انه زعيم مثالى .. كل مشاعره وأحاسيسه وجهوده وتفكيره من أجل قومه .

- اذا قلن يحس بأنه محروم شيئا ؟

- أبدا .

- .ولن يتطلع الى الغيد تطلع العاجز المحروم ؟

- أبدا ، أبدا ، لن يشعر بحاجته اليهن قط ، لن يشغلن ذرة واحدة من تفكيره ، ولن يكون لهن عليه سيطرة ولا توجيه .

- هذه والله مسألة تستحق إعادة النظر . تقول انهن لن يكن بذوات  
تأثير عليه ؟

- أجل .. سينظر اليهن نظرة المستغنى المرتوى .

- ولن تضعف ارادته أمامهن ؟

- أبدا .

- ولن يؤثرن عليه بعيونهن أو شفاههن أو نهودهن أو أردافهن ؟

- مطلقا .

- يا سلام . هذا والله واق عجيب من مصدر كبير للتعاسة ... أنا  
أعرفهن جيدا .. سلنى أنا عنهن ، انهن حقا ممتعات ولكن ليس وراءهن  
غير المصائب والبلايا ، بقدر مت يهين لك متعة يردنها لك ألما ..  
اسمع .  
- نعم .

- موافق على هذه الناحية ، هذا الجانب من الزعامة مقبول  
ومعقول ، فما حطم الزعماء كالنساء ، ولا سيما محدثات الزعامة  
منهن ، وزعيمنا هذا لاشك ناجح ما دام له من النساء واق ، أو ما دام  
زعيم مضاد للنساء ، يحب ابعاد النساء ما أمكن عن الحكم والسلطان ...  
فهن مهما تلقين من الثقافة والعلم قليلات عقل ، سخيفات تفكير ، سيئات  
تدبير ، ورحم الله أجداننا عندما كانوا لا يستعملوهن الا رفيفات فراش ،  
خادمات دور ، مربيات بنين وبنات ، ذلك هو دورهن الذى يجب ألا  
يتجاوزنه . على أية حال لا داعى للحديث عنهن الآن ، فما عاد لى بيهن  
شأن ما دمت أوشك أن أحل فى جسد زعيمك .



- اتفقنا اذا ، ستهبط فى جسده ؟
- انتظر .
- أنتظر ماذا ؟
- لم أسمع بقية المعلومات .
- أسأل أرجوك ، ودعنا ننته .
- عرفنا عن زعيمك ، القليل الأصل ....
- قليل الأصل ؟ . ما هذه الوقاحة ؟ !
- أليس قليل الأصل ؟ . ابن زنوبة وأبو رابية وليد شارع التلول بالسيدة ، وقبيح الشكل ، زربيب سجون ، وليس بعد كل هذا قليل الأصل ... لاتغضب ، سأسميه رفيع المقام من شارع التلول .
- كفى سخرية ، وادخل فى الموضوع .
- كنا نقول عن زعيمك عبد الحليم انه دخل السجن بعد أن ألف الكتاب المنحوس المعروف . وأنه ليس له فى النساء ، ماذا سيفعل بعد ذلك ؟ !
- سيقضى مدة السجن فى القراءة والدراسة .. وسيعرف كل شىء عن نظم الحكم وتطوره ، وعن حركات الانقلاب ، وتواريخ الزعماء ، وأسباب انهيار الأمم وعلل فسادها ووسائل علاجها وتطور نهضتها .
- كل هذا يقرؤه فى السجن ؟ !
- أجل .
- وبعد ذلك ؟ .

- يخرج من السجن ، ونفسه مليئة بالسخط والمرارة وذهنه مليء  
بالمشروعات الضخمة وجلائل الأعمال ، وقد خرج من كل ما لاقى  
وأحس وجرب ، بفكرة واحدة هي أن هذا البلد بلغ من الانهيار نهايته ،  
وأن شيئا ما لابد أن يحدث ، انفجارا ، أو تحولا ، أو انقلابا ، وأن كل  
ما قرأه من تواريخ الأمم ، والزعماء ، ينبئ أنها بلغت حدا يجعلها في  
انتظار حادث جلل .

- مفهوم ، مفهوم ، هذا شيء كنا كلنا نردده ، لم يأت هو بشيء من  
عنده .

- انتظر يا أخى لا تتسرع .

- انتظرت ، قل ماذا سيفعل بسلامته ؟ .

- يجد أن الأمة في انتظار حادث جلل ، وهذا الحادث الجلل الذى  
سيغير حالها إما أن يكون فى صورة ثورة عاتية عارمة تأتى على الحرث  
والنسل وتودى بالأخضر واليابس وتسلم مقاليد الأمة من كبار فجارها ،  
الى صغار أشرارها ، وتقذف بها وراء المذنبة مئات الأعوام ، وتنتقل  
عمليات السرقة والسلب والنهب من اللصوص المتخومين الذين شبعوا  
الى اللصوص المحرومين الذين لم يشبعوا وتتقاذف الأمة الأتواء بين  
الجهال الطامعين ، ونصبح كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا .

- هذا أمر .

- والأمر الثانى ، هو أن تبدأ بها حركة اصلاح قوية راسخة متينة ،  
تمسك البلد من أسفله .

- ماذا تعنى بأسفله ؟

- تصلح الشعب نفسه .
- والحكام ؟
- قلت ان هذا النعل من ذاك ، وهؤلاء الحكام من هذا الشعب ، فاذا صلح صلحوا ، واذا لم يصلحوا ركلهم الشعب بطرف حدائه بعد أن كانوا يدرسون على عنقه بأحدثيتهم .
- اذا فصاحبك الزعيم سيبدأ باصلاح الأمة من أسفل ؟
- أجل .
- ما شاء الله ، مت يا حمار حتى يجيء لك العليق .
- ماذا تعنى ؟
- أعنى أن صاحبنا لن يتمتع بزعامته قط فى حياته ، ولن يرى لها أثرا ، فاصلاح حال هذا الشعب عملية تحتاج الى أجيال وأجيال .
- أبدا ، أبدا .. انه سيبدأ بها على نطاق ضيق ، يجمع حوله بضعة أفراد ويرشدهم الى تعاليمه المخلصة الأمينة ، ويبث فيهم دعوته الصالحة الطيبة .
- كما يفعل الأنبياء ؟
- شئ أشبه بذلك .
- وهل سيصدقه الناس ويؤمنون برسالته ؟
- هنا تظهر قيمة الزعيم ، وطريقة خلقه ، وقدرته المطبوعة .. ان ايمان الناس وعدم ايمانهم ، يتوقف على أصالة الزعيم وعدم أصالته .. أخلقه الله زعيما ، أم هو مدعى زعامة ؟

- اذا فسيؤمن الناس بدعوته الى الصلاح والجد والاستقامة والعمل الصالح .

- ايماننا قويا ، سريعا ، وسترى دعوته مسرى النار فى الهشيم .  
- أنت تذكرنى برجل كانت له نفس البداية .. ولكن لم يستمر حتى النهاية ، لأنه تحول وتعجل وتسرع .

- لا ، لا ، زعيمنا هذا ليس له شبيه فى معشركم ، انه نسيج وحده ، انه زعيم حقا . ان دعوته ستتعدى نطاقها الضيق الى محيط أوسع ويلتف حوله الناس زرافات ووحدا فى تأخذ فى تنظيم حركته ويبدأ الاصلاح من أسفل ... اصلاح الجموع والجمامير .. وييث فيمن حوله أن يبتدئوا بأنفسهم وأن يصلح كل تابع له نفسه أولا ويطهرها قبل أن يطالب بتطهير غيره أو المجموع ويغرس فى قلوبهم الايمان بالله وبالوطن وبه ، ويدفعهم الى الاخلاص فى عملهم مهما حقر وضؤل ، وفى فترة وجيزة يصبح مسموع الكلمة نافذ الرأى .

- وماذا بعد ذلك ؟ ! ماذا يفعل به الحكام والمسؤولون وماذا يكون موقفهم ازاءه ؟

- يتخوفون منه .. ويخشون تضخمه .. ويأخذون فى محاربته ، ويبدأ النضال بين أنصاره والحكام .

- وينتصر الحكام طبعاً ؟ !

- لا . بل ينتصر أنصاره . ويقفزون به الى منصة الحكم .

- مرحى .. هذا شيء طيب ، شيء يشجع على القبول ستعوض أبهة الحكم ومتعة السلطان .. مذلة السجن وآلام الحرمان .. حثثى عما

يفعل وهو فى منصة الحكم ، كيف يتمتع بزعامته ؟ حدثنى عن ثرائه ومواكبه وعن الحراس والخدم والحشم ؟ حدثنى عن وسائل الرفاهية والنعمة وعن العز والجاه ؟

- لن يتمتع بها قط .

- لم ؟

- سيختلف مع العصابة من أنصاره التى اعتلت معه منصة الحكم .

- زعيم أحمق .. ليس له فى الطيب نصيب .. ولم الاختلاف ؟

- سيجد أنهم قد تحولوا بمجرد الوصول الى منصة الحكم . فأضحوا كسابقهم ، ويهرهم السلطان فأنساهم مبادئهم ، وشرعوا يفعلون ما نهوا عنه واستبد بهم الكبر والغرور ، ففتحى عنهم وعن الحكم .

- ويعود الى الشارع ؟

- بل الى السجن .

- سجن ؟

- أجل .

ويضعه أنصاره فى السجن .. اذ يدركون مدى خطره عليهم .. ويخشون أن هم تركوه طليقا أن يزلزل مقاعد الحكم بهم وألا يمكنهم من التمتع بما تمتع به سابقوهم من استغلال النفوذ والانتشاء بأبهة السلطان والتمتع بمنافعه .

- وماذا يفعل صاحبك خدن السجون ، ورب السوابق ؟

- يودع غياهب السجن .

- وماذا يفعل فى غياهب السجن ؟ ! يعود طبعا الى القراءة والتحصيل والدرس ؟ ة

- لا .. لن تسنح له الفرصة لذلك .

-- ولم ؟ ! لعلهم سيشتقونه ! !

- لا .. يثور الشعب من أجله .. وينزل عصبة الطغاة من مقاعد الحكم ويفتك بهم ثم يرفعه من غياهب السجن ويضعه على قمة الحكم .

- لم يكن يصلح معه الا هذا .. فهو ليس وجه نعمة .. لابد من وضعه بالقوة على منصة الحكم .. حتى يتمتع بأبهة الزعامة ولو بالاكراه .. حدثنى - أرجوك - بالتفصيل عن أيامه فى الحكم .. حدثنى . وتمهل فى حديثك ، كيف يبدو ؟ وماذا يفعل ؟ وماذا يقول عنه الناس ... حدثنى بامعان واسهاب عن متعته بالسلطان .

- ليس هناك ما يستدعى الاسهاب والامعان .

- كيف ؟ !

- لانه لن ير السلطان بعينه .

- لماذا ؟ !

- سيرفض .

- لمة ؟

- ألم أقل لك .. انه ليس له فى الطيب نصيب ؟ ! ألم أقل لك انه ليس وجه نعمة .. لماذا يرفض الحكم ؟ ! اذا كان الشعب بنفسه قد وضعه فيه ؟

- سيصمم على أن يظل بمنأى عنه ... حتى لا ينغمس في حماته  
وأن يوجه الحكام دون أن يحكم بل يقف للارشاد والاصلاح والتوجيه ...  
وأن يزهد في كل شيء ، وأن يرفض كل أبهة ومتعة ونعمة ، وأن يكون  
للشعب زعيما روحيا يقوده الى حياة قريرة سعيدة .

- زعيم روحى ؟ ! طلعت روحه ، وماذا يفيد هو من هذا ؟ !  
لاتقل .. راحة الضمير .. وهدوء البال وتقدير الناس وانصاف  
الشعب .. وحسن الختام .

- لن أقول لك بالطبع شيئا من هذا ..

- ولمه ؟

- لأنه .. لأن ...

- ماذا ؟ . قل !

- لأن .. مسألة التقدير والانصاف وحسن الختام هذه .. أظنها أمورا  
مشكوكا فيها !

- كيف ؟ !

- لن يعدم نفرا من المخابيل ومخالفيه فى رأى يقومون باغتياله  
وقتلته بتهمة الخيانة .

- خيانة ؟

- أجل ، هذا رأيهم .

- مدهش ! !

- والآن بعد أن شرحت لك كل التفاصيل ما رأيك ، أتزل الآن ؟ !  
لقد مضى الوقت وزنوبة تكاد تستيقظ ! !

- .....

- لماذا لا تجيب .

- ...

- أين أنت ؟ يا أخا . يا سيدنا ، أين ذهبت ؟ ! الى أين تعدو ! ؟

- ... الى فوق .. الى السماء بلا رجعة .

- وهذا الشعب المنتظر ؟ !

- ابحث له عن مغفل غيرى ، يرضى أن يكون زعيما له .

( أنا أعدو فى السماء .. وعزرائيل يطاردنى ، وزنوبة تعاود  
صراخها ، والشعب التعس ما زال فى انتظار الزعيم ) .





البحث  
عن  
جسد

## الفصل الثالث المنظر الأول

( فى القصر الملكى - حجرة الملكة فى ساعة ميلاد  
ولى العهد . المدافع تطلق فى الخارج . والهرج والمرج  
وصيحات الفرع فى الداخل . الملكة مستلقاة على  
الفراش والملك يفرك يديه فرجا . أطباء يروحون  
وممرضات يغدون . ومن هذا كله أستقر أنا فى جسد  
ولى العهد الرضيع الملقى على فراش وثيز ترمقتى  
جميع العيون بالاجلال والاكبار ، وعزرائيل يجلس فوق  
قمة أحد ، الدواليب ، واضعا ساقا على ساق وقد أخذ  
يهز رأسه ويمط شفتيه ) .

عزرائيل يبدأ الحديث :

- أخيرا .... أيها المخلوق المتعب استقر بك الحال بعد طول عدو  
وبحث وتمحيص واختيار ؟
- أجل .. أجل .. أدخل السجن مرة أخرى ؟
- لشد ما أرهقتنى .. لم يعجبك -كما يقولون - العجب ، وظللت

ترفض الجسد تلو الجسد .. حتى الزعيم قررت منه وأخذت تعدو هاربا  
منى فى السماء ... حتى اضطررت أخيرا أن أعرض عليك أقصى ما  
لدى .. وهداك الله أخيرا وقبلت أن تهبط معى فى جسد ولى العهد ...  
أراض أنت الآن ؟

- لا بأس .

- لا بأس ؟ ! أيها الطماع الناصر للجميل .. أرقذك هذه الرقعة الملكية  
السامية .. أنت .. ربيب حارة الروم ، وجنية ناميش .. أرقذك هذه  
الرقعة التى لم يكن يحلم بها أجدادك .. ثم تقول لى لا بأس .. أين كنت  
تريدنى أن أهبط بك .. الى جسد نبى ؟

- لا ... لا ... هذا أفضل .. انى لا قبل لى بحياة الأنبياء وجهادهم  
وتقشفهم وما يقاسونه فى سبيل نشر دعوتهم لقد رفضت حياة زعيمك  
ساكن التلؤلؤ من أجل هذا .

- وهربت منى ودوختنى وراءك فى السماء أيها الأحمق حتى لحقت  
بك وعرضت عليك حياة لا تجود بمثلها الا كل قرن .. حياة ملك  
مقبل ... وولى عهد مرموق .. حياة ليس بعدها على الأرض حياة .

- أتستطيع أن تعطينى فكرة سريعة عنها .

- ولمه ؟

- لكى يطمئن قلبى .

- يطمئن قلبك ؟ علام ؟

- على مستقبلى ؟ على حياتى الطويلة القادمة .

- الظاهر أنك لا تفهم وضعك جيدا .. أنت الآن ولى عهد .. أى ابن ملك ، وعندما يموت أبوك الملك ستصبح أنت الملك .

- ومتى يموت أبى ؟

- ملك تتعجل هكذا .. ما زال فى عمره بقية لتربيتك ورعايتك ... ثم ان حياتك وأنت ولى عهد ستكون حياة ناعمة هائلة فاخرة .

- خالية من كل جهاد ومشقة ؟

- جهاد ومشقة ؟ ! أمجنون أنت ؟ ! ليس فى حياتك أى نوع من المشقة .. ليس عليك لكى تعلى العرش .... الا أن يموت أبوك ... حتى موت أببك لن يكون لك فيه أى دخل ، ولن يكون لك به أى اختصاص .. انه من صميم اختصاصى ... كل شىء سيجىء لك على الطبطاب ، ليس عليك الا أن تنام فى فراشك ، وتكبر ، وتترك الأيام تمر بك ... حتى تصبح ملكا .. أرأيت شيئا أسهل من هذا ؟

- أبدا .. أبدا .. ولكن ما هذا .. انى أشعر بمغص فى معدتى .. ماذا أفعل ؟ هل عندك شىء يضيع المغص ؟

- عندى أنا .. ليس لى بك الآن أى دخل ، لقد انتهت مهمتى بمجرد انزالك فى الجسد ، واذا رأيتنى أجلس لأتحدث معك .. فهو من باب التسلى والسمر ليس غير .. ومن بابا التأكد من قيدك فى الجسد ، فأنا أعرفك « بنغزة » وقد لا يعجبك شىء فى حياتك الملكية ، فتعدو ورائى وتترك ولى العهد جثة هامدة ، والمفروض أن أتركك الآن بعد أن قيدتك فلا أعود اليك الا لأقبض روحك بعد عمر طويل ، ولكن يبدو لى أنه لا بد من النزول اليك من الآن لآخر ، اذ أخشى أن تفسد حياتك .. فروحك - فيما يظهر لى - لم تتعود السلطنة والامارة ، ولا شك أن

الفترة التى قضيتها فى ربوع السيدة ستؤثر عليك وتحاول أن تهبط بك من علياء الملكية ، وانبى لأشعر أنى قد ارتكبت مغامرة كبيرة ، ولكن ما علينا .. لقد فعلتها ، وانتهى الأمر .. على أية حال .. اذا شعرت بحاجة الى ...

- أنا لا أشعر الآن الا بالمغص .. لقد بدأت متاعب الحياة .. كنت من قبل لا أشعر بهذه الآلام الأرضية الجسدية .. مغص .. زكام .. صداع .. وكنت أظن أن الأجساد الملكية لا تتأثر بمثل هذه الأشياء الشعبية .. ولكن أحس الآن بأمعائى تتلوى من الألم .. أرجوك .. اما أن ترفع الألم .. أو ترفع روحى من ذلك الجسد الضئيل الذى حشرتها فيه .. أرجوك .

- ما هذا الهذيان ؟ أرفع الألم .. أو أرفع روحك ؟ قلت لك انه لم يعد لى بك ولا بألمك ولا بروحك شأن ...

- وماذا أفعل بهذا المغص الذى يمزق أحشائى ؟

- اصرخ .

- أصرخ ؟ ! وما فائدة الصراخ ؟

- ان الصراخ هو كل ما تستطيع فعله الآن .. اذا أردت أى شىء فاصرخ أنت .. وعليهم الباقي .

- على من ؟

- على هذا الحشد من الخدم والحشم والمرضات والأطباء .. اذا شعرت بأى شىء .. جوع .. عطش .. ألم .. مغص .. بل اذا لم تشعر بشىء .. وأردت أن تتسلى ... فاصرخ .

- آه منك أيها الماكر الخبيث .. لقد بدأ يتكشف خداعك .

- خداعى ؟ .. أنا ! ! ... بعد كل هذا الذى وضعتك فيه .. تقول هذا .

- أجل .... ضحكت على .. وقلت لى ... ملك .. وولى عهد .. وجسدك السامى .. وحياتك الملكية .. ثم حشرتني فى جسد لا يملك مدة عام سوى الصراخ .. عام كامل سأقضيه هكذا راقدا على ظهري .. أخرس .. مقعدا .. كسيحا .. رقدة تساوى فيها ولى العهد .. مع ولى الله .. أى فارق بين رقتي هنا ورقتي منذ عشرات الأعوام فى حارة الروم ؟ ! كنت أصرخ هناك .. وأصرخ هنا ...

( أبدا الصراخ فتقبل ممرضة أجنبية حسناء وتتحسننى فى رفق وتفحص اللغائف التى لف بها جسدى الضئيل ) .

- أرأيت الفارق ؟

- رأيت .

- كنت فيما مضى .. تصرخ . فتقبل عليك .. نجية . أو أم سيد .. وكان أقصى ما يفعل بك .. هو أن يهزوك هزتين .. أو يطبوك طببتين .. أو يتركوك ... تصرخ .. حتى تنفلق .. أما الآن فلا يكاد يعلو صوتك السامى حتى يتكأ عليك .. حشد من الملائكة الأرضية .. لورا .. واليزابيث .. ومس مور ... ما رأيك فى هذه التى انحنى عليك ؟ .

- مدهشة .. صدرها عجيب .. اتظن رفعته هذه طبيعية .. أم مشدودة بالحملات ؟

- حملات ؟ .. انه مرفوع خلقه .. انه هو الذى يرفع الحملات .

- عجيبة ؟ ! وطاقنا أنفها .. ما لهما ضيقان هكذا .. انهما لا تكادان  
تدخلان الشهيق أو تخرجان الزفير .. أخشى عليها الاختناق .

- لا تخف عليها .. عليك نفسك .. كيف حال المغص عندك ؟

- ( أعاود الصراخ .. فترتبك الممرضة .. ويحدث شيء من الهرج  
والمرج ) .. ظهرها بديع .. رشيق جدا .. لا أكاد أبصر لها خصرًا ..  
وكأنى برديها معلقان فى الهواء .. ما رأيك فى رديها ؟

- أتحب الأرداف ؟

- جدا .

- لعلك إذا راض الآن .. ولعلنى لم أخدعك ولم أغرر بك .

- ( أعاود الصراخ ) .. ولكن ما الفائدة ؟ ! ماذا أستطيع أن أفعل  
بأرداف الأرض قاطبة .. أو أرداف السماء .... وأنا بهذا الجسد الضئيل  
العاجز المغوص ... الذى مهما بلغت قدرته ، واشتدت سطوته  
وصولته .. فلن يزيد ما يستطيع فعله .. عن الصراخ .. تصور .. ان  
أقصى ما أستطيع أن أفعله بصاحبتنا هذه .. هو أن أصرخ فيها .. لا  
عزل .. ولا قبل .. ولا ضم .. ولا لمس .. لا شيء غير  
الصراخ ... هى والمغص عندى سواء .. ما فائدتى بها .. وأنا ملقى  
هكذا فاقد كل قدرة على التعبير ... سوى الصراخ .. لا غمز .. ولا  
ضحك .. ولا هتاف ، يا حلو ، ؟ !

- لا تتعجل يا أختى . غدا تكبر وتنمو ، وتستطيع أن تتأثر بجسدك  
ما تشاء من المتعات .

- غدا ! ! ! .. أنا أعرف ما سيأتى به الغد .... أنا أعرف ..

- ماذا تعرف ؟

- سيمضى عام ، وأنا ملقى هكذا كالكسيح بلا حراك .. الا الهز  
والحركة فى الأرجوحة . وعام آخر .. أحاول فيه السير .. وأستبدل  
بالوأوة .. تهتة .. وأنا مستمر فى حياتى على هامش الحياة .

- انى أقصد بغداد .. أبعد من هذا .. عندما تبلغ مبلغ الشباب ...  
عندما ....

- أعرف .. أعرف .. ولكنى أريد أن أعرض لك .. كيف تنبذ  
الحياة العام تلو العام .. وأنا بين فاقد الاحساس بها أو محروم متعاتها  
أو غريق فى أحزانها ؟ .

- يا أخى كفى تشاؤما وتبرما .. ان حياتك المقبلة حياة أخرى .. ليس بها  
حرمان .. ولا أوجاع ولا أحزان .. كل مطلب سيكون ملء يديك .

- هراء ...

- ستكون ملكا ؟

- ولو .

- ماذا سيقف فى سبيل مطالبك ؟

- القيود .. والسدود .

- أية قيود وأية سدود ؟

- قيود التقاليد .. وسدود الأخلاق .. والآداب .

- ومالك ولها ؟

- لا تتغابى .. أنت أدرى بطبيعة الحياة التى أعدتني إليها .. لا أكسبك الله ولا ربحك .

- أدرى بماذا أيها الوقح ... الذى لا ينفع فيه معروف ؟

- أدرى بالسدود الحائلة بين الانسان ورغباته .

- أتريد أن تهدم سدود الله وتطلق الانسان يعبث فى الأرض ؟

- لست أريد هذا .. انى أريد أن أهدم سدود البشر التى جعلت الانسان حبيس الحياة ... بدلا من تركه حرا طليقا .

- ماذا تقصد ؟ ! ما هذه النعمة الجديدة التى تتحدث بها ؟ ! أى تحرر وانطلاق هذا الذى تقصده ؟

- لا أريد من بشر أن يعين نفسه قيما على بشر .. وكل انسان مسئول عن نفسه وله أن يعمل ما يسعد به نفسه ما دام لا يشقى به غيره ... نحن جميعا نعرف أوامر السماء ، ونعرف المعصية وغير المعصية .. ونعرف كيف سنلقى الله وكيف سيقا لنا الله .. وكل انسان يعرف أنه وحده سيتحمل وزر نفسه .. فما بال أولئك البشر لا ينفكون يقيمون أنفسهم فى الجاح ولجاجة .. وسطاء بيننا وبين السماء .. يقيمون الحوائل والسدود ليزيدوا الأرض تعقيدا .

- لابد من نظم للبشر لحماية بعضهم من بعض .

- لست أقصد تلك النظم .. التى تحمى البعض من البعض .. ولكنى أقصد السدود التى تدعى حماية النفس من النفس .

دعوا النفس المسكينة فحياتها أقصر من أن تضيعها وراء السدود والقيود .. ان كثرة النظم .. نتجت عنها كثرة المخالفات والأخطاء ..



وأصبح الانسان لا يكاد يتحرك وراء رغبة من رغباته الا اتهم بوزر  
 ووجد نفسه اما أن يقف فى الحياة مكتوف الأيدي ، مغمض العينين ،  
 كأنه قطعة من الحجر .. وإما أن يكون مذنباً .. أجل .. لقد نظمت حياتنا  
 بطريقة .. تجعلنا اما أن نحيا مذنبين وإما ألا نحيا . ووسطاء السماء ..  
 وهم فى قرارة نفوسهم أخبث منا طوية .. وأكثر شراً .. لا يفتنون ..  
 ينعبون بيننا .. كالسيوم والغريان .. يحشرون أنفسهم فيما لا يعنيه ،  
 وينصبون من أنفسهم ناصحين مرشدين منظمين فى كل تافهة من توافه  
 الحياة .

- أتريد منى أنا النصيح والارشاد ؟

- أرجوك ... أنا فى عرضك .. لقد شبعنا نصحا ، وارشادا فى  
 حياتى الماضية .. ويعلم الله أنى لم أعمل به قط الا فى الظاهر .. وعلى  
 أية حال .. بينى وبين النصيح زمن طويل .. كل ما على الآن هو أن  
 أسئلكى لمدة عام كامل .. أريض .. وأصرخ ...

- لا ... لا .../لن أقدم لك نصحا .. من نصيح الوعاظ .. سأقدم لك  
 نصيحة .. لو ذكرتها وعملت بها فستفعلك طيلة حياتك القادمة ..  
 سأقدمها لك لسببين . أولهما أنى أتوسم فيك الطيبة .. وأشعر - بعد  
 الوقت الذى قضيناه معا - أنك ابن حلال ... وتستحق الخير .. وأن  
 المعروف الذى أصنعه معك لن يذهب سدى ، وأنا أشعر أننى أحببتك .  
 ويبدو لى أنك الآخر قد أحببتنى .. هذا هو السبب الأول وهو سبب  
 استلطا فى بحث .. أما السبب الآخر فهو سبب مصلحى .. فأنا أشعر  
 أننا قد اشرطنا معا فى تلك المؤامرة أو المقامرة أو المغامرة .. وهى  
 مؤامرة استيلائك على جسد ولى العهد ولست أرغب فى فشلها .. ولا  
 أود أن تتلف حياة ملك وتضيعها سدى .. ولما كنت أعتبر نفسى مسئولا

معك .. بل فى الواقع أنى المسئول الأول .. فانى أشعر أنه لابد لى من  
المعاونه فى نجاحها .. وذلك بتقديم النصح لك .. الآن ، وفيما بعد ..  
عندما يستلزم الأمر .

- قل نصيحتك وأرحنى وكفى ثرثرة .

- قبل أن أزجيها لك أود أن أفهمك انها نصيحة شخصية ، وأنى  
أعبر بها عن رأى وحدى ، وأنها مستخلصة من طول تجاربى مع البشر  
وخبيرتى فى الأرض والسماء .

- مفهوم .. مفهوم .. تريد أن تأمرنى بالبر والتقوى وتنهانى عن ..

- لا ... لا .... أبدا ... لست أريد أن أمرك بشيء أو أنهاك عن  
شيء .. لن أزعجك بشيء من هذه القيود والسدود التى قلت انها تجعل  
الانسان حبيس الحياة وأنها تعرقل بسطة العيش وتكثر من قلقه ،  
سأرفعها من أمامك كلها وأتركك ترعى فى منبسط الحياة رعى السائمة  
فى منبسط من العشب الأخضر .. انطلق فى دنياك بلا قيد ولا شرط ،  
لكى تحصل على بغيتك الأولى من العيش .. ولكن قل لى أولا ، حتى  
أكون وإياك على بينة من أمرنا ... ما هى بغيتك من العيش ؟

- بغيتى ؟

- أجل بغيتك ؟ علام تريد رفع السدود والقيود والانطلاق فى  
الحياة .. من أجل ماذا ؟ ما الذى تريد أن تحصل عليه ؟

- على ... على ... السادة ؟ أجل أن بغيتى هى السعادة !

- تماما ... نحن متفقان تماما فى هذا .. السعادة هى بغيتك ، بل هى  
أيضا حقك فى الحياة .. ولست بطالب منها شططا .. بل أنت والسماء

متفقان فى هذا .. ان هدف السماء الأول هو سعادة الأرض ، فاذا أنت  
سعيت الى سعادتك فأنت محقق بذلك رسالة السماء .. فالسما لم تصنع  
الأرض الا لكى يسعد بها البشر ، ونوايا السماء بالبشر حسنة طيبة ،  
لا يدخل فيها الحرمان أو الشقاء .. انما هذا من صنع البشر لأنفسهم ومن  
سوء فهمهم لنوايا السماء .

- أرجوك .. قل نصيحتك ، ولا تخيرنى بين نياتنا ونيات السماء ،  
قل ما هى نياتك أنت ، ماذا تريدنى أن أفعل لكى أحصل على بغيتى ؟  
لقد قلت لى انطلق فى دنياك بلا قيد ولا شرط .. والخطايا ؟ من يتحمل  
عنى عبثها ؟

- أى خطايا ؟

- التى أنوى ارتكابها .. أتريد منى أن أنطلق وراء السعادة بلا قيد  
ولا شرط ولا خطايا ؟ أيها الواعظ الماكر الخبيث ، تطلقنى بيد ،  
وتكبلنى بالأخرى . ان كل انطلاقة من الأرض وراء السعادة محملة  
بالخطايا .

- الخطايا ؟ أية خطايا تلك التى تتحدث عنها ؟ ان الخطايا شىء  
نسبى .. انها ناشئة عما سميت أنه سدود وقبود موضوعة لتنظيم سبل  
الحياة ، فهو شىء لا يوجد الا بوجودها عندما يوضع بينك وبين ما تريد  
حوائل .. اذا تخطيتها ارتكبت خطايا ... فالخطايا ليس لها وجود الا  
بوجود الحوائل ، فاذا رفعت الحوائل بينك وبين ما تريد ، فقدت حاجتك  
الى تخطى الحائل ، وفقدت بذلك ما تسمى الخطايا .. ولقد قلت لك فى  
أول نصيحتى .. انطلق فى حياتك بلا سدود ولا قبود .. انطلق لكى  
تحصل على بغيتك ، ولكى تأخذ ما تريد .

- هكذا ! ! هذه والله نصيحة مدمشة .. ليس هناك أسهل ولا أمتع  
ولا أحب الى من تنفيذها .. ولكن أريد منك ايضاحا .. من المسئول عن  
نتيجتها فى الدنيا والآخرة ؟ ! أنت ؟ أتضمن لى ؟

- أجل .. أضمن لك كل شيء .. غير أنى أريد أن ألفت نظرك الى  
شيء واحد .

- ما هو ؟

- لقد قلت ان بغيتك هى السعادة .. وقلت لك ان تلك أيضا بغية  
السماء ، فإذا أنا قلت لك ارفع كل والسدود لكى تحصل على ما تريد ..  
فانى أريد منك .. ألا تحيد عما تريد .

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن الانسان قد يريد شيئا ... ويعدو وراء شيء آخر ..  
أقصد أن غباوة الانسان أحيانا .. أو دائما على الأصح .. تدفعه الى ما  
لا يريد .

- أيضا .. لست أفهم .

- لقد اتفقنا على أنك تريد السعادة ؟

- طبعاً !

- والسماء أيضا تريد السعادة للبشر جميعا .

- قلت أنت هذا .

- ولا زلت أقوله .. وهو حقيقة لا غبار عليها .

- مفهوم .  
٢٣٤

- اذا فالسعادة هي ما يريد الجميع ؟

- أجل .

- اذا فحققت أنت سعادتك .. بالطريقة التي تحلو لك .. كيفما تشاء  
وحيثما تشاء .. ولكن دون أن تأخذ من سعادة غيرك .. وأفضل من  
هذا .. ساعد غيرك قدر ما تستطيع للحصول على سعادته .. أى اجعل  
هدفك تحقيق السعادة لنفسك .. ولأكبر عدد ممكن من البشر .. حتى  
تعاون في أداء رسالة السماء

- هو .. هو .. كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا .. أيها الأفعوان  
اللولبي . بعد كل هذا .. تعود بي من حيث أتيت .. وتحدثني عما يجب  
أن أفعله لغيري ... ان ما أحققه من سعادة غيري سيكون على حساب  
سعادتي .. اما أنا واما غيري ؟ !

- كذب .. واقتراء .. أنا لم أقصد قط هذا .. لم أقل لك احرم نفسك  
لكي تعطى غيرك .. بل قلت لك لا تسعد على حساب غيرك .... افعل  
كل ما يسعدك بشرطين .

- الأول .

- أن تضمن حقاً أنه يسعدك .. أعني الا تكون سعادتك سريعة  
الزوال عاجلة المسترد .. وهذا هو ما يفعله ثلاثة أرباع البشر وهو أيضا  
ما غنيته بالعدو وراء ما لا تريد أو الجرى وراء سراب السعادة وليس  
السعادة نفسها .

- معنى هذا اني لن أعدو وراء شيء .. لأنه ما من سعادة هناك  
دائمة أو خالصة الا ما يدعونه من سعادة الخير والتضحية وانكار الذات

والحرمان .. الى آخر سلسلة الشقاوات التي يحملونها من السعادة ما لا تقبل لها به .

- أنا لم أقل لك سعادة دائمة أو خالصة .. ولكنى قلت سعادة ليست سريعة الزوال كومض البرق ... أو قشرة من السعادة تستر وراءها أكداش الشقاء .. إن السعادة لا تكون خالصة أبدا ولا دائمة أبدا ، ولكن العاقل من أقدم على العمل الأطول سعادة والأكثر متعة .. ان المسألة موازنة دائما بين كمية الشقاء والسعادة التي تنتج عن فعل معين فإذا رجحت كفة سعادته كفة شقاؤه فأقدم عليه واحتمل شقاؤه الأقل في سبيل الحصول على متعته الأكثر ... أما الدوام فهو مستحيل .. ان الانسان نفسه غير دائم فكيف تكون سعادته دائمة ؟ . كيف تفرض شيئا دائما على شيء غير دائم ؟ ولكن العاقل من أقبل على حياته يقتنص من سعادتها القطعة تلو القطعة .. والفترة تلو الفترة .. ان الحياة أيام معدودات .. والكاسب فيها من استطاع أن يملأ أيامه بأكبر قدر من السعادة .. ان كل دقيقة يقضيها الانسان وهو سعيد ... أى نوع من السعادة .. ولأى سبب كان .. هو ربحه في الحياة ... والخارج من الحياة بأكبر قسط من السعادة .... ( وأعنى بالسعادة .. حصيلة السعادة الناتجة عن حياته كلها ) . هو لا شك أقرب الناس الى السماء ....

- حتى لو أخذها عن طريق الشر ؟

- قلت لك انه ليس هناك خطايا مجسمة كأنها قائم في ذاته ... وكذلك ليس هناك شر كشيء قائم بذاته .. ان الشر لا يكون الا بمظاهرة .. ومظاهر الشر ... هي الشقاء .. فإذا لم يتسبب عما تعمله شقاء لك أو لغيرك فهو ليس شرا .

- حتى ولو انطبقت عليه المصطلحات الأرضية للشر ؟

- أجل .. فإذا كذبت ولم تؤذ نفسك ولا غيرك .. فليس الكذب شرا...  
وإذا سرقت فأسعدت بالسرقة نفسك أو غيرك .. دون أن تشقى سواك ..  
فاسرق ... افعل كل منكر ما دام فعله لا ينتج شقاء ... وعندما أقول  
لا ينتج شقاء .. لست أحصرها في وجهة نظرك .... بل في وجهة نظر  
المجموع .

- هذا شيء محير ... ومن يضمن لى ألا يتسبب فعلى في شقاء  
لأحد .. قد لا أعرفه ؟

- إذا ساورك الشك .. لا تفعله .

- سيساورنى الشك فى كل ما أفعل .. فلا أفعل شيئا .

- لا ... لا ... لن يساورك الشك الا فيما سترجح فيه كفة شقائك  
أو شقاء غيرك .

- والشرط الثانى ؟

- أن تفعل كل شيء بقدر .. لا تبالغ فى شيء .. على الأقل حتى لا  
تفقد طعمه .. ان كل شيء يفقد متعته بالافراط فيه .. ولذة الشيء انما  
هى فى الرشفة الأولى ... والذوق يدرك بطرف اللسان وليس بالولوج  
فيما تذوقه .. فإذا ما قلت لك أزل السدود والقيود وانطلق فى مرعى  
الحياة .. فايالك أن تنطلق فى اتجاه بعيد المدى حتى تبهر انفاسك ..  
ويقطع قلبك ، ويضيع جهدك فتلقى وسط المرعى لا حراك بك ولا ذوق  
عندك ولا شعور ولا حساسية .. بل تنقل فى المرعى وسر وثيدا ..  
وكل وثيدا .. واشرب وثيدا .

- قلت ان الحياة أيام معدودات .. وأخشى أن أكل وثيدا .. وأشرب  
وثيدا .. فتنفذ الحياة وأنا لم أئل منها سوى قسط قليل .

ولماذا تريد أن تأخذ قسطا وفيرا .. ليس هناك قانون في الحياة .. يجعل السعادة تتناسب تناسباً طردياً مع مسبباتها .. أن السعادة حدا تقف عنده .. كما للألم نهاية يتوقف عندها مهما ازدادت مسبباته .. ان متعت الانسان محدودة .. ولكن للمتعة نهاية مهما استمرت مسبباتها . فلذة الأكل لها حد ... ولا يمكن أن تزداد الى ما لا نهاية بازدياد كمية الطعام أو نوعه .. ولذة الجنس ولذة المال .. وكل لذة .. لا بد واقفة عند حد .. والذي يتكلم خمسة أولاد لا يحزن خمسة أضعاف الذي تكلم ولداً .. فلماذا تطمع في أكبر قسط من الحياة ؟ ! ان كل ما أنصحك لك هو أن توازن قبل أن تقدم على شيء معين نتيجة السعادة والشقاء التي ستحصل عليها منه .. ثم توازن بين السعادة التي ستحصل عليها وبين الشقاء الذي يحتمل أن يصيب غيرك .. فإذا رجحت كفة السعادة أقبل عليه .. وأظنني بعد هذا قد أبرأت ذمتي منك . وأؤكد لك أنك لو اتبعت نصيحتي .. فستخرج من الحياة هذه المرة بقسط أوفر من السعادة .. وخاصة بعد أن وهبت لك من البداية كل عناصر السعادة .. والآن أستودعك الله .

- ( صراخ شديد .. تقبل على الممرضة الفاتنة وترفعني ) ألا تنتظر برهة حتى يذهب عن هذا المغص الشديد ؟ ! قل لي بربك .. أليس عندك شيء ؟

- عندها هي كل شيء .. هي التي ستولي أمرك .. ألا يعجبك صدرها ؟

- قد يعجبني في المستقبل .. ولكن ما الفائدة . عندما يأتي المستقبل سيكون قد سقط وتهلّل ؟ !



- لا بأس ستجد غيره الكثير .. ان أمامك الحياة باسمه ضاحكة  
مكتظة بالمتع وتستطيع أن تفعل الشيء الكثير بالجهد القليل ... أمامك  
أرض طيبة وشعب طيب ... على استعداد لأن يمنحك كل شيء بلا  
مقابل .. فتذكر نصيحتي .. اجعل هدفك تحقيق السعادة لنفسك ولأكبر  
عدد غيرك من البشر .. وأؤكد لك أن السعادتين لن تتعارضا . وافعل  
كل شيء بقدر ، واعلم ان السعادة بطبيعتها محدودة المدى فلا تفرط في  
مسبباتها والا فقدت هذه المسببات قدرتها على منحك السعادة .

- اسمع .. اسمع .. يا للخجل لقد حدث كل شيء .

- ماذا ؟

- لقد فعلتها ... دون أن أشعر .

- لا عليك .. ستتولى هي عنك أمرها .

- لعنة الله عليك .. انى شديد الخجل .

- لا تخجل .. لقد كانت سبب المغص .. ستفعلها كثيرا في  
المستقبل ، وسيعونها فعلة ملكية سامية .. وهكذا كل ما تفعل في حياتك  
الجديدة .. مهما ساء وقذر ، وسيكون فعلا كريما ساميا .. احمد الله .  
( أغمض عيني وأروح في سبات عميق ) .



البحث  
عن  
جسد

## الفصل الثالث المنظر الثانى

( فى القصر الملكى بعد ثلاثين عاما .. حجرة الصالون ، الملك يروح ويفقد فى عصبية وحوله الحاشية ، ومن الخارج هرج ومرج وهتاف وصياح .. انا مستقر فى جسد الملك . عزرائيل يهبط فجأة من النافذة .. وقد بدت عليه الدهشة والذهول ) .

عزرائيل يبدأ الحديث :

- ما هذا ؟ ماذا حدث لك ؟
- ( فى ذعر ) أنت من ... من ؟
- مالك تصرخ هكذا .. ألا تعرفنى .. انى صديقك .
- أخيرا .. بعد هذه المدة الطويلة تهبط الى .. كنت والله لا أعرفك .
- وأنا أيضا كنت لا أعرفك ، لقد أصبحت مخلوقا آخر .
- مخلوقا آخر ؟ ! ماذا تغير فى ؟

- ماذا تغير فيك ؟ ! كل شيء . من أين لك كل هذا ؟

- كل هذا ؟ أتقصد الملك والسلطان ؟ بالوراثة طبعاً ، ألا تعرف ؟

- لست أقصد الملك والسلطان ، ولكن أقصد .. الشحم واللحم ، أقصد الكرش تحت صدرك ، والسنام فوق ظهرك ، انى ما تصورتك قط على هذا الشكل المنبجج المنتفخ ، أنكرت وأنت وليد عندما هبطت بروحك .. كنت مخلوقاً جُمِلَ الله خلقك وسوى قسماتك ، وأنكرت كذلك عندما هبطت لآخذ روح أبيك ، وقد لمحتك شاباً وسيماً ، جميل النقا طيع ، جذاب الملامح ، رشيقي القد ، رائع البنيان .. كنت يومذاك نموذجاً لملك .. لم أحدثك وقتذاك فقد كنت فى عجلة من أمرى ، وكنت فى عجلة من أمرى .. كنت تتأهب للملك ، ولا أكتمك القول أنى أحسست عند رؤيتك بالزهو وملأتنى الغبطة .. لقد شعرت أنى لم أخطئ فيما فعلت ، وأن مغامرتى قد نجحت تماماً .. بل انها لم تكن مغامرة على الإطلاق .. اذ كانت وضعا للشيء فى موضعه .

- والآن ؟

- الآن .. أجذك قد أصبحت مخلوقاً آخر ، أعوذ بالله من شر ما خلق ، بل شر ما فعلت أنت بما خلق ، أين شعرك الذى حلت محله قرعة ملساء ، وأين فذك الذى تكرر ؟ لشد ما ذهب عنك سمات الأنمييين ، لقد صرت أشبه بالفيل الأبيض .

- صه ، ما هذا الذى تقوله ؟ ! هذا كلام يعاقب عليه القانون ، هذا عيب فى الذات الملكية .

- هذا مجرد وصف .. هذا تقرير واقع .

- اذا فأخفض صوتك ، والا سمعك أحد الحاشية . الظاهر انك قد نسيت نفسك ؟

- أنا الذى نسيت نفسى ، أم أنت الذى نسيت نفسك ونفسى ؟ ! لا تأبه لى ولا لصوتى .. فما من أحد يسمعى سواك .. أنسيت ؟

- لم أنس ، ولكنى لم أعود قط أن يصفنى أحد بتلك النعوت القبيحة التى تنعنتى بها ، تعودت دائما .. أن أسمع أنى جميل ، وأن النور يشع من جبينى . و ...

- وكنت تصدقه ؟

- نعم ، أحيانا ، ولا ، أحيانا .. عندما أكون فى حالة نفسية راضية .. أصدقه ، وأرانى جميلا فعلا ، وعندما أغضب وأثور .. أعرف أنهم ينافقوننى ، ولكن ماذا يضيرنى فى كلنا الحاليتين .. ما دام القانون يضمن لى أوصاف الجمال والكمال ، ويعتبر كل ما عداها ، خرقا له .. يستحق صاحبه عليه العقاب ؟ ! ماذا يهمنى .. ما دمت جميلا بحكم القانون ؟

- وبحكم النفاق والمنافقين ؟

- أجل ! ان كل شيء .. يضمن لى ، أجمل الأوصاف وأبدع النعوت ، ويفرض الرضا على كل من حولى .

- حتى نفسك .. هل فرض الرضا على نفسك أيضا ؟

- على نفسى ؟ ! لا أظن .. ان مشكلتى فى الحياة .. هى الرضا .. انى أحاول أن أرضى نفسى عبثا . انى لا أجد قط ما يرضينى .

- عجا ! ! عجا ! ! ما أسرع ما نسيت نصحى .

- نصحك ؟ ! ما هو ؟
- ما الفائدة من تكراره الآن ، بعد أن سبق السيف العذل .
- سبق السيف العذل ؟ ماذا تقصد ؟
- ماذا أقصد ؟ ! ألا تشعر لما وصل اليه الحال ؟ ! ألا تحس بما حورك ؟
- تقصد هذه الهتافات في الخارج .. انها مظاهرات تافهة ....  
سرعان ما تفرقها العصي .
- أيها الغافل ، أما زلت وأما ؟ ! أما زال هؤلاء الحمقى المضللون  
من حاشيتك يضعون على عينيك غشاوة التضليل ؟
- أنت أيضا تتهم حاشيتي بالسوء . أنت أيضا ضدى . وضد  
العرش .
- أنا ضدك ؟ ! الظاهر أن التفهام معك أضحى متعذرا ، ان روحك  
قد غاصت بين طبقات الشحم فى جسدك السمين وبات الاتصال المباشر  
معه متعذرا ... ان جسدك الملكى ، يحول بينى وبينها ... انس نفسك  
برهة ، ودعنا نتحدث .
- نتحدث فيم ؟ ! ليس هذا بالوقت المناسب للحديث . أنت ترى  
الأزمة التى أنا فيها ؟
- انى قد أعاونك عليها .
- تعاوننى عليها ؟ .. أتستطيع ؟ .

- لم لا ... ان بيننا صداقة قديمة .. لقد سبق أن انقذتني أنت في أزمة الأرواح التي حلت بنا .. وتطوعت بالنزول معي .

- أجل ... أجل .. ولكن كيف تستطيع معاونتي ؟

- دعنا نتباحث في الأمر .. ما سبب كل هذه المظاهرات والتهافتات التي تسيء اليك .. انى أذكر أنهم استقبلوك استقبالا حافلا عند بداية توليك أمرهم ؟

- أجل .. أنا أيضا أذكر هذا .

- وأذكر أيضا أنهم ظلوا يحوطونك بحبهم وولائهم بضع سنين بعد ذلك ؟

- أجل ... أجل .

- هل تذكر أنك تكلفت جهدا كبيرا فى كسب محبتهم ؟

- لا أظن .. لا أعتقد أنى أجهدت نفسى فى شيء .. لقد منحونى حبهم بلا مقابل .

- كانوا على استعداد لأن يمنحوك اياه .. كانوا مهئين لذلك وأغراهم مظهرك به .. فاندفعوا يكيلون لك المحبة بلا حساب . وينشرون حولك هالة من النور ... فأبيت أنت الا الانطلاق خارجها ... وهبطت من عليائك .. وانطلقت تعدو مجردا عن كل ما يستر عورتاك ويحجب تفانصاك .

- انى بشر .

- أعلم أنك بشر .. ولكنك بشر مميز .. عندما عرضت عليك الأجساد رفضت أن تهبط فى جسد عادى .. حتى جسد الزعيم .. ولم

تقبل الا النزول فى جسد ملك .. فكان عليك بعد ذلك أن ترعى حق  
الجسد المميز الذى أنزلت فيه .

- ماذا كنت تريدنى أن أفعل ؟ ! أأحرم نفسى ما يتمتع به البشر  
العادى ؟

- لم أقل لك هذا .. انبنى عندما نصحتك .. قلت لك حقق هدفك  
الأول ، هو السعادة .

- هذا هو ما فعلت .. انطلقت وراء هدفى فى الحياة ... انصرفت  
أخذ حقى منها كما يفعل كل البشر .. وتخطيت كما قلت أنت كل سدود  
وحطمت كل قيود .

- أنت حقاً قد تخطيت كل سدود وحطمت كل قيود ، ولكنك لم تنطلق  
وراء ما تريد .. بل انطلقت الى غير ما تريد .. لقد اندفعت ولكن الى  
غير بغيتك .. وهذا هو ما حذرتك منه .. لقد رفعت السدود وانطلقت  
كالحصان الجامح الثائر الذى يظل يعدو الى غير غاية حتى تقطع أنفاسه  
وتخور قواه .. لقد قلت لك افعل كل شىء بقدر ولا تبالغ فى شىء ...  
ألا تذكر كلمتى بالحرف الواحد : « ان كل شىء يفقد متعته بالافراط  
فيه .. والسعادة بطبيعتها محدودة المدى فلا تفرط فى مسبباتها والا  
فقدت المسببات قدرتها على منحك السعادة » ؟

- أجل .. تلك هى المصيبة .. لقد استهلكت كل مسببات السعادة ..  
وتجاوزتها ، ولم أجد بعد فى كل ما حولى سوى أشياء جافة كمصاصة  
القصب التى استنفدت عصارتها ، ولكن .. ما زلت أنا .. اذا كنت لم أجد  
سدا يقف فى سبيلى ؟ ! ما زلت وأنا لم أجد قط اللجام الذى يوقفنى ؟ !  
انى بشر وكل انسان له من ظروف الحياة ما يوقفه عند حد أما



أنا فقد كنت انسانا بلا ضابط .. لم يجرؤ أحد ممن حولي أن يضع اللجام في فمي .

-- تلك هي العلة .. أيها المسكين .. ان مصابك هو أنك انسان بلا رقيب .. ولقد قلت لك ارفع السدود والقيود ، ولكن لا تجر الا وراء الغاية الصحيحة .. وكنت أعنى بذلك أن يكون لك وازع من نفسك ... وأن تعرف أين سعادتك .. ولكنك وللأسف .. انطلقت بلا حد .. والى أين ؟ .. فى الطريق العكسى .. طريق الشقاء .. وكان لابد لك أن تصل فى النهاية .. الى ما وصلت اليه الآن .. مجرد جسد منتفخ منهك خائر .. أليس كذلك ؟

- أجل .. أجل .. ولكن .. يعلم الله أنى لست وحدى المسئول ... ان كل بشر له ممن حوله عون على نفسه .. أما أنا فقد تركت وحدى بلا عون .. من أحد ..... اللهم الا أولئك الذين ينطلقون ورائى وحولى يعبون مما أعب وينهلون مما أنهل .

- أنت السبب فى ذلك .. فان صح أنه لم يجرؤ أحد على وضع اللجام فى فمك فلأنك كنت ثائرا هائجا .. عضاضا ، رفاسا . كنت حصانا شقيا فكفوا أنفسهم شر قيادتك واتقوا عضك ورفسك .. ولم يحاول أحد منهم أن يقولك ، بل انطلقوا وراءك بلا لجام ، وكنت لاتفتأ ترفسهم الواحد تلو الآخر .. فلم يسلم منك أحد .. ولم يبق لك بينهم صاحب .

- هم الذين أغرونى بأنفسهم .. استخذلوا فطغيت ، وخافونى فبطشت .

- من يعلم أيكم السبب ؟ . وأى الوضعين كان نتيجة الآخر ؟ . استخذالهم أم « طغيانك » .. وضعفهم أم بطشك ؟

- لا تظلمنى .. هم الذين كانوا السبب .. هم الأسبق ، لقد فعلوا بى  
ما لا يخطر على بال بشر .. أؤكد لك أنى لو تركت نفسى ، وانطلقت  
بلا قيد ولا سد ، ما فعلت ما فعلت . ولكنهم لم يكتفوا بأن يتركبوا  
طليقا .. بل دفعونى دفعا وزينوا مبالى وجملوا مفاستى ... كنت  
ارتكب المعصية بالليل .. كأتى بشر عادى .. ولكن البشر العادى ،  
عندما يستيقظ فى الصباح .. يذكر معصيته .. فيشعر بثقلها . أما أنا ..  
فكنت أستيقظ لأجد نفسى .. أمام العشرين مليوناً ، ماذا تظن ؟ انسان  
عاص ؟ انسان عادى ؟ أبدا .. كنت أجد نفسى : المؤمن الأول ،  
والمسلم الأول ، وموصوفا بالورع والتقوى ، ممن ؟ .. من شيوخهم  
وأئمتهم .. كنت لا أفعل فضلا .. وكبارهم ينسبون إلى كل فضل ...  
كل شىء بارشادى ورعايتى ولقائى ... اذا مضى فص حشيش  
فبفضلى .. واذا عبر أحدهم المانش ... فبتوجيهى .. جتى وجنتى فى  
النهاية ... فاعل كل شىء فى هذا البلد .. وجنتى على وصفهم : العامل  
الأول .. والطبيب الأول ، والزارع الأول ، و .. و .... كل هذا ...  
وأنا لا أفعل شيئا .. كل هذا يأتي لى دون جهد ، . بل أحيانا .. أفعل  
نقيضه واتهم به .. قل بالله عليك .. لماذا أفعل الفضل ، اذا كنت أرانى  
صاحبه دون أن أفعله ؟

- وعلى ذلك كففت عن فعل الفضل ؟

- بالطبع .. انى لست مجنونا حتى أكلف نفسى مشقة شىء يأتينى  
دون مشقة .

- وانطلقت بعد ذلك وراء المعصيات ؟

- لقد قلت أنت أنه ليس هناك معصيات .

- انطلقت وراء المتعة ؟

- أجل .. أنا بشر .. بشر أملك الفراغ والقدرة .. وكل مسببات المتعة .. وبعد كل هذا .. ليس لى من حد .

- أيها المسكين .. كنت أشبه بالقربة المثقوبة التى لا تمتلئ ... أنت بئس تعس .... ان كل انسان فى الحياة له حد يعوقه ويوقفه عن الاندفاع الى القرار .. كل انسان يحب النساء .. ولكن له حد من العجز ... العجز فى المال .. أو فى الوقت ... أو فى الخوف ممن حوله ... أو فى خشية التقاليد .. ولكن ماذا كان يحدثك أنت .. الوقت أمامك كالصحراء العريضة لا نهاية لها .. والمال .. زاهر كالبحر لا قرار له .. والقدرة .. كل الدولة ومرافقها مسخرة تحت أمرك .. من وزرائها .. الى مساجينها . ماذا بعد ذلك يحد انطلاقك .. ويوقف اندفاعك ؟

- شئىء واحد كان يوقفنى .. وهو الملل وفقد الاحساس بالمتعة بعد استنفاد عكارتها .

- وكان عليك بعد ذلك .. البحث عن وسائل جديدة للمتعة .

- أجل ووجدت فى القمار بغيتى .. فما قتل الوقت غيره ... والمقامر العادى .. تحده ظروف حياته .. يحده وقته المحدود وماله المحدود .. فاذا ما طال به اللعب فلا بد من عامل يوقفه .. اذا كان موظفا فلا بد أن ينام ليذهب الى عمله .. واذا كان زوجا فلا بد أن يعود لزوجته .. ثم هو بعد ذلك وراءه من يحاسبه على ماله ووقته .. أما أنا .. فقد كنت مطلق المال ، مطلق الوقت ، مطلق الحرية ... كنت انسانا بلا حد ، اذا ما لعبت فقد أجلس على مائدة اللعب بضعة أيام

بلياليها ، لا أكف عن اللعب .. ويجوارى الطعام أتزود منه اذا ما شعرت  
بجوع .

- على أية حال ، كل هذا لم يكن ليودى بك الى تلك النتيجة لو فعلته  
خفية ، وكان فى مقدورك ذلك وأن تستتر فى ارتكابه .

- وعلام أستتر ؟ اننا نحاول التستر لكى نحجب مفاصدنا فيصفنا  
الناس بغير ما نحن عليه ، نرتكب الفحشاء فيقولون عنا أتقياء ، ونقامر  
فيرموننا بالورع .. أليس كذلك ؟ .

- أجل .

- علام أستتر اذاً .. وأنا أجد الستر جاهزا .. من عند الدولة ! علام  
أستتر ... وأنا مستور بقانون ؟ ! قانون الدولة لايعتبر العيب فيمن يقول  
عنى ذلك .. وعلى ذلك .. فقد كان من الغباء أن أجهد نفسى فى اخفاء  
معايى .. ما دام القانون يسدل عليها حجابا .

- أنت مستور بقانون .. ستار رسمى .. ولكن الشعب كله يعرف  
ما تفعل .

- وما الضير فى أن يعرف ؟

- يكرهك .

- وما الضير فى أن يكرهنى ؟

- ينصرف عنك .

- هو لا يملك الانصراف .... سلى أنا عنه ... لقد كان يستقبلنى  
فى حشد لم أر له مثيلا .. أتدرى متى ؟ ولمه ؟ عندما عدت من أكبر  
جوله فجور فعلتها فى حياتى .. لقد استقبلونى استقبال الغزاة .. ماذا

أريد أكثر من هذا ؟ لقد لبسوا على والدى كرافنة سوداء بعد خمسة عشر عاما من وفاته ... وهم يخلعونها بعد وفاة آبائهم بعام واحد .. ماذا أريد منهم أكثر من أن يحزنوا على أبى أكثر من آبائهم ؟ لقد وضعوا اسمى قبل الوطن . وقد يضعونه قبل الله ... أتريد أكثر من أنهم بعد كل ما فعلت من فجور جعلونى من أقرباء النبى .. تطوع نفر منهم بذلك .. ولم يعترض منهم أحد ... وقبلوا كل شىء على العين والرأس .. علام أستتر اذا وعلام أتخفى .. وأنا أدرك كل نتائج التخفى والاستتار ؟

- على أية حال ... لا أظن فسقك وفجورك وحده يحدث هذا الغليان الذى أراه فى الخارج .. لو لم تتعد شورك محيط نفسك لما أثارت عليك مثل هذا السخط ، ولكن يبدو لى أن اندفاعك قد جاوز حد نفسك ، قلت لك انطلق وراء سعادتك .. وأسعد نفسك .. وكل من استطعت من البشر .. ولكنى أراك أشقيت نفسك .. ثم تجاوزت نفسك الى سائر البشر فأشقيت سواك .. قلت لك ليس هناك فعل قائم بذاته اسمه شر .. ولكن الشر هو ما ينتج عنه شقاء .. وكل أفعالك أنتجت الشقاء لك ولأكبر عدد استطعت من البشر .. وهذا هو عين الشر .. أنت كما قلت كالقربة المنقوية ، لا تمتلىء أبدا .. كلما حاولت أن تجمع شيئا تسرب منك .. وكان آخر رغباتك جمع المال وكان المال يتكدس حولك .. ولكن لا يستقر فيك .. لم تكن تشعر به قط ، ولو شعرت به وبمقداره ما فكرت فى أن تزيده أنملة .. ولكن نفسك فقدت الاحساس بكل شىء وبعد ذلك عدت تلعب بمصابير الناس والبلد لعب الدمى .

- كانوا كلهم أمامى كالدمى .. فلم أملك الا أن ألعب بهم لعب الدمى .

- أيها المسكين .. لشد ما أخطأت الطريق .. أنظر فى النافذة التى أمامك .. ماذا ترى ؟

- ألمح عن كذب .. أمواج الشعب الهائف النائر .
- هذا من صنعك .. إنظر من النافذة التي وراءك . ماذا ترى ؟
- لست أرى شيئا .
- انظر جيدا .. هناك أشياء كثيرة .. لا تراها ... لأنك لا تحاول أن تراها .
- لست أرى شيئا .
- قل ماذا وراء النافذة ؟
- فراغ .
- ماذا بالفراغ ؟ ! مم يتكون الفراغ ؟
- سماء ... وهواء .. وحديقة خضراء .
- هذا هو الذى لا تراه .. وهذا هو الذى صيرته أنت فراغا . هذ الحداق الممتدة . هذا الأمن والطمأنينة . هذا الجاه العريض والنعمة السابغة ... هذا الفيض من النعيم الذى لا يشعرك بالحاجة الى أى شيء .. هذا الاغداق ... من الله ... والطبيعة والبشر .. هذا الذى يستقر صاغرا أمام إشارة من أصبعك .. هذه الحياة المستقرة الهادئة .. ذات المال والبنين .. هذا الحب الذى تمتعت به ... بل حتى الخطايا المحدودة المستترة التى كنت تستطيع أن تتمتع بارتكابها كغيرك من عباد الله ... كل هذا .. قد رأيته فراغا .. بل لم تره أبدا ... وتجاوزته لتعدو وراء السراب اليعيد .. لقد أستقلت تلك النعم على ملك .. وكرهت أن تتساوى مع سائر البشر فى نعمائهم ، وتطلعت الى شيء أكثر وأكبر . وتجاوزت هذا وعدوت وراء الأفق الفارغ .. كرهت أن تكون لك معدة محدودة ..

تمتلىء كما تمتلىء بقية المعدات غير الملكية .. فأقبلت بينهم على كل ما أمامك ، ولكنك وجدت نفسك تمتلىء كبقية الناس .. ولم تقنع بأن قدرتك على السعادة محدودة كسائر البشر ، وأخذت تلثمهم .. حتى وجدت نفسك لا تتنوق شيئا .. ولم تجد هناك جديدا يرضيك فاندفعت ثائرا هائجا .. وقد ضاقت السبل أمام عينيك .. كيف تكون ملكا .. وفي يدك كل هذه الوسائل والقوى ... وأنت لا تجد ما يعادلها من المتع ؟ .. ونسيت يا صاحبي ما قلته لك : « ان السعادة بطبيعتها محدودة المدى فلا تفرط في مسبباتها والا فقدت هذه المسببات قدرتها على منحك السعادة » .

- لا فائدة الآن .. من هذا .. تلك نصيحة فات أوانها ، ولو عادت لى الفرصة لتنفيذها .. ما فعلت .. النصائح هي أضعف الوسائل لاصلاح البشر .. ألك هي وسيلتك لمعاونتى ؟ ! أهذا هو كل ما تملك ؟ .

- ما الذى تريده منى ؟

( الصياح يشند فى الخارج ، وتسمع أصوات طلقات ، هرج ومرج بين الحاشية ) .

- أسمع ؟ ! لقد بدأ التصادم ... الظاهر .. أن المسألة جد هذه المرة ، ما العمل ؟ ! قل لى ؟ ! دبرنى لابد أن تعيننى ، أنت تذكر أنى لم أكن أريد أن أهبط معك أول الأمر .. وأنى نزلت لمجرد معاونتك ؟ - أجل ... أجل .. أنكر جيدا .

- وتذكر أنك شريك معى فى المؤامرة .. أو كما سميتها المخامرة .. وأنتك مسئول عنها ؟

- أنا لم أقل لك أن تفعل بنفسك ما فعلت .. لقد نصحتك أول الأمر .  
- ولكنك قلت لى انك لن تتخلى عنى .. وانك ستعاوننى عندما أطلب  
العون .. لقد وعدت .. ألا تذكر ؟ .

- أنكر جيداً .

- وما زلت عند وعدك ؟ .

وما زلت عند وعدى .

- اذاً هيا افعل شيئاً .

- ماذا تريد أن أفعل ؟

- أى شىء .. غير النصيحة .. أريد منك معاونة عملية .

- كيف ؟ لا أفهم ؟ .

- اسمع . أليس عمالك هو قبض الأرواح ؟ .

- أجل .

- حسن .. انى لن أكلفك بشىء فوق طاقتك .. سأطلب منك

معاونة .. هى من صميم عمالك ! .

- لم أفهم بعد .

- أريد منك أن تقبض بعض الأرواح .

- أقبض بعض الأرواح ؟ أنا ؟

- أجل .... أهذه عملية شاقة ؟

- أبداً . أبداً . هذا أيسر ما أستطيع فعله .



- اذا انتهينا .. سأملئ كشفاً بالأرواح غير الموالية للعرش فنقبضها وتريحنا منها .
- من هم ؟ .
- لنبدأ بزعيم الحركة السرية .. التي لا تفتأ تثير الشعب وترزعجنا بالقلقل والفتن .
- ومن هو ؟ .
- انى لا أعرف .. ولكنى لا أظنه يخفى عليك ! .
- لن يستعصى على .. سأعرف كيف أجده ! ومن غيره ؟ .
- عصابته .. حتى لا يخلفه منها خليفة .. فيستمر فى مناوأتى .
- وكم تبلغ ؟ .
- عشرة .. عشرون .. لست أدري .
- من غيرهم ؟
- ومن غيرهم .. دعنى أتذكر .. أجل ، أجل ، زعيم حزب الحرية ، الذى لايفتأ يغمزنى على صفحات جريدته ، الذى يكتب عن أملاكى ، ويندد بأعمال الحاشية .
- ومن معه ؟
- سكرتير الحزب .
- فقط ؟ .
- وبقية أعضاء الحزب .

- ومن أيضا ؟

- قلت لى ومن أيضا ، دعنى أتذكر .. هذه فرصة للتخلص منهم جميعا والراحة من عنائهم وسخافتهم ووطنيتهم .. اسمع تذكرت ، أعضاء « البرلمان » أصحاب الاستجواب المعهود ، الذى فضحونا به .

- كم يبلغون ؟

- أظنهم عشرة ، وأضف اليهم رئيس المجلس الذى ترك الاستجواب يستفحل ولم يقتله فى مهده .

- يسيرة ، ومن أيضا ؟

- خذ معهم بالمرة ، النائب الذى طلب تخفيض ميزانية القصر لقد كان وقحا جدا ، دعنا نتخلص منه حتى لا يعود الى ازعاجنا .

- ومن غير هؤلاء ؟

- غير هؤلاء . انتظر ، دعنى أفكر ، أجل تذكرت ، رئيس تحرير مجلة الوطنية ، ذلك الصحفى الأخرق ، الذى لا يكف عن الهجوم علينا ، والتحدث عما يجب أن يكون الملك ، وخذ معه محررى الصحيفة .

- أيكفى هؤلاء ؟

- لا .. لا .. انتظر ، لقد نسيت ، الشيوعيين ، خذهم جميعا انهم خطر داهم على العرش .

- والشيوعيون أيضا ، من تريد غيرهم ؟

- وطلبة الجامعة الذين هتفوا ضدنا ، والذين حطموا صورنا ، ولعنوا « سنسقىل » أجداد آبائنا .

- وهؤلاء أيضا ، ألدك أعداء آخرون ؟ .
- أجل ، أجل .. طلبة المدارس الثانوية ، هؤلاء الصبية الحمقى ،  
لقد سبونا وهتفوا بسقوطنا .
- ومن أيضا أعداؤك غير هؤلاء ؟
- لقد نسيت .. الاخوان المؤمنين .. خذهم أيضا ، انهم أكبر خطر  
على عرشنا ، خذهم كلهم .
- ( تزداد الضجة في الخارج وتقترب من أبواب القصر وتزداد  
الطلقات ) .
- ان المسألة تبدو خطيرة جدا .
- أجل .. أجل ، يبدو أنهم قد حطموا أبواب القصر أسرع ...  
أسرع .. والافات الوقت .
- أهؤلاء وحدهم من تريد أن آخذ أرواحهم ؟
- دعنى أفكر ، ما زال هناك أعداء لم أنكرهم .. اسمع ، من باب  
الاطمئنان ، خذ كل من يكرهوننى .
- ( يسمع صوت فرقة شديدة وتتدفق جموع الشعب داخل القصر ) .
- كل من يكرهونك ؟
- أجل .
- أتدرى كم يبلغ عددهم ؟
- ليكن ما يكون ، غير مهم عددهم .. أسرع .. أسرع ، أرجوك .

- انظر ، أترى هذا الحشد الهائل ؟ انهم كلهم يكرهونك .. كل الشعب يكرهك .. آخذ كل الشعب وأتركك يا صاحب الجلالة بلا شعب ؟ أظن لن يكون لك قيمة اذا كنت ملكا بلا شعب . ان ملكك مستمد من وجوده ، وسلطانك مستمد من كيانه ، وأنت بغيره لا شيء ... أنت بغيره كزاهد فى صومعة ، أو تائه فى صحراء ، واذا أخذته يا صاحب الجلالة ، فلن تستطيع أن تصنع شعبا غيره ، أما اذا أخذتك أنت ...

- أنا .. ايها الخائن ، أنت أيضا من الثوار ؟

- مهلا يا صاحب الجلالة ، اذا أخذتك أنت ، فليس أسهل عليه من أن يصنع غيرك ، صنع الملوك سهل ، وصنع الشعوب مستحيل .  
( يدخل الثوار الى الصالة وتنطلق رصاصات فتصيب جسد الملك ويخر صريعا ، وأصعد أنا بجوار عزرائيل تاركا الجسد ملقى على الأرض ) .

- أيها الخبيث . لقد فعلتها ؟

- لقد خلصتك من أسوأ ما حللت به .. ألسنت تشعر الآن بالسعادة ؟ .  
- جدا ، ولكن الجسد الملكى .. أسنتركه هكذا ملقى تحت الأقدام .  
- كله جسد يا صاحبنى ، ملكى وغير ملكى .. انها أوهاام يقضى عليها الثرى ، ويبيدها باطن الأرض ، هيا بنا .  
- انتظر ... هناك شيء أريد أن أعرفه .

- ماذا ؟ شيء خاص بجسدك الملكى ؟

- لا .. لا .. أريد أن أعرف الزعيم الذى أقض مضجع الملك وثل عرشه .. من يكون ؟ .

- ها هو ذا .. انه قادم أمامك وسط الشعب المتدفق .
- أهو هذا ؟ ! ترى من يكون ؟
- انه عبد الحليم .
- عبد الحليم ؟ .
- أجل ! عبد الحليم أبو رابية ، الذى رفضت أن تحل فى جسده ....
- أتذكره ؟
- عجباً ! ليتنى سمعت نصحك وحللت به .
- لا فائدة من الندم ، هيا بنا .
- أريد شيئاً واحداً ، لو استطعته ألقيت عن كاهلى عبناً ثقيلاً .
- ما هو ؟
- أريد أن أنصحه . أريد أن أحذره مما وقعت فيه . أريد أن أكشف له الوصوليين والمنافقين والصحافيين .. أريد أن أحذره من غرور السلطان . أريد أن أطلب منه ألا تنسيه السلطة نفسه كإنسان عاجز زائل . أريد أن أنكره بأن كل شيء الى زوال ، والى نهاية ، وأن الإنسان بقدر ما يطغى يذل .. أريد أن أعطيه درساً وعظة .
- لا داعى أيها الواعظ ، أنت نفسك كنت أكبر عظة .. والذى لا يتغبط بحياتك وجبروتك ونهايتك ، يكون شيخ الحمقى ، والمأفونين .
- هيا بنا نعود يا صاحبنى «إلى ربك الرجعى» .



رقم الايداع ٧٢٢٩ / ٨٧



مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

Bibliotheca Alexandrina



0294433

دار مصر للطباعة  
سميد جوده السعار وشركاه